



ثمرات الأعواد

يحتوي على عدة مجالس مرتبة من أحسن المصادر وكتب التاريخ
والمقاتل مايحتاجه الذاكر من ليلة الحادية
عشر من المحرم حتى نهاية شهر صفر

تأليف

الخطيب الشهير المعروف

السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي

ولقد بكيت على الحسين بناظر ... أدمت مآقي جفنه عبراته
حتى سقيت بأدمعي شجر الأسى ... فنمى وطال وهذه ثمراته

(الطبعة المنقحة المزادة)

الجزء الثاني

هوية الكتاب

الكتاب : ثمرات الاعواد

المؤلف : السيد على الهاشمى

الناشر : انتشارات الشريف الرضى

عددالصفحات : (۲۱۶ صفحه وزيرى) الجزءالاول

۲۱۶ صفحه وزيرى الجزءالثانى

سنةالطبع : ۱۳۷۰ ـ ۱۴۱۲

عدد المطبوع : ۲۰۰۰ نسخه الجزءالاول و الثانى

المطبعة : امير قم

الطبعة : الاولى

السعر : (۲۰۰۰ ريال)



يحتوي على عدة مجالس مرتبة من أحسن المصادر وكتب التاريخ
والمقاتل مايحتاجه الذاكر من ليلة الحادية
عشر من المحرم حتى نهاية شهر صفر

لمؤلفه

علي بن الحسين الهاشمي النجفي الخطيب

ولقد بكيت على الحسين بناظر ادمت مآقي جفنه عبراته
حتى سقيت بأدمعي شجر الأسى فنما وطال وهذه ثمراته

الجزء الثاني

منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف (٣٦٨)
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خيرة خلقه محمد وآله الطاهرين الذين خصهم بآية التطهير وجعل اجر الرسالة مودتهم ، فقال عز من قائل : (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) ، وجعلهم أئمة يهدون الى الحق به ويعدلون .

وبعد لما وفقت الى نشر الجزء الأول من كتاب (ثمرات الاعواد) فطبع الطبعة الأولى ، وعندما نفد طبع في نفس المطبعة طبعة ثانية بزيادة وتنقيح حتى يكاد المطالع يحسبه غير الأول وطلبه القاصي والداني من أرباب المنابر ، عزمت ومن الله السداد على طبع الجزء الثاني ، وهو ذا بين يديك ارجو بذلك الاجر والثواب اولا ، وخدمة لاخواني الذاكرين ثانياً ، والله ولي التوفيق .

علي بن الحسين الهاشمي
الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

اذا كان شرف التأليف بشرف موضوعه فاي موضوع اشرف واسمى من بيان احوال الأئمة المعصومين سلام الله عليهم ولاسيما مايتعلق بأبي الأئمة وباب النجاة ومفتاح الرحمة وذكر شهادته وشهادة اهل بيته وقد احسن الخطيب النجيب السيد علي الهاشمي فيما جمع من هذه الآثار الجديرة بالاعتبار نسأله تعالى ان يوفقه لامثال هــذه الذخائر النافعة له ولأخوانه الذاكرين ولعموم المؤمنين في هذا اليوم وفي اليوم الآخر ولا زال مؤيداً بدعاء .

٢١ ربيع ٢ سنة ١٣٦٧ — الاب الروحي

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(تقريض وتاريخ)

(للعلامة الجليل فضيلة الشيخ جعفر نقدي طاب ثراه)

(ثمرات الاعواد) خير كتاب — جاء للفضل والنهى والمــآثر

روضة بالهدى يفوح شذاهــا — اين من حسنها الرياض النواضر

نور آل النبي اشرق فيـــه — فهو يحكي سنا النجوم الزواهر

كم به من مواعظ بالغات — ونواه شرعيـــة وأوامر

وكلام للرشد يهدي البرايــا — هو كحل الابصار نور البصائر

وحوى سيرة الحسين شهيد الـ — طف مع صحبه الكرام الاكابر

خــير سفر (للهاشمي علي) — فخر اهل الهدى حليف المفاخر

ماله في المؤلفـات نظيـــر — قلت لمـا اجلت فيـــه النواظر

(ثمرات الاعواد) روض فأرخ — حل نوراً به ثمـــار المنـابر

المطلب الاول في مسير السبايا

(والرؤس الى الكوفة)

اي يوم اجرى المدامع فيـــه　　حادث رائع وخطب جليل
يوم عاشور الذي لا اعـان　　الصحب فيه ولا اجار القبيل
يابن بنت النبي ضيعت العهـــد رجـال والحافظون قليل
ما اطاعوا النبي فيك وقد مـا　　لت بارواحهم اليك الذحول
ياجوادا ادمى الجواد من الطعن وولى ونحره مبلول
ياحساماً فلت مضـاربه الها　　م وقد فله الحسام الصقيل
اترانيَ الذ مـــاء ولمـا　　ير من مهجة الامـام الغليل
ام تراني اعير وجهي صونا　　وعلى وجهه تجول الخيول
قبلته الرمـاح وانتضلت فيـــه المنــايا وعانقته النصول
غسلته دماؤه قلبتـــه　　ارجل الخيل كفنته الرمول
والسبايـا على النجائب تستا　　ق وقد نالت الجيوب الذيول
يتشاكين والشكاء بكـاء　　يتنـادين والنداء عويل

ان اعظم رزية واجل مصيبة حلت بآل الرسول وبنات الزهراء البتول بعد قتل الحسين وذويه وانصاره ونهب رحله وحرق مضاربه هي تسيير عيالاته اسارى من كربلا الى الكوفة ومنها الى الشام كما ذكر المرحوم السيد حيدر بقصيدته النونية :

وأجل يوم بعد يومك حل في　　الإسلام منه يشيب كل جنين

يوم سرت اسرى كما شاء العدى فيه الفواطم من بني يس

إتفق ارباب المقاتل على ان اهل الكوفة ساروا ببنات الرسالة وصبية الحسين من كربلاء يوم الحادي عشر من المحرم بعد الزوال ، كما ذكر ذلك السيد بن طاووس في اللهوف وغيره ، اقام عمر بن سعد بقية يومه ـ اي يوم عاشوراء ـ واليوم الثاني الى زوال الشمس ، ثم رحل بمن تخلف من عيال الحسين وحمل نساءه على احلاس (١) اقتاب الجمال بغير غطاء ولا وطآء ولما حملوا النساء اسارى مروا بهن على الحسين واصحابه وهم صرعى فصحن النسوة وصاحت الحوراء زينب يا محمداه صلى عليك مليك السماء هذا الحسين مزمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا ، قال الراوي فابكت كل عدو وصديق ؛ وقيل ارادت ان ترمي بنفسها من على ظهر الناقة ناداها السجاد عمه ارحمي حالي ارحمي ضعف بدني ، عمه اذا رميت بنفسك من يركبك وانا مقيد ، قالت : يابن اخي اريد ان اودع اخي الحسين «ع» فقال لها : عمه ودعي اخاك وانت على ظهر الناقة فجعلت تنادي اخي اودعتك الله السميع العليم ، يابن ام والله لو خيروني بين المقام عندك او الرحيل عنك لاخترت المقام عندك ولو ان السباع تأكل لحمي ، قال المرحوم السيد رضا :

همت لتقضي من توديعه وطراً وقد ابى سوط شمر ان تودعه
ففارقته ولكن رأسه معها وغاب عنها ولكن قلبها معه

هذا وقد امر ابن سعد بأن تحمل الرؤوس على رؤوس الرماح

«١» الاحلاس مفردها حلس بكسر الحاء والحلس كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج او الرحل .

وتسير مع السبايا، فاقبلوا يجدون السير حتى وافوا القائم (١) فوضعوا هناك رأس الحسين «ع» وهو اول منزل انزل به الرأس الشريف فباتوا ليلتهم حتى الصباح ، وادخلوه على ابن زياد ، ولما ادخلوا السبايا الى الكوفة ، كان ابن زياد قد امر في ذلك اليوم ان لايخرج احد من اهل الكوفة بسلاحه ، هذا وقد عين عشرة آلاف فارس وامرهم ان يأخذوا السكك والطرقات خوفاً من السوادمن ان تحركهم الحمية والغيرة على اهل البيت ، اذا رأوهم بهذه الصفة اسارى ؛ وامر ان تجعل الرؤوس في اوساط المحامل فوضعت، فلما نظرت ام كلثوم الى رأس اخيها الحسين بكت وانشات تقول :

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم		ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتي اهل بيتي بعد مفتقدي		منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذنصحت لكم		ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

قال وانشأت زينب بنت امير المؤمنين «ع» ايضاً في ذلك اليوم مخاطبة اهل الكوفة :

قتلتم اخي صبراً فويل لامكم		ستجزون ناراً حرها يتوقد
سفكتم دماء حرم الله سفكها		وحرمها القرآن ثم محمـــد

«١» القائم هو اليوم مسجد الحنانة انزل فيه رأس الحسين «ع» وفيه يزار الحسين وكان قبل هذا يقال له القائم ويسمى بالعلم ، وكان امير المؤمنين يأتي الى هـذا الموضع في الليالي المظلمة ويصلي فيه ، حتى روي عن المفضل بن عمر ، انه قال ؛ جاز الصادق «ع» بالقائم المائل في طريق الغري فصلى ركعتين ، فقيل له ما هذه الصلوة ؟ قال هذا موضع رأس جدي الحسين وضعوه هنا ، وذلك لما توجهوا به من كربلا .

الا فابشروا بالنار انكم غداً لفي سقر حقا جميعا تخلدوا
واني لابكي في حياتي على اخي على خير من بعد النبي سيولد
بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد مني دائما ليس يجمد

وكذلك انشأ السجاد «ع» في ذلك اليوم ، وهو في حالة السقم مخاطباً اهل الكوفة :

يا امة السوء لا سقيا لربعكم يا امة لم تراع جدنا فينا
لو اننا ورسول الله يجمعنا يوم القيمة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الاقتاب عارية كاننا لم نشيد فيكم دينا

نعم سيروهم على اقتاب الابل بغير غطاء ولا وطاء كما قال الشاعر:

أسارى بلا فاد ولا من ماجد يعنفها حاد ويشجى مركب

المطلب الثانى

« يتضمن خطبة العقيلة زينب واختها ام كلثوم في الكوفة (١) »

لما ادخلوا السبايا والرؤوس الى الكوفة وخرج اهلها للنظر والتفرج

فائدة — قال ارباب المقاتل ولما قتل الحسين ارسل عمر بن سعد رأسه من يومه اي يوم عاشوراء — الى ابن زياد مع خولى بن يزيد الاصبحي وحميد بن مسلم الازدي ، وامر عمر بن سعد برؤوس اصحاب الحسين واهل بيته فقطعت وكانت اثنين وسبعين رأسا ، وسرحها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الاشعث ، وعمرو بن الحجاج ، وعروة بن قيس ، ليقدموا بها على ابن زياد فحملوها على اطراف الرماح .

«١» ذهب العلامة الكبير الشيخ المجلسي المتوفي سنة ١١١١ هـ مثبتا

عندئذ خطبت عقيلة بني هاشم زينب ابنة علي « ع » تلك الخطبة البليغة فأعجبتهم ببلاغتها وحيرتهم بفصاحة منطقها ، وذكرتهم ايام ابيها سيد البلغاء حتى قال بشير ابن خزيم الاسدي : نظرت الى زينب ابنة علي «ع» يومئذ ولم أر خفرة (١) والله أنطق منها كأنما تنطق وتفرغ عن لسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب « ع » وقد اومأت الى الناس ان اسكتوا ، فارتدت الانفاس وسكنت الآجراس، ثم قالت : أبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه محمد ، اما بعد يا اهل الكوفة يا اهل الختر «٢» ألا فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة ؛ انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ؛ تتخذون ايمانكم دخلا بينكم الا وهل فيكم إلا الصلف (٣) والشنف «٤» وملق الاماء ، وغمزة الاعداء ، وهل انتم إلا كمرعى على دمنة ، او كفضة «*» على ملحودة ؛ ألا ساء ما قدمت انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون ، أتبكون : اي والله فابكوا وانكم

في كتابه « بحار الانوار » في المجلد العاشر منه انها لزينب الكبرى وأيده جميع مؤلفو المقاتل ، غير ان ابا الفضل احمد بن ابي طاهر المتوفي سنة ٢٠٤ ذكر في كتابه « بلاغات النساء » انها لاختها ام كلثوم «ع» .

«١» الخفر بفتحتين شدة الحياء ، جارية خفرة ، بكسر الخاء مختار الصحاح

«٢» الختر بفتح الخاء وسكون التاء وسكون الراء الغدر يقال ختره فهو ختار

«٣» زعم الخليل ان الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً فهو رجل صلف وبابه فرح .

«٤» شنف له كفر ابغضه وتنكره ، ومنه الشانف المعرض .

«*» القصة بالفتح الجص لغة حجازية .

والله احرياء بالبكاء ، فابكوا كثيراً ؛ واضحكوا قليلا ، فلقـــد بؤتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها «١» بغسل بعدها ابداً ، وانى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهل الجنة ،ومنار محجتكم ، ومدرة حجتكم، ومفزع نازلتكم ، فتعساً ونكسا ، لقد خاب السعي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم (٢) بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة « لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا » (٣) اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم ؟ واي كريمة له ابرزتم ؟ واي دم له سفكتم ؟ لقد جئتم بها شوهاء ، خرقاء، شرها طلاع الارض والسماء ، افعجبتم ان قطرت السماء دما « ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينظرون » «٤» فلا يستخفنكم المهل فانه لا تحفزه المبادرة ، ولا يخاف عليه فوت الثار ، كلا ان ربك لنا ولهم بالمرصاد ، ثم ولت عنهم الناس حيارى وقد ردوا ايديهم الى افواههم ؛ ورأيت شيخا كبيراً من بني جعف وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه وهو يقول :

كهولهم خير الكهول ونسلهم اذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

قال السيد ابن طاووس وخطبت ام كلثوم بنت علي «ع» في ذلك اليوم من وراء كلتها رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت يا اهل الكوفة سوئة لكم ما لكم خذلتم حسينا وقتلتموه ، وانتهبتم امواله وورثتموه ؛ وسبيتم

«١» رحض يده وثوبه غسله وبابه قطع .

«٢» بؤتم اي رجعتم .

«٣» سورة مريم .

«٤» سورة حم السجدة .

نساءه ونكبتموه ، فتبا لكم وسحقا ، ويلكم إتدرون اي دواه دهتكم ؟ واي وزر على ظهوركم حملتم ، واي دماء سفكتموها ، واي كريمة اصبتموها ، واي صبية سلبتموها ، واي اموال انتهبتموها ، قتلتم خير رجالات بعد النبي ، ونزعت الرحمة من قلوبكم ، « ألا ان حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون » «١» .

اقول ؛ نعم نزعت الرحمة من قلوبهم فلم يراعوا طفلة لبكائها ، ولم يرقوا على طفل لحنينه ، بل كانوا يوجعونهم ضربا ، كما قالت سكينة واذا دمعت من احدنا عين قرعوا رأسها بالرمح .

فان يبكي اليتيم اباه شجواً   مسحن سياطهم رأس اليتيم

وقال آخر

واذا حن في السبايا يتيم   جاوبته ارامـــل ويتامى

المطلب الثالث

« في خطبة فاطمة بنت الحسين «ع» بالكوفة »

في البحار يروى عن زيد بن موسى ، قال حدثني ابي عن جدي ع قال خطبت فاطمة الصغرى بعد ان وردت من كربلاء فقالت : الحمد لله عدد الرمل والحصى ؛ وزنة العرش الى الثرى ، احمده واؤمن به واتوكل عليه؛ واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله وان اولاده ذبحوا بشط الفرات ، بغير ذحل ولا تراث ؛ اللهم اني اعوذ بك ان افتري عليك الكذب ، او ان اقول عليك خلاف ما انزلت عليه ،

«١» سورة المجادلة .

من اخذ العهود لوصيه علي بن ابي طالب «ع» المسلوب حقه ، المقتول من غير ذنب ، كما قتل ولده بالامس ، في بيت من بيوت الله ، فيه معشر مسلمة بالسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ، ما دفعت عنه ضيما في حياته ، ولا عند مماته ، حتى قبضته اليك محمود النقيبة ، طيب العريكة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته اللهم للاسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك ، حتى قبضته اليك زاهداً فى الدنيا ، غير حريص عليها ، راغبا في الآخرة ، مجاهداً في سبيلك ، رضيته فاخترته ، وهديته الى صراط مستقيم .

اما بعد : يا اهل الكوفة ؛ يا اهل المكر والغدر والخيلاء ، إنا اهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلاءنا حسنا ، وجعـــل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه ، وحكمته وحجته على الارض في بلاده لعباده ، اكرمنا الله بكرامته ، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ، على كثير ممن خلق تفضيلا بينا ، فكذبتمونا و وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالا ، واموالنا نهبا كأننا اولاد ترك وكابل ، كما قتلتم جدنا بالامس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا اهل البيت ، لحقد متقدم قرت لذلك عيونكم ، وفرحت قلوبكم ، افتراء على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين ، فلا تدعونكم انفسكم الى الجذل (١) بما اصبتم من دمائنا ، ونالت ايديكم من اموالنا ، فان ما اصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة ، في كتاب من قبل ان نبرءها « ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل

(١) الجذل الفرح .

مختال فخور » (١) تبا لكم فانتظروا اللعنة والعذاب ، فكأن قدحل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم (٢) بعذاب ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثم تخلدون في العذاب الاليم يوم القيمة ، بما ظلمتونا ألا لعنة الله على الظالمين ، ويلكم اتدرون اية يد طاعنتنا منكم ؟ واية نفس نزعت الى قتالنا ؟ام باية رجل مشيتم الينا؟ تبغون محاربتنا، والله لقد قست قلوبكم وغلظت اكبادكم ، وطبع على افئدتكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسول لكم الشيطان ، واملى لكم ،وجعل على بصركم غشاوة ؛ فأنتم لا تهتدون ، فتبا لكم يا اهل الكوفة ، اي ترات لرسول الله «ص» قبلكم ، وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن ابي طالب «ع» جدي وبنيه وعترته الطيبين الاخيار ، فافتخر بذلك مفتخركم قائلا :

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فاي نطاح

بفيك ايها القائل الكثكث والاثلب (٣) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، واذهب عنهم الرجس ، فاكظم واقع كما اقعي (٤) ابوك فانما لكل امرء ما اكتسب وما قدمت يداه ، احسدتونا ويلكم على ما فضلنا الله به .

---

(١) سورة الحديد .
(٢) يسحتكم اي يهلككم ويستأصلكم .
(٣) الكثكث والاثلب بالضم والكسر فيهما فتات الحجارة والتراب.
(٤) الاقعاء جلوس الكلب على استه .

فما ذنبنا ان جاش دهراً بحورنا   وبحرك ساج ما يواري الدعامصا (١)

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، قال : فارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب ، وقالوا حسبك يا ابنة الطيبين ، فقد احرقت قلوبنا ، وانضجت نحورنا واضرمت اجوافنا ، فسكتت ويحق للقائل ان يقول :

بنات اكلة الاكباد في كلل   والفاطميات تصلى في الهواجير

وللسيد حيدر الحلي « ره »

من كل باكية تجاوب مثلها   نوحاً بقلب الدين منه اوار
شهدت قفار البيد ان دموعها   منها القفار غدون وهي بحار

المطلب الرابع

« في خطبة السجاد زين العابدين ع بالكوفة »

ذكر ارباب المقاتل : ان السجاد زين العابدين ع خطب خطبة بالكوفة ، غير انهم اختلفوا متى خطبها فبعضهم يرويها عند دخوله الى الكوفة مع الاسارى ، وهو في حالة الاسر يوم الثالث عشر من المحرم ، وبعضهم ذكر : انها كانت بعد الاسر عند رجوعه من الشام الى كربلاء ومنها توجه الى المدينة فكان طريقه على الكوفة وخطب هذه الخطبة .

قال الطبرسي (ره) في كتابه الاحتجاج ثم نزل علي بن الحسين (ع) وضرب فسطاطه وانزل نساءه ودخل الفسطاط ، قال : هذا حذيم ابن بشير الاسدي ، خرج زين العابدين الى الناس ؛ واومى اليهم ان اسكتوا

(١) دعامص جمع دعموص وهي دويبة تغوص في الماء والبيت للاعشى .

فسكتوا ؛ وهو قائم فحمد الله واثنى عليه ؛ وذكر النبي (ص) فصلى عليه ثم قال : ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي ، انا علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) انا ابن من انتهكت حرمته وسلبت نعمته (١) وانتهب ماله وسبي عياله انا المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ، انا ابن من قتل صبراً ؛ وكفى بذلك فخراً ، ايها الناس انشدكم الله هل تعلمون انكم كتبتم الى ابي وخدعتموه واعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه ، فتبا لما قدمتم لانفسكم وسوأة لرأيكم بأية عين تنظرون الى رسول الله (ص) اذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي ? فلستم من امتي ، قال الراوي فارتفعت الاصوات من كل ناحية ويقول : بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون ، فقال : رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي ، في الله وفي رسوله واهل بيته ، فان لنا في رسول الله اسوة حسنة ، فقالوا : بأجمعهم نحن كلنا يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله فانا حرب لحربك وسلم لسلمك ، لناخذن وترك ووترنا ممن ظلمك ونبرأ منه ، فقال (ع) : هيهات هيهات ايتها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات انفسكم اتريدون ان تأتوا إلي كما اتيتم الى آبائي من قبل ? كلا ورب الراقصات فان الجرح لما يندمل ، قتل ابي بالأمس واهل بيته معه ، ولم ينس ثكل رسول الله وثكل ابي وبني ابي ووجده بين لهاتي (٢) ومرارته بين حناجري وحلقي

(١) وفي نسخة اخرى وسلب نعيمه ، والظاهر وسلبت عمته .
(٢) اللهاة اللحمة التي تكون في اقصى الفم .

وغصصه تجري في فراشة (١) صدري ، ومسئلتي ان تكونوا لا لنا ولا علينا ، ثم قال (ع) :

لا غرو ان قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين واكرما
فلا تفرحوا يا قوم ما كان بالذي اصيب حسين كان ذلك اعظما
قتيل بجنب النهر روحي فداؤه جزاه الذي أرداه نار جهنما

وفي البحار يروي مرسلا عن مسلم الجصاص ، قال : دعاني ابن زياد لعنه الله لاصلاح دار الامارة بالكوفة ، فبينا انا اجصص الابواب واذا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة ، فاقبل علي خادم كان معنا ، فقلت مالي ارى الكوفة تضج؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت: من هذا الخارجي ? فقال الحسين بن علي ، قال : فتركت الخادم حتى خرج لطمت وجهي حتى خشيت على عيني ان تذهبا وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر ، واتيت الى الكناس فبينا انا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس ، واذا بالمحامل نحو ثمانين شقة تحمل على اربعين جملا فيها الحرم والنساء واولاد فاطمة الزهراء واذا بعلي بن الحسين (ع) على بعير بغير وطاء وأدواجه تشخب دماً ، وهو يبكي ويقول :

يا امة السوء لا سقياً لربعكم يا امة لم تراع جدنا فينا
لو اننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الاقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم دينا
تصفقون علينا كفكم طربا وانتم في فجاج الارض تسبونا

(١) الفراشة كل رقيق من العظم .

أليس جدي رسول الله ويلكم   اهدى البرية من سبل المضلينا

والذي عظم على بنات الرسالة وزاد اشجانها هو ان نساء الانصار اللاتي ترملن يوم كربلاء وجيء بهن مع عيال الحسين اسارى الى الكوفة تشفعوا فيهن ذوي رحمهن عند ابن زياد (لع) فأمر بتسريحهن وبقيت بنات رسول فوصفها الشاعر بقوله :

لا من بني عدنان يلحظها   ندب ولا من هاشم بطل
الا فتى نهبت حشاشته   كف المصاب وجسمه الفلل

وقال آخر

ذاب فما في جسمه مفصل   الا وفيــــه ألم ثابت
رق له الشامت مما بـــه   ما حال من رق له الشامت

المطلب الخامس

« في دخول السبايا على ابن زياد لعنه الله بالكوفة »

قال الشيخ المفيد (ره) لما وصل رأس الحسين (ع) بالكوفة ووصل ابن سعد من غد يوم وصوله ، ومعه بنات الحسين واهله جلس ابن زياد للناس في قصر الامارة واذن للناس اذنا عاما ، وامر باحضار الرأس فوضع بين يديه وجعل ينظر اليه ويتبسم ودخلت زينب اخت الحسين(ع) في جملتهم متنكرة وعليها اردل ثيابها ، وفي نفس المهموم ، عن الطبري والجزري لبست زينب ابنة فاطمة عليها السلام اردل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال ابن زياد من هذه التي انحازت ناحية ومعها النساء . وقيل : قال :من هذه المتنكرة .فلم تجبه زينب (ع) فاعادها ثانية وثالثة ،

فقالت له بعض امائها هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله فاقبل عليها ابن زياد لعنه الله وقال الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت زينب الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد (ص) وطهرنا من الرجس تطهيرا ، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وغيرنا يابن مرجانة وقال في اللهوف ؛ فقال لها ابن زياد : كيف رأيت صنع الله باخيك الحسين(ع) واهل بيتك ؟ فقالت ما رأيت الا جميلا ، هؤلاءقوم كتب اللهعليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة ، قال الراوي : فغضب ابن زياد وهم بها ليضربها ، فقال له عمروبن حريث : انها امرأة ، والمراة لاتؤاخذ بشيء من منطقها ، ولا تذم على خطابها ، فقال لها ابن زياد لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين (ع) والعصاة المردة من اهل بيتك ، فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت اصلي ، فان كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت فقال ابن زياد هذه سجاعة ولعمري لقد كان ابوها شاعراً سجاعاً ، فقالت : يابن زياد ما للمرأة والسجاعة ، ان لي عن السجاعة لشغلا واني لاعجب ممن يشتفي بقتل أئمته وهو يعلم انهم منتقمون منه في آخرته ، وتكلمت ام كلثوم بمثل هذا الكلام . وقالت : يابن زياد ان كان قد قرت عينك بقتل الحسين (ع) فقد كانت عين رسول الله تقر برؤيته ،وكان يقبله ويمص شفتيه ويحمله واخاه على ظهره فاستعد غداًللجواب.

وقال السجاد لابن زياد : الى كم تهتك عمتي زينب بين من يعرفها ومن لم يعرفها ، فقال ابن زياد من هذا المتكلم فقال انا علي بن الحسين (ع) فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين فقال علي (ع) قد كان لي اخ يقال له علي

ابن الحسين (ع) قتله الناس ، فقال : بل الله قتله ، فقال علي بن الحسين (ع) (الله يتوفى الانفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها) فقال ابن زياد : لك جرأة على رد جوابي يا غلمان خذوا هذا العليل واضربوا عنقه ، قال الراوي : فتعلقت به عمته زينب والتفتت الى ابن زياد (لع) وقالت : حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت اترك لنا هذا العليل . فان اردت قتله ، فاقتلني قبله ، فنظر ابن زياد اليها واليه ساعة . ثم قال عجبا للرحم والله لاظنها ودت اني قتلتها معه دعوه فاني أراه لما به ، فقال السجاد لعمته اسكتي يا عمة حتى اكلمه ، ثم اقبل عليه ، وقال له : أبالقتل تهددني يابن زياد ؟ اما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة ، قال الراوي : ثم امر ابن زياد بعلي بن الحسين (ع) فغل وحمل مع النسوة الى دار كانت الى جنب المسجد الاعظم . فقالت زينب بنت علي لا تدخل علينا عربية الا ام ولد او مملوكة فانهن سبين كما سبينا ، قال وامر ابن زياد (لع) برأس الحسين فطيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها ، قال زيد ابن ارقم «١» مروا علي برأس الحسين (ع) وهو على الرمح وانا في غرفة لي فلما حاذاني سمعته يقرأ هذه الآية (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) «٢» فقف والله شعري ، وناديت يا بن رسول الله : والله ان امرك اعجب واعجب ولما فرغوا من التجوال به في السكك والطرقات امر ابن زياد ان ينصب على خشبة بالصيارفة ، وهو اول رأس صلب في الاسلام على خشبة ، قال فتنحنح الرأس وقرأ سورة

«١» زيد بن ارقم الانصاري من اهل بيعة الرضوان .

«٢» سورة الكهف .

الكهف الى قوله تعالى « آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (١) وعن سلمة ابن كهيل ، قال سمعت رأس الحسين (ع) وهو على الرمح يقرأ هذه الآية « فسيكفيهم الله وهو السميع العليم » (٢) وتارة يسمعونه يقرأ هذه الآية « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » «٣» وعن الحارث ابن وكيدة ، قال : كنت فيمن حمل رأس الحسين ، فسمعته يقرأ سورة الكهف فجعلت اشك في نفسي وانا اسمع نغمة صوت ابي عبد الله ، يا بن وكيدة اما علمت انا معاشر الأئمة أحياء عند ربنا نرزق ، قال ابن وكيدة فقلت في نفسي : اسرق رأسه الشريف ؛ فناداني يا بن وكيدة ليس لك الى ذلك سبيل ، ان سفكهم دمي اعظم عند الله من تسييرهم اياي « فذرهم فسوف يعلمون اذاً لاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون » «٤»

الم تعه يتلوا الكتاب ونوره — يشق ظلام الليل والليل مسدف
رأس ابن بنت محمد ووصيه — للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع — لا منكر منهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية — واصم رزؤك كل اذن تسمع

المطلب السادس

« في خطبة ابن زياد بالجامع وجواب عبد الله بن عفيف له »

«١» الكهف
«٢» البقرة
«٣» الشعراء .
«٤» سورة غافر .

« ومقتل عبد الله ره »

قال ارباب المقاتل والسير : لما قتل الحسين (ع) اظهر ابن زيادالفرح والشماتة بقتله ، وامر مناديه ان ينادي الصلوة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الاعظم وصعد هو على المنبر وقد لاح الفرح والسرور في وجهه المشوم ، فخطب ، وقال في خطبته : الحمد لله الذي اظهر الحق واهله ونصر امير المؤمنين واشياعه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب ، قال الراوي : فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام اليه عبد الله بن عفيف الازدي ، وكان من خيار الشيعة وزهادها ، وكانت عينه اليسرى قـــد ذهبت يوم الجمل والاخرى في صفين، وكان يلازم المسجد الاعظم يصلي فيه الى الليل،فقال يابن زياد الكذاب ابن الكذاب انت وابوك ، ومن استعملك وابوه ، يا عدوالله اتقتلون ابناء النبيين،وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين.

قال الراوي فغضب ابن زياد ، وقال : من هذا المتكلم ؟ فقال : انا المتكلم يا عدو الله ، اتقتل الذرية الطاهرة التي اذهب الله عنهم الرجس وتزعم انك على دين الاسلام ، واغوثاه اين اولاد المهاجرين والانصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان رسول رب العالمين ، قال الراوي : فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت اوداجه ، وقال علي به ، فتبادرت اليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه ، فقامت الاشراف من الازد من بني عمه فخلصوه من ايدي الجلاوزة واخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به الى منزله ؛ فقال ابن زياد : اذهبوا الى هذا الاعمى ، اعمى الازد اعمى الله قلبه كما اعمى عينيه فأتوني به . قال : فانطلقوا اليه فلما بلغ ذلك الازد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم ، قال

وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم الى محمد بن الاشعث وامره بقتال القوم . قال الراوي، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب ، قال : ووصـــل اصحاب ابن زياد الى دار عبد الله بن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه فصاحت بنته يا ابه لقد اتاك القوم من حيث تحذر ، فقال : لا عليك ناوليني سيفي فناولته اياه فجعل يذب عن نفسه وهو يقول :

انا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر   عفيف شيخي وابن ام عامر
كم دارع من جمعكم وحاسر   وبطل جدلتـــه مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول يا ابه ليتني كنت رجلا اخاصم بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة ، قال : وجعل القوم يدورون عليه من كل جهة وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه احد ؛ وكلما جاؤه من جهة صاحت ابنته يا ابه جاؤك من جهة كذا حتى تكاثروا عليه واحاطوا به فقالت ابنته : وا ذلاه يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به ، فجعل يدير سيفه ويقول :

اقسم لو يفتح لي عن بصري   ضاق عليكم موردي ومصدري

قال الراوي : فما زالوا به حتى اخذوه ، وادخل على ابن زياد، فلما رآه قال : الحمد لله الذي اخزاك ، فقال له عبد الله بن عفيف : يا عدو الله وبماذا اخزاني الله « والله لو فرج لي عن بصري » ضاق عليكم موردي ومصدري ، فقال ابن زياد : يا عدو الله ما تقول في عثمان بن عفان ؟ فقال يا عبد بني علاج يابن مرجانة ، وشتمه ما انت وعثمان بن عفان أساء او احسن واصلح ام افسد . والله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي

بينهم وبين عثمان بالعدل والحق ، ولكن سلني عن ابيك وعنك وعن يزيد وابيه ؛ فقال ابن زياد : والله لاسألتك عن شيء او تذوق الموت غصة بعد غصة ، فقال عبد الله بن عفيف : الحمد لله رب العالمين ؛ اما اني قد كنت اسأل ربي ان يرزقني الشهادة من قبل ان تلدك امك ، وسألت الله ان يجعل ذلك على يد العن خلقه وابغضهم اليه ؛ فلما كف بصري يئست من الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرفني الاجابة في قديم دعائي ؛ فقال ابن زياد : اضربوا عنقه فضربت عنقه وصلب في السبخة ، اقول يا لها من سعادة لئن لم يرزق الشهادة بين يدي سيده الحسين فقد رزقها بعده وقتل على محبة الحسين (ع) وابيه ؛ غير ان المصيبة على ابنته كانت تنظر اليه بالدار وقد احاطوا به يريدون اخذه كما نظرت سكينة اباها الحسين (ع) يوم عاشوراء وقد احاط به القوم ضرباً بالسيوف طعناً بالرماح رمياً بالسهام رضخاً بالحجارة قال الشبيبي :

فوجهوا نحوه في الحرب اربعة   السهم والسيف والخطي والحجرا

المطلب السابع

« في ارسال الرؤوس والسبايا الى الشام »

قال المفيد (ره) بعث عبيد الله بن زياد برأس الحسين «ع» فدير في سكك الكوفة كلها وقبائلها : ولما فرغ القوم من الطواف به في الكوفة ، ردوه الى باب القصر فدفعه ابن زياد الى زجر بن قيس (١) ودفع اليه رؤوس اصحابه وسرحه الى يزيد بن معوية وانفذ معه ابابردة

(١) ذكر بعضهم زحر بن قيس بالحاء المهملة .

ابن عوف الازدي ؛ وطارق بن ابى ظبيان في جماعة من اهل الكوفة حتى وردوا بها على يزيد بن معوية بدمشق ، ثم ان عبيد الله بن زياد بعد انفاذه رأس الحسين «ع» امر بنسائه وصبيانه فجهزوا وامر بعلي بن الحسين «ع» فغل بغل الى عنقه ، ثم سرح في اثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العايذ ، وشمر بن ذي الجوشن ؛ فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس الشريف .

قال الراوي : ولما ساروا بالسبايا وقد اخذوا جانب الفرات حتى اذا وردوا الى المنزل وكان منزلا خرباً فوجدوا هناك مكتوباً على الجدار

اترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب
فلا والله ليس لهم شفيع وهم في يوم القيامة في العذاب

ففزعوا وارتاعوا ورحلوا من ذلك المنزل ، وجعلوا يجدون السير الى ان وافوا ديراً في الطريق ، وفيه راهب فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا ايضاً مكتوباً على جدرانه اترجو امة قتلت حسينا الى آخره فسألوا الراهب عمن كتب هذا الشعر ؟ فقال هذا ههنا من قبل ان يبعث نبيكم بخمساءة عام ، ففزعوا من ذلك ورحلوا على غير الجادة متنكبين الطريق العام خوفا من قبائل العرب ان يخرجوا عليهم ويأخذوا الرأس منهم ، وكلما مروا على حي من الأحياء طلبوا منهم العلوفة ويقولون معنا رأس خارجي فلما وصلوا الى تكريت (١) كتبوا الى عاملهـــا بأن يستقبلهم فلما وصل

---

(١) تكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهي الى بغداد اقرب ، قيل سميت بتكريت بنت وائل ، فتحها المسلمون في ايام عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ .

الكتاب اليه امر بالبوقات فضربت والاعلام فنشرت والمدينة فزينت ، ودعى الناس من كل جانب ومكان من جميع القبائل فخرجوا لاستقبالهم وكان كل من سألهم يقولون هذا رأس خارجي خرج علينا بأرض العراق في ارض يقال لها كربلاء فقتله الامير عبيد الله بن زياد (لع) وانفذ برأسه معنا الى الشام ، ثم رحلوا من تكريت وساروا على طريق البر حتى نزلوا بوادي النخلة ، فلما كان الليل سمعوا بكاء نساء الجن على الحسين عليه السلام وهن يقلن :

نساء الجن يبكين شجيات　　ويسعدن بنوح للنساء الهاشميات

ويلطمن خدوداً كالدينار نقيات　　ويندبن حسيناً عظمت تلك الرزيات

ثم رحلوا من وادي النخلة وساروا حتى وصلوا الى لينا (١) وكانت عامرة بالناس فخرجت المخدرات والكهول والشباب ينظرون الى رأس الحسين «ع» ويصلون عليه وعلى جده وابيه ، ويلعنون من قتله ويقولون يا قتلة اولاد الانبياء اخرجوا من بلدنا فخرجوا منها واجتازوها يجدون السير حتى وافوا عسقلان «٢» وامر اميرها فزينوها فرحاً وسروراً بقتل

«١» لينا قال : ياقوت اكبر قرية من كورة بين النهرين التي بين الموصل ونصيبين .

«٢» عسقلان مدينة حسنة على ساحل بحر الشام من اعمال فلسطين يقال لها عروس الشام ، ولها سوران ، وهي ذات بساتين وثمار بها مشهد رأس الحسين «ع» وهو مشهد عظيم وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به ، بنيت في ايام عمر بن الخطاب وخربها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣ .

الحسين ـ ع ـ ثم ساروا منها حتى وصلوا نصيبين (١) وكان الوالي عليها منصور بن الياس فزين البلدة ، ونصبوا الرؤوس في الرحبة من الظهر الى العصر ، قال الراوي : وبات حاملي الرؤوس فيها تلك الليلة حتى الصباح ثم رحلوا منها الى قنسرين (٢) وكانت عامرة بأهلها ، ثم غذروها جادين بالسير حتى وافوا كفر طاب «٣» وكان حصناً صغيراً فلم يدخلوه لأن اهل الحصن منعوهم وسألوهم الماء فلم يسقوهم فرحلوا عنهم واتوا سيبور «٤» ففعلوا كما فعل اهل كفر طاب وعمدوا الى قنطرة كانت قرب بلدهم فهدموها لان لايدخلها قتلة الحسين ـ ع ـ قال الراوي : وشهروا السلاح عليهم فقال لهم خولى اليكم عنا ، فحملوا عليه وعلى اصحابه وقاتلوهم قتالا شديداً ، فلما نظرت ام كلثوم ذلك قالت ما اسم هذه المدينة فقيل لها سيبور فقالت : اعذب الله شرابهم وارخص اسعارهم ورفع ايدي الظلمة عنهم ؛ قال الراوي : فلو ان الدنيا كلها ظلماً وجوراً لما نالهم الا قسط

(١) نصيبين قرية من قرى حلب .

(٢) قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم وكانت عامرة بأهلها الى ان كانت سنة ٣٥١ تفرق عنها اهلها خوفاً من الروم قال : ياقوت فليس بها اليوم الا خان ينزله القوافل ، وعشار السلطان وفريضة صغيرة .

«٣» كفر طاب بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار .

«٤» سيبور موضع معروف ،

وعدل ، ثم ساروا الى ان وصلوا حماة «١» فغلق اهلها الابواب في وجوههم وصعدوا على سورها ، وقالوا والله لا تدخلون بلدتنا ولو قتلنا عن آخرنا ، فلما سمعوا ذلك ارتحلوا منها فوصلوا الى حمص «٢» وكان الامير خالد بن نشيط فزين البلدة فرحاً وسروراً ، قال الراوي · ووقعت حادثة بين اهل حمص وبين حاملي الرؤوس فجعل اهل حمص يرمونهم بالحجارة حتى قتل في ذلك اليوم ستة وعشرون فارساً ،ثم اغلقوا الباب في وجوههم فقال بعضهم : يا قوم أكفر بعد ايمان ، فخرجوا وتحالفوا ان يقتلوا خولى بن يزيد ويأخذوا منه الرأس ليكون فخراً لهم الى يوم القيمة ، فبلغهم ذلك فرحلوا عنهم خائفين واتوا بعلبك «٣» فأظهر اهلها الفرح والسرور

«١» حماة بالفتح مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار وهي قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره ،كانت عمل حمص .

«٢» حمص بلد مشهور قديم مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة ؛ وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق ، يذكر ويؤنث ؛ وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد علي بن ابي طالب «ع» فيه موضع اصبعه ، وقبر سفينة مولى رسول الله «ص» واسم سفينة مهران ـ ويقال بها قبر قنبر مولى علي بن ابي طالب «ع» ويقال ان قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه ميثا التمار بالكوفة ؛ (اما قبر ميثم فهو الآن مشيد يزار بالكوفة) وبحمص قبور لاولاد جعفر بن ابي طالب عليه السلام الى غير ذلك من المشاهد.

«٣» بعلبك مدينة قديمة فيها ابنية عجيبة وآثار عظيمة ، وهو اسم مركب من بعل اسم صنم وبك اصله عنقه اي دقها وتباك القوم اي

واستقبلوا حاملي الرؤوس بالماء والفقاع والسويق والسكر ، وهم يغنون ويصفقون له فرحين بقتل الحسين — ع — ، فلما نظر السجاد الى ذلك انشأ يقول :

هو الزمان فلا تفنى عجائبه عن الكرام ولا تفنى مصائبه
فليت شعري الى كم ذا تجاذبنا صروفه والى كم ذا نجاذبه
يسيرونا على الاقتاب عارية وسائق العيس يحمي عنه غاربه
كأننا من اسارى الروم بينهم او كلما قاله المختـار كاذبه

وقال آخر :

فمن بلدة تسبى الى شر بلدة ومن ظالم تهدى الى شر ظالم

المطلب الثامن

« في وصول السبايا والرؤوس الى دمشق الشام »

قال ارباب المقاتل في الحوادث التي جرت في طريق الشام على السبايا منها انهم لما وصلوا الى جبل جوشن (١) بالسبي اسقطت زوجة الحسين

ازدحموا ؛ قيل بعلبك كانت مهر بلقيس وبها قصر سليمان بن داود — ع — وهو مبني على اساطين الرخام ، وبها قبر الياس النبي — ع — وبقلعتها مقام ابراهيم الخليل —ع— وبها قبر اسباط .

«١» جوشن جبل مطل على حلب في غربها ، وفي سفحه مقابر ومشاهد للشيعة . هكذا ذكر ياقوت في المعجم ، قال : ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه ، ويقال انه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي الله عنه ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملا ، فاسقطت هناك ؛

ولداً كانت قد سمته محسنا فدفنوه هناك ولما وصلوا الى دمشق الشام وكان في اليوم الاول من شهر صفر ذكر البهائي في كتابه الكامل ، قال : واوقفوا اهل البيت على باب الشام ثلاثة ايام حتى زينوا البلدة ، قال الراوي: وخرج اهل الشام بالدفوف والطبول ، فلما بلغ السبي جيرون (١) كان يزيد على سطح قصره فلاحت له الرؤوس والسبايا انشأ قائلا :

لما بدت تلك الرؤوس واشرقت   تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت نح او لاتنح   فلقد قضيت من النبي ديوني

وفي البحار قال السيد «ره» فلما قربوا من دمشق الشام دنت ام كلثوم من الشمر ، فقالت له : لي اليك حاجة ، فقال لها : ما حاجتك ؟ فقالت : اذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نظاره وتقدم اليهم ان يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل فقد خزينا من كثرة النظر الينا ، ونحن في هذه الحالة فأمر اللعين في جواب سؤالها بالعكس ان تجعل الرؤوس على الرماح ما بين المحامل بغياً منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظارة على

فطلبت من الصناع خبزاً او ماء فشتموها ومنعوها ، فدعت عليهم فمن ذلك اليوم من عمل فيه لا يربح ، وذكرت هذا الخبر في كتابي ـ الدعوات المستجابة ـ وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة والسقط يسمى محسن بن الحسين رضي الله عنه .

«١» جيرون بناء عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود ـ ع ـ وقيل ان من بني دمشق جيرون بن عاد بن اروم بن سام بن نوح ؛ وبه سمي باب جيرون ، وقال ابو عبيدة : جيرون عمود عليه صومعة ، «معجم البلدان» .

تلك الصفـــة ، حتى اتى بهم باب دمشق فوقفوا على درج باب المسجد ـ الجامع ـ حيث يقام السبي ، قال سهل الساعدي (١) : دخلت الشام فرأيت الاسواق معطلة والدكاكين مقفلة والناس في فرح وسرور ، فقلت في نفسي ألاهل الشام عيد لا اعرفه . قال : فرأيت جماعة يتحدثون فقلت : ما لي ارى الناس في فرح وسرور ؟ فقالوا كأنك غريب . قلت: نعم ، فقالوا ما اعجبك ان السماء لا تمطر دماً والارض لا تنخسف بأهلها، قلت : ولم ذاك ؟ قالوا هذا رأس الحسين ـع ـ يهدى من العراق ، فقلت واعجباه يهدى رأس الحسين والناس يفرحون ، ثم قلت لهم من اي باب يدخل فأشاروا إلي الى باب يقال له باب الساعات ، قال فبينا انا كذلك واذا بالرايات يتلو بعضها بعضها واذا نحن بفارس يحمل سنانا عليه رأس من اشبه الناس وجها برسول الله (ص) ومن خلفه النساء على الجمال بغير غطاء ووطاء ، فدنوت من احدى النساء ، وقلت لها يا جارية من انت فقالت انا سكينة ابنة الحسين ـ ع ـ فقلت لها ألك حاجة فأقضيها سيدتي انا سهل الساعدي ممن رأى جدك رسول الله وسمع حديثه ، قالت يا سهل قل لحامل هذا الرأس ان يقدم الرؤوس امامنا حتى يشغل الناس بالنظر اليها ، قال : فدنوت من حامل الرأس فقلت له هل لك ان تقضي حاجتي وتأخذ مني اربعماءة دينار ، قال : وما هي ؟ قلت : تقدم الرأس امام المحامل ففعل ذلك ، ودفعت اليه ما وعدته قال الراوي : وجاءشيخ الى السجاد ـع ـ وقال : الحمد لله الذي قتلكم واهلككم واراح البلاد منكم

(١) سهل بن سعد الساعدي : كان من جملة الصحابة ، ومن الحفاظ وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة رحمه الله .

وامكن امير المؤمنين يزيد منكم ، فقال علي بن الحسين - ع - : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، فقال : هل قرأت هذه الآية « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » قال الشيخ قد قرأت ذلك ، قال : فنحن ذو القربى فهل قرأت هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، قال الشيخ : قد قرأت ذلك فقال السجاد - ع - نحن اهل البيت الذي خصصنا بآية التطهير ، فبقى الشيخ ساكتا نادما على ما تكلم به ، ثم قال بالله انكم هم فقال علي بن الحسين تالله انا هم فبكى الشيخ ورمى بعمامته ورفع رأسه الى السماء ، وقال اللهم اني ابرأ اليك من عدو آل محمد من الجن والانس ، ثم قال سيدي هل لي من توبة فقال علي السجاد - ع - نعم ان تبت تاب الله عليك ، وانت معنا ، قال انا تائب ، ويروى انه بلغ يزيد ذلك أمر بقتله ، قال الراوي : وانشأ السجاد يقول :

اقاد ذليلا في دمشق كأنني　من الزنج عبد غاب عنه نصير
وجدي رسول الله في كل مشهد　وشيخي امير المؤمنين امير
فيا ليت امي لم تلدني ولم اكن　يراني يزيد في البلاد اسير

وقال الشاعر :

ما لي اراك ودمع عينك جامد　او ما سمعت بمحنة السجاد
ويصيح وا ذلاه اين عشيرتي　وسراة قومي اين اهل ودادي
منهم خلت تلك الديار وبعدهم　نعب الغراب بفرقتي وبعاد

المطلب التاسع

« في دخول السبايا والسجاد والرأس الشريف على يزيد »

روى المجلسي -ره- في البحار قال وادخلوا السبايا على يزيد ، وكان يزيد جالسا على السرير ، وعلى رأسه تاج مكلل بالدرر والياقوت ،وحوله كثير من مشايخ قريش فلما دخل حامل الرأس انشأ يقول :

أوقر ركابي فضة او ذهبا   اني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس اماً وابا   وخيرهم اذ ينسبون النسبا

وذكر المفيد ، وابن نما ، روي عن عبد الله بن ربيع الحميري ، قال انا لعند يزيد معاوية بدمشق ، اذ اقبل زجر بن قيس حتى دخل عليه ، فقال له يزيد ويلك ما وراءك وما عندك ؟ قال ابشر يا امير المؤمنين ، بفتح الله ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من اهل بيته وستين من شيعته فسرنا اليهم فسألناهم ان يستسلموا ، او ينزلوا على حكم الامير عبيد الله ، او القتال فاختاروا القتال على الاستسلام ، فغدونا عليهم مع شروق الشمس واحطنا بهم من كل ناحية ، حتى اذا اخذت السيوف ماخذها من القوم جعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون منا بالا كام والحفر لوذاً كما لاذ الحمام من الصقر ، فو الله يا امير المؤمنين ، ما كان الا جزرة جزور او نومة قائل ، حتي اتينا على آخرهم ، فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة ، وخدودهم معفرة ، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح زوارهم الرخم والعقبان ، فاطرق يزيد هنيئة ، ثم رفع رأسه ، وقال : قد كنت ارضي من طاعتكم بدون قتل الحسين -ع- اما اني لو كنت صاحبه

لعفوت عنه ، وعن ربيعة بن عمرو الجرشي ، قال : وكنت انا عند يزيد اذ سمعت صوت مخفر يقول هذا مخفر بن ثعلبة اتى باللئام الفجرة ، فاجابه مجيب ما ولدت ام مخفر شر وألأم منه ، قال السيد «ره» ادخل ثقل الحسين -ع- ونساءه ومن تخلف من اهله على يزيد وهم مقرنون بالحبال ، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحالة . قال له علي بن الحسين انشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله «ص» لو يرانا على هذه الحالة ، قال : فامر يزيد (لع) بالحبال فقطعت ، ثم وضع رأس الحسين بين يديه واجلس النساء خلفه لان لا ينظرن اليه ، قالت فاطمة ابنة الحسين ، وقام شامي احمر ، والتفت الى يزيد وقال له ياامير هب لي هذه الجارية تكون خادمة لي ، يعنيني بذلك ، فارعدت وظننت ان ذلك جايز لهم ، فاخذت بثياب عمتي زينب ، وقلت لها : عمة اوتمت على صغر سني واستخدم لاهل الشام ، وكانت تعلم ان ذلك لا يكون ، فقالت له عمتي : ما كان ذلك لك ولا لاميرك ، فقال يزيد : كذبت والله ان ذلك لي لو شئت ان افعل لفعلت قالت : كلا ما جعل الله لك ذلك . الا ان تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا فاستطار يزيد غضباً . وقال : اياي تستقبليني بهذا الكلام انما خرج عن الدين ابوك واخوك ، قالت زينب : بدين الله ودين جدي وابي اهتديت انت وابوك ان كنت مسلما . قال : كذبت ياعدوة الله ، قالت له : انت امير تشتم ظالما ، وتقهر بسلطانك ، فكانه استحى وسكت فاعاد الشامي مقالته ، هب لي هذه الجارية ؟ فقال له يزيد اعزب عن هذا وهب الله لك حتفاً قاضياً ، ثم ان يزيد جعل ينكث ثنايا الحسين وهو يقول:

نفلق هاماً من رجال أعزة   علينا وهم كانوا اعق واظلما

المطلب العاشر

« في خطبة العقيلة زينب في مجلس يزيد »

لما جيء بالسبايا والرؤوس الى يزيد (لع) جعل ينكث ثناياالحسين بقضيب الخيزران. وهو يتمثل بابيات ابن الزبعرى، وزاد عليها قائلا :

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج مع وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحا   ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم   وعدلنا ميل بدر فاعتدل
واخذنا من علي ثارنا   وقتلنا الفارس الشهم البطل
لست من خندف ان لم انتقم   من بني احمد ما كان فعل

قال السيد (ره) وغيره : فقامت زينب بنت علي بن ابي طالب عليهاالسلام، وقالت الحمدلله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله اجمعين صدق الله سبحانه حيث يقول « ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايآت الله وكانوا بها يستهزئون » (١) اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء فاصبحنا نساق كما تساق الاماء، ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة ؛ وان ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بانفك ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاتنا فمهلا مهلا لا تطش جهلا، انسيت قول الله تعالى « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم

(١) سورة الروم .

خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » (١) امن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن وابديت وجوههن وصحلت اصواتهن تحدوا بهن الاعداء من بلد الى بلد ويستشرفهن اهـــل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والشريف والدني ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن حمي ، وكيف ترتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنأن والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم ، داعيـــاً باشياخك : ليت اشياخي ببدر شهدوا ، منحنياً على ثنايا ابي عبد الله سيد شباب اهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة باراقتك دماء ذرية محمد «ص» ونجوم الارض من آل عبد المطلب اتهتف باشياخك زعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت ، اللهم خذلنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك عن سفك دمائنا ؛ وقتل حماتنا ، فو الله يا يزيد ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله «ص» بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته ، في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » (٢) وحسبك بالله حاكما

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة آل عمران .

وبمحمد خصيما ، وبجبريل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا ، وايكم شر مكانا واضعف جندا ، يزيد ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك ، اني لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى ، ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الايدي تنطف من دمائنا والافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها امهات الفراعل ، ولان اتخذتنا مغنما ، لتجدن وشيكا مغرما ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد (١) ، فالى الله المشتكى ، وعليه المعول ، فكد كيدك واسع سعيك ، وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ، ولا تدرك امدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند وايامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله الذي ختم لاولنا بالسعادة والمغفرة ؛ ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله تعالى ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

فقال يزيد في جوابها :

يا صيحة تحمد من صوائح ما اهون النوح على النوائح

قال الشاعر :

واعظم ما يشجي الغيور دخولها الى مجلس ما بارح اللهو والخمرا
يقارضها فيه يزيد مسبة ويصرف عنها وجهه معرضا كبرا

(١) سورة

المطلب الحادي عشر

ذكر صاحب كتاب بحر المصائب ان يزيد بن معاوية دعا بخطيب وكان فصيح اللسان قليل المعرفة بربه ، فقال له : اجمع الناس بالجامع واصعد المنبر فسب عليا واولاده ، ففعل ما امره به وزاد واكثر في مدح يزيد ، فلما سمعه زين العابدين ، قام قائماً على قدميه ، وقال : ايها الخطيب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من النار ثم التفت الى يزيد (لع) وقال اتأذن لي حتى اصعد هذه الاعواد واتكلم بكلمات لله فيهن رضاً ولهؤلاء الجلساء فيهن اجر وثواب ، قال فابى يزيد عليه ، فقال له الناس : يا امير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر ، فلعلنا نسمع منه شيئاً ؛ فقال : اذا انه صعد لم ينزل الا بفضيحتي وفضيحة آل ابي سفيان ، فقيل له يا امير وما قدر ما يحسن هذا العليل ، فقال انه من اهل بيت قد زقوا العلم زقاً ، قال : ولم يزالوا به حتى اذن له فصعد المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال : ايها الناس احذركم الدنيا فانها دار زاول ؛ وهي افنت القرون الماضية ، وهم كانوا اكثر منكم اموالا واطول اعماراً ، وقد اكل التراب لحومهم ؛ وغير احوالهم ، افتطمعون بعدهم بالبقاء ، هيهات هيهات ، لابد باللحوق والملتقى ، فتذكروا ما مضى من اعماركم ، وما بقى ، وافعلوا فيه ما سوف يلتقى عليكم بالاعمال الصالحة قبل انقضاء الاجل ، وفروغ الامل ، فعن قريب تؤخذون من القصور الى القبور ، وبافعالكم تحاسبون ، فكم والله من فاجر قد استكملت عليه الحسرات ، وكم من عزيز قد وقع في مسالك المهلكات ، حيث لا ينفع

الندم ، ولا يغاث من ظلم (ووجـدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احدا) «١». ثم قال : ايها الناس اعطينا ستاً وفضلنا بسبع اعطينا العلم ، والحلم ، والسماحة ، والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين . وفضلنا بان منا النبي المختار ، ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا اسد الله واسد رسوله ، ومنا سبطا هذه الامة ، ومنا مهديها ، ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي ، ايها الناس ابن مكة ومنى انا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الركن باطراف الرداء انا ابن خير من ائتزروا رتدى ، انا ابن خير من انتعل وحتفى ، انا ابن خير من طاف وسعى ، انا ابن خير من حج ولبى ، انا ابن من حمل على البراق في الهواء ، انا ابن من اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . انا من بلغ به جبريل الى سدوة المنتهى ، انا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ، انا ابن من صلى بملائكة السماء مثنى مثنى ، انا ابن من اوحى اليه الجليل ما اوحى ، انا ابن محمد المصطفى ، انا ابن علي المرتضى ، انا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا اله الا الله ، انا من ضرب بين يدي رسول الله «ص» بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، انا ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين ، وتاج البكائين ، وزين العابدين ، واصبر الصابرين ، وافضل القائمين من آل طه وياسين ، ورسول رب العالمين ، انا ابن المؤيد بجبريل ، المنصور بميكائيل ، انا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل المارقين ، والناكثين والقاسطين ،

(١) سورة الكهف .

والمجاهد اعداءه الناصبين ؛ واول من استجاب لله ولرسوله من المؤمنين ، واول السابقين وميبد المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين ، وناصر دين الله ، وولي امر الله ، وعيبة علمه ، سمح سخي بهي ، بهلول زكي ، ابطحي ، رضي ، مقدام همام ، صابر صوام ، مهذب قوام ، قاطع الاصلاب ، ومفرق الاحزاب ، أربطهم عنانا ، وامضاهم عزيمة ، واشدهم شكيمة ، اسد باسل يطحنهم في الحروب اذا ازدلفت الاسنة ، واقتربت الاعنة طحن الرحا ، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وكبش العراق ، مكي ، مدني ، خيفي ، عقبي ، بدري ، احدي مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغى ليثها ، وارث المشعرين ، وابو السبطين الحسن والحسين ، ذاك جدي علي بن ابي طالب -ع- ، ثم قال : انا ابن فاطمة الزهراء انا ابن سيدة النساء انا ابن خديجة الكبرى ، انا ابن المقتول ظلما ، انا ابن محزوز الرأس من القفا ، انا ابن العطشان حتى قضى ، انا ابن طريح كربلا ، انا ابن مسلوب العمامة والرداء ، انا ابن من بكت عليه ملائكة السماء ، انا ابن من ناحت عليه الجن في الارض والطير في الهواء ، انا ابن من رأسه على سنان يهدى ، انا ابن من حرمه من العراق الى الشام تسبى ، فلم يزل يقول انا انا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد ان تكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام ، فلما قال الله اكبر قال علي -ع- لا شيء اكبر من الله ، فلما قال المؤذن اشهد ان لا إله الا الله ، قال علي شهد بذلك لحمي وعظمي ودمي ، فلما قال المؤذن اشهد ان محمداً رسول الله «ص» التفت السجاد من فوق المنبر الى يزيد ، وقال : يا يزيد محمد «ص» هذا جدي ، جدي ام جدك ؟ فان زعمت انه

جدك فقد كذبت وكفرت وان زعمت انه جدي فلم قتلت عترته وسبيت نساءه ، ثم التفت الى المجلس ، وقال : معاشر الناس هل فيكم من جده رسول الله «ص» فعلت الاصوات بالبكاء والنحيب .

وعلى يزيد ضحى بمجلسه ... قد اوقفتها المعشر السفل
لا من بني عدنان يلحظها ... ندب ولا من هاشم بطل
الا فتى نهبت حشاشته ... كف المصاب وجسمه العلل

المطلب الثاني عشر

« في ذكر بعض ماجرى في مجلس يزيد (لع) »

ذكر السيد بن طاووس « ره » قال يروى انه كان في مجلس يزيد ابن معاوية حبر من احبار اليهود ، فقال : من هذا الغلام ? فقال له يزيد هو علي بن الحسين ، قال : ممن علي بن الحسين ، قال : ابن علي بن ابي طالب قال فمن امه ? قال : امه فاطمة بنت محمد «ص» فقال الحبر ياسبحان الله فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه بئسما خلفتم نبيكم في ذريته ، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطا من صلبه لظننت انا كنا نعبده من دون ربنا وانتم بالامس فارقتم نبيكم وو ثبتم اليوم على ابنه فقتلتموه سوءة لكم من امة قال : فامر يزيد به فوجيء في حلقه ثلاثاً ، فقام الحبر وهو يقول : ان شئتم فاضربوني واقتلوني فاني اجد في التورية ان من قتل ذرية نبي لا يزال ملعونا ابداً ما بقى ، فاذا مات يصليه الله نار جهنم ، وروي عن زين العابدين قال لما اتي برأس الحسين الى يزيد بن معاوية كان يتخذ مجالس الشراب ويأتي برأس الحسين «ع» ويضعه بين يديه ويشرب عليه فحضر في

مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم وكان من اشراف الروم وعظمائهم ، فقال : يا امير هذا رأس من ؟ فقال يزيد : ما لك ولهذا الرأس ؟ فقال : اني اذا رجعت الى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته ، فاحببت ان اخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور ، فقال يزيد : هذا رأس الحسين بن علي بن ابي طالب ، فقال الرومي : ومن امه ؟ فقال فاطمة بنت رسول الله «ص» فقال الرومي أف لك ولدينك لي دين احسن من دينك ان ابي من احفاد داود وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظموني ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركا بي حيث اني من احفاد داود وانتم تقتلون ابن بنت رسول الله ، وما بينه وبين نبيكم الا واحدة فاي دين دينكم ؟ ثم قال ليزيد : هل سمعت حديث كنيسة الحافر ؟ فقال له قل حتى اسمع ، فقال بين عمان والصين بحر مسيره سنة ليس فيه عمران الا بلدة واحدة في وسط الماء طولها ثمانون فرسخا في ثمانين وما على وجه الارض بلدة اكبر منها ومنها يحمل الكافور والياقوت واشجارها العود والعنبر وهي بلدة في ايدي النصارى لاملك لأحد من الملوك فيها سواهم ، وفي تلك البلدة كنايس كثيرة اعظمها كنيسة الحافر فيها حقة من ذهب معلقة فيها حافر يقولون ان هذا حافر حمار كان يركبه عيسى وقد زينوا الموضع حول الحقة بالذهب والديباج يقصدها في كل عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبلونها ويطلبون حوائجهم من الله فيها ، هذا شأنهم ودأبهم وتقديرهم لحافر حمار يزعمون انه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم ، وانتم تقتلون ابن بنت نبيكم فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم ، فقال يزيد : اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في

بلاده ، فلما احس النصراني بذلك قال له تريد ان تقتلني ؟ قال نعم ، قال اعلم اني رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول لي : يا نصراني انت من اهل الجنة فتعجبت من كلامه ، وانا الآن اشهد ان لا إله الا الله ، وان محمداً رسول الله ، ثم وثب الى رأس الحسين فضمه الى صدره ، وجعل يقبله ويبكي ، حتى قتل رضوان الله عليه ، وذكر المجلسي . قال : ثم اقبل يزيد على اهل مجلسه وقال ان هذا يعني (الحسين) كان يفخر ويقول اني خير من اب يزيد ، وجدي خير من جده ، وانا خير منه ، فهذا الذي قتله ، فاما قوله بان ابي خير من اب يزيد فلقد حاج ابي اباه فقضى الله لابي على ابيه ، واما قوله بان امي خير من ام يزيد فلعمري لقد صدق ان فاطمة بنت رسول الله خير من امي واما قوله جدي خير من جده فليس لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بانه خير من محمد ، واما قوله بانه خير مني فلعله لم يقرأ هذه الآية « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شـــيء قدير » (١) ثم جعل ينكث ثنايا الحسين بالخيزرانة ويفرق بين شفتيه (*)

وان ثغراً رسول الله يلثمه بالخيزران يزيد الرجس يقرعه
ولثغره يعلو القضيب وطالما شغفاً بـــه كان النبي مقبلا

(*) فائدة ـ عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرضا يقول : لما حمل رأس الحسين الى الشام امر يزيد بن معاوية فوضع في طشت ونصبت عليه المائدة فاقبل هو واصحابه يأكلون ويشربون الفقاع ، فلما فرغوا امر بالرأس فوضع تحت سريره ، وبسط عليه رقعة الشطرنج وجلس يلعب

المطلب الثالث عشر

« في ما جرى على السبايا في مجلس يزيد »

ذكر صاحب نفس المهموم : عن المناقب وغيره ، روي ان يزيد ابن معوية اقبل على عقيلة الهاشميين « زينب بنت علي عليهاالسلام » وسألها ان تتكلم فاشارت العقيلة الى علي بن الحسين ـ ع ـ وقالت : هو سيدنا وخطيب القوم ، فانشأ السجاد يقول :

لا تطمعوا ان تهينونا فنكرمكم وان نكف الاذى منكم وتؤذونا
الله يعلم انا لا نحبكم ولا نلومكم ان لم تحبونا

فقال يزيد صدقت يا غلام ، ولكن اراد ابوك وجدك ان يكونا اميرين ؛ والحمد لله الذي قتلهما وسفك دماءهما . فقال السجاد يا يزيد لم تزل النبوة والامرة لآبائي واجدادي من قبل ان تولد ، ولقد كان جدي علي بن ابي طالب ـ ع ـ في يوم بدر واحد والاحزاب ، في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وابوك وجدك في ايديهما رايات الكفار فقال اللعين ابوك قطع رحمي وجهل حقي ، ونازعني سلطاني ففعل الله به ما رأيت ، ثم تلا هـذه الآية « وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت

ـ بالشطرنج ويذكر الحسين واباه وجده صلوات الله عليهم ويستهزيء بذكرهم فمتى قمر صاحبه تناول الفقاع وشرب منه ثلاثا وصب فضلته مما يلي الطشت من الارض ـ الفقاع ـ الشراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزبد .

ايديكم » (١) فقال علي بن الحسين ـ ع ـ كلا ماهذه فينا نزلت، انما نزلت فينا « ما اصابكم من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختار فخور » (٢) فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا منها ؛ فغضب يزيد ، وجعل يلعب بلحيته وشاور جلساءه في امره ، فاشاروا عليه بقتله، فابتدر ابو جعفر الباقر ـ ع ـ بالكلام « وله من العمر ثلاث سنين » فحمد الله واثنى عليه . ثم قال ايزيد يا يزيد، لقد اشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه، حيث شاورهم في امر موسى وهرون فانهم قالوا « أرجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم » (٣) وقد اشاروا هؤلاء عليك بقتلنا ولهذا سبب ، فقال يزيد وما السبب فقال ـ ع ـ ان هؤلاء كانوا لرشدة ، وهؤلاء لغير رشدة ، ولا يقتل الانبياء واولادهم الا اولاد الادعياء ، فامسك يزيد مطرقا ومتعجبا من كلام ابي جعفر عليه السلام كما اعجب الحاضرون لنباهته مع صغر سنه ؛ وذكر المجلسي في البحار : انه لما حمل علي بن الحسين عليه السلام الى يزيد «لع» وهم يزيد يضرب عنقه ، فاوقفه بين يديه؛ وهو يكلمه ويستنطقه بكلام ليوجب به قتله ، وعلي عليه السلام يجيبه حيث ما يكلمه ، وكانت في يد السجاد سبحة صغيرة يديرها باصابعه وهو يتكلم ، فقال له يزيد « لع » انا اكلمك وانت تجيبني وفي يدك

(١) سورة الشورى
(٢) سورة الحديد
(٣) سورة الشعراء

سبحة تلهو بها فكيف يجوز لك ذلك ، فقال ـع ـ : حدثني ابي عن جدي انه كان اذا صلى الغداة وانفتل لا يكلم احداً حتى يأخذ سبحة بيديه ، فيقول اللهم اني اصبحت اسبحك ، واحمدك ، واهللك واكبرك واحمدك بعدد ما ادير به سبحتي ويأخذ السبحة في يده ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير ان يتكلم بالتسبيح ؛ وذكر ان ذلك محتسب له وهو حرز له الى ان يأوى الى فراشه ، فاذا آوى الى فراشه ، قال مثل ذلك القول ، ووضع السبحة تحت رأسه فهي محسوبة له من الوقت الى الوقت ، وانا افعل هذا اقتداء بجدي ، فقال يزيد مرة بعد اخرى لست اكلم احداً منكم ، الا ويجيبني بما يفوز به . قال الراوي وعفا عنه . ووصله وامر باطلاقه ، وفي رواية اخرى ، انيزيد لما عزم على قتل علي بن الحسين ـع ـ قام رجل شامي وقال يا امير إئذن لي حتى اضرب عنقه ؛ فلما سمعت زينب قوله القت بنفسها عليه . وقالت يا يزيد حسبك من دمائنا ، وقال له السجاد يا يزيد اذا كنت قد عزمت على قتلي فابعث من يرد هذه النسوة الى المدينة قال الراوي فرق له يزيد وعفا عنه وقال الشاعر :

رق له الشامت مما به ما حال من رق له الشامت

المطلب الرابع عشر

« في ما جرى للسبايا بالخربة في الشام »

قال السيد في اللهوف : امر يزيد بن معاوية بهم ـ اي سبايا الحسين ـ الى منزل لا يكنهم من حر ولا يقيهم من برد ، فاقاموا به حتى تقشرت وجوههم ، وكانوا مدة اقامتهم في البلد المشار اليه ـ اي الشام ـ

ينوحون على الحسين ـع ـ ، وقال الصدوق في اماليه ، ثم ان يزيد لعنه الله امر بنساء الحسين ـع ـ فحبسن مع علي بن الحسين ـ ع ـ في محبس لايكنهم من حر ولا قر ، حتى تقشرت وجوههم ، وقال ابن نما في مقتله ؛ واسكن في مساكن لا يقين من حر ولا برد ، حتى تقشرت الجلود وسال الصديد بعد كن الخدور ، وظل الستور ، والجزع مقيم والحزن لهن نديم ، وفي تلك الخربة ماتت رقيــــة بنت الحسين ـع ـ ، ذكرها صاحب نفس المهموم ، عن كامل البهائي . والسيد في الايقاد ، في زيادة ونقصان يروون انه كانت للحسين بنت صغيرة لها من العمر اربع سنين ، فانتبهت ليلة من منامها وقالت اين ابي الحسين ، فاني رأيته في المنام ، فلما سمعن النسوة ذلك جعلن يبكين وبكى معهن سائر الاطفال وارتفع العويل والصراخ ، فانتبه يزيد من نومه ، وقال : ما الخبر فحققوا عن هذا الصراخ واخبروه ان بنتاً للحسين رأت اباها في منامها فانتبهت وهي تطلبه ، فامرهم ان يذهبوا برأس ابيها اليها ، فلما اتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها . قالت ما هذا ؟ فقيل لها : رأس ابيك الحسين ـع ـ ففزعت الطفلة وصاحت وا أبتاه من ذا خضبك بدمائك ، يا ابتاه من الذي قطع وريديك ، يا ابتاه من الذي ايتمني على صغر سني ، يا ابتاه من لليتيمة حتى تكبر ، يا ابتاه من للنساء الحاسرات والارامل المسبيات ، يا ابتاه ليتني لك الفدا ، يا ابتاه ليتني قبل هذا اليوم عميا ، قال الراوي ثم وضعت فمها على فم ابيها وجعلت تئن حتى غشي عليهـــا وسكن انينها فحركوها واذا بها ميتة ، فارتفعت الاصوات وعلا الصراخ من السبايا حتى الصباح ، واخبر يزيد

بوفاة الطفلة ؛ فأمر بغسلها و كفنها ودفنها «١». قال الراوي : ومكثوا في تلك الخربة اياما ، وربما كان السجاد يخرج خارج الخربة ، حتى قال المنهال بن عمر ، كنت اتمشى في اسواق دمشق ، واذا انا بعلي بن الحسين عليه السلام يمشي ويتوكأ على عصى في يده ورجلاه كأنهما قصبتان ، والصفرة قد غلبت عليه ، قال : فخنقتني العبرة لما رأيته بتلك الحال ، فقلت له : سيدي كيف اصبحت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : يا منهال و كيف يصبح من كان اسيراً ليزيد بن معاوية ، يا منهال اصبحت العرب تفتخر على العجم بان محمداً منها واصبحت قريش تفتخر على سائر العرب بان محمداً منها ، وانا عترة محمد اصبحنا مقتولين مذبوحين مأسورين مشردين شاسعين عن الامصار ، كأننا اولاد ترك او كابل ، هذا صاحبنا اهل البيت ، ثم قال : يا منهال ان الحبس الذي نحن فيه ليس له سقف والشمس تصهرنا فافر سويعة لضعف بدني وارجع الى عماتي واخواتي خشية على النساء ، قال المنهال : فبينا اخاطبه ويخاطبني واذا انا بامرأة قد خرجت من الحبس وهي تناديه فتركني ورجع اليها فحققت عنها ، فقيل لي هي عمته زينب ، وهي تقول له الى اين تمضي يا قرة عيني

يعظمون له اعواد منبره ... وتحت ارجلهم اولاده وضعوا

باي حكم بنوه يتبعونكم ... وفخركم انكم صحب له تبع

«١» ان لهذه الطفلة وهي رقية بنت الحسين مشهد معروف بدمشق الشام وضريح مشهد يزار ، ويتبرك به المسلمون ، في عاصمة الامويين ؛ وكل من يزورها تهيمن عليه الاحزان وتأخذ الكئابة منه مأخذها فيخشع قلبه وتجري دموعه على ضريحها المنور .

المطلب الخامس عشر

« في اظهار ندم يزيد وانكاره على ابن مرجانة »

لم ينجح يزيد بن معاوية بما دبره في بادیء الأمر عند دخول السبايا الى دمشق الشام ، وما موه به على اهلها وما اشاعه من البهتان والكذب الصريح بان هؤلاء السبايا خوارج ، خرجوا عليــــه فقتل رجالهم وسبي ذراريهم واتضح للناس خداعه ومكره وذهب عمله سدى لما ظهرت من الكرامات للرأس الشريف ، وتلاوته للايات ، وكلام السجاد مع الشامي الذي قال له : الحمد لله الذي فضحكم فاجابه السجاد على رؤوس الاشهاد ، الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد «ص» وسؤاله هل قرأت هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » فعلم كل من سمع ان هؤلاء آل رسول الله ، والقضايا التي صدرت في مجلسه من خطبة الحوراء زينب وخطبة السجاد ، وكلام ابي جعفر الباقر ـ ع ـ ، وكلام السجاد مع المنهال بن عمر ، الى غير ذلك من القضايا المذكورة ، في كتب التاريـــخ والسير ، فما مضى على تمويه يزيد على اهـــل الشام الا ايام حتى تحقق لأهل الشام اجمع ان هؤلاء ذرية رسول الله . وقد قتل يزيد رجالهم وسبي نساءهم واسر اطفالهم ، فخاف بن ميسون آنئذ عاقبة أمره ، وخشي على تحطيم عرشه . فقلب عند ذاك ظهر المجن وراح يظهر للناس ان الذي قتل الحسين ـع ـ هو ابن مرجانة ، وهو بريء من عمله الذي عجله بالحسين واهل بيته ، واراد ان يدفع عنه هذا الامر فافرغ للسبايا داراً من دوره وامر ان تنقل اليها بعد ان حبسهم في تلك الخربة ، وكان

الذي دعاه الى ذلك ، ان زوجته هند لما علمت بان هؤلاء آل بيت رسول الله دخلت عليه ، وهي تولول قد شقت جيبها حاسرة الرأس فلما رآها على هذا الحال قام اليها والقى عليها رداءه ، وقال لها : اعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله «ص» وصريخة قريش ، فقد عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ؛ ثم قال لها : ادخلي الحرم قلت والله لا ادخل حتى ادخل بنات رسول الله معي فامر يزيد بهن الى منزله وانزلهن في دار من دوره ؛ فلما دخلن الهاشميات استقبلتهن نساء آل ابي سفيان ، وقبلن ايديهن وارجلهن وهن ينحن ويبكين والقين ما عليهن من الثياب والحلل ، قال الراوي واقمن المأتم ثلاثة ايام ، وقيل اقمن المأتم سبعة ايام وما كان يزيد يجلس على مائدة الا ويحضر السجاد معه ؛ وذكر السيد في اللهوف : ان يزيد قال لعلي بن الحسين يوما اذكر لي حاجتك ، فقال السجاد : اريد منك اولا ان تريني وجه ابي الحسين فاتزود منه ، والثانية ان ترد علينا ما اخذ منا ، والثالثة ان كنت عزمت على قتلي فوجه مع هذه النسوة من يردهن الى حرم جدهن ؛ فقال اللعين : اما وجه ابيك فلن تراه ابداً واما قتلك فقد عفوت عنك ، واما النساء فلا يردهن غيرك الى المدينة ، واما ما اخذ منكم يوم الطف فانا اعوضكم عنه اضعافه ، فقال السجاد اما مالك فلا نريده ، وهو موفر عليك وانما طلبت ما اخذ منا لان فيه مغزل جدتي فاطمة بنت محمد «ص» ومقنعتها وقلادتها وقميصها ؛ قال الراوي فامر برد ذلك كله ، وقال ارباب المقاتل واشار عليه مروان بن الحكم بارجاعهم الى المدينة ، فامر يزيد ابن معاوية بالمحامل ان تحضر فاحضرت وبعث على السجاد زين العابدين وبعد ان جلس السجاد تكلم معه يزيد . وقال : لعن الله ابن مرجانة

حيث قتل اباك ، اما والله لو كنت صاحبه ما سألني خصلة الا اعطيتها اياه ولدفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت فكاتبني من المدينة وارفع الي حوائجك ، قال وامر باحضار كسوة له ولاهله فاحضرت ثم امر بالانطاع ففرشت وصبت عليها الاموال ، وقال : يا ام كلثوم خذوا هذه الاموال عوض ما اصابكم ؛ فقالت ام كلثوم : يا يزيد ما اقل حياءك واصلف وجهك تقتل اخي واهل بيتي وتعطيني عوضهم مالا ، والله لا كان هذا ابدا — اقول — والله لو ان الجبال تكون ذهبا ما كانت تساوي انملة من انامل عبد الله الرضيع الذي ذبح على صدر ابيه الحسين يوم عاشوراء .

هبوا انكم قاتلتم فقتلتم فما ذنب اطفال تقاسي نبالها
رجالهم صرعى واسرى نساؤهم واطفالهم في السبي تشكو حبالها

المطلب السادس عشر

« في رجوع السبايا من الشام ووصولهم الى كربلا »

اختلفت العلماء في ذكرهم لسبايا الحسين — ع — ، فبعضهم يقول : مكثوا بالشام (١) وعادوا الى كربلاء ومنهم من قال : رجعوا بسنتهم

(١) ذكر السيد ابن طاووس رحمه الله في الاقبال ، قال : وجدت في المصباح — مصباح المتهجد للطوسي ره — ان حرم الحسين وصلوا كربلا مع مولانا علي بن الحسين — ع يوم العشرين من صفر ، وفي غير المصباح انهم وصلوا كربلا ايضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر ، وكلاهما مستبعد لان عبيد الله بن زياد «لع» كتب الى يزيد يعرفه ما

والخبر الثاني اقرب للوضع ، حيث ان مروان بن الحكم اشار على يزيد عليه اللعنة ، ان يرجعهم الى المدينة واخذ يهيء لهم يزيد كلما يحتاجون في طريقهم من المحامل والخيم والطعام والقرب والاواني ، ووجه معهم النعمان ابن بشير الصحابي (١) ومعه ثلاثون رجلا وامره ان يكون بامر السجاد زين العابدين في حلهم وترحالهم ، فخرجوا من دمشق الشام ، فكان

جرى ويستأذنه في حملهم ، ولم يحملهم حتى عاد الجواب اليه ، وهذا يحتاج الى نحو عشرين يوما ، او اكثر منها ، ولانه لما حملهم الى الشام روي انهم اقاموا فيها شهراً في موضع لا يكنهم من حر ولا من برد وصورة الحال تقتضي انهم تأخروا اكثر من اربعين يوما من قتل الحسين ـ ع ـ الى ان وصلوا العراق او المدينة، واما جوازهم في عودتهم على كربلا فيمكن ذلك، ولكنه ما يكون وصولهم اليها يوم العشرين من صفر، لانهم اجتمعوا على ما روي مع جابر بن عبد الله الانصاري فان كان جابر وصل زائراً من غير الحجاز فيحتاج وصول الخبر اليه ومجيئه اكثر من اربعين يوماً ، وعلى ان يكون جابر وصل من غير الحجاز من الكوفة او غيرها .

(١) النعمان بن بشير الانصاري الخزرجي يكنى اباعبدالله؛ وهو مشهور ، له ولابيه صحبة . قال الواقدي كان اول مولود في الاسلام من الانصار ، بعد الهجرة باربعة عشرشهراً ، وعن ابن الزبير ،قال: كان النعمان بن بشير اكبر مني بستة اشهر استعمله معاوية على الكوفة فبقي حتى دخلها مسلم بن عقيل ، ودخلها ايضاً عبيد الله بن زياد ، قتل النعمان سنة خمس وستين .

النعمان بن بشير يسايرهم بحيث يرونه ويراهم ، واذا نزلوا نزل ناحية عنهم هو واصحابه ، وصاروا لهم كهيئة الحرس ، وكان بين حين وآخر يأتي وحده الى السجاد ويسأله عما يحتاجونه ويلطف به ، حتى اذا وصلوا الى مفرق طريقين احدهما ينتهي الى المدينة والآخر الى العراق ، قالوا للدليل مر بنا على كربلا فامتثل الدليل امرهم فوصلوا الى كربلاء في العشرين من شهر صفر فوجدوا بها جابر بن عبد الله الانصاري (١) قد ورد كربلا لزيارة قبر الحسين -ع قال الاعمش بن عطية العوفي : خرجت مع جابر بن عبد الله الانصاري زائراً قبر الحسين -ع- فلما ورد كربلاء دنا من شاطيء الفرات فاغتسل ، ثم خرج وقد إئتزر بازار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد (٢) فنثرها على بدنه ثم مشى الى القبر الشريف حافياً ، وكان لا يخطو خطوة الا ذكر الله تعالى فيها ، حتى اذا دنا من القبر الشريف ، قال : المسنيه يا ابن عطيه قال : فالمسته القبر فخر على القبر مغشياً عليه ، فرششت عليه الماء ، فلما افاق صاح يا حسين يا حسين حتى قالها ثلاثا ، ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه ، ثم قال : وانى لك بالجواب وقد شحبت اوداجك على اثباجك (٣) وفرق بين رأسك وبدنك ؛ اشهد انك ابن

«١» جابر بن عبد الله الانصاري شهد النبي «ص» وحضر جل غزواته ، وكف بصره في آخر عمره ، توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين ويقال سنة سبع وسبعين عاش اربعاً وتسعين سنة .

«٢» السعد : طيب معروف بين الناس، ومنه الحديث- اتخذوا السعد لاسنانكم فانه يطيب الفم - (مجمع البحرين) .

«٣» الثبج : ما بين الكاهل الى الظهر (المنجد) .

سيد النبيين وابن سيد الوصيين وابن حليف التقي وسليل الهدى ؛ وخامس اصحاب الكساء ، وابن سيد النقباء وابن فاطمة الزاهراء ، سيدة النساء ، وكيف لا تكون هكذا ، وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجور المتقين ورضعت من ثدي الايمان وفطمت بالاسلام فطبت حيا ، وطبت ميتا ، غير ان قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ، ولا شاكة في حياتك فعليك سلام الله ورضوانه ، واشهد انك مضيت على ما مضى عليه اخوك يحيي بن زكريا ، ثم اجال يبصره نحو القبور ـ قبور الشهداء ـ وقال السلام عليكم ايتها الارواح التي حلت بفناء قبر الحسين عليه السلام واناخت برحله ، اشهد انكم اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم الله حتي آتاكم اليقين ، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه ؛ قال ابن عطية فقلت لجابر فكيف تقول ذلك ؟ ونحن لم نهبط واديا ولم نعل جبلا ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قـــد فرق بين رؤوسهم وابدانهم ، واوتمت اولادهم ؛ وارملت ازواجهم ، فقال لي يا بن عطية سمعت حبيبي رسول الله يقول : من أحب قوما حشر معهم ، ومن احب عمل قوم اشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق ان نيتي ونية اصحابي على مضى عليه الحسين واصحابه ، حذو النعل بالنعل ، ثم قال : خذوني نحو ابيات كوفان ، قال ابن عطية فلما صرنا في بعض الطريق فقال لي يابن عطية هل اوصيك وما اظن انني بعد هذا السفر ملاقيك ؛ احب محب آل محمد «ص» على ما احبهم وابغض مبغض آل محمد على ما ابغضهم ، وان كان صواما قواما وارفق بمحب آل محمد «ص» فانه ان تزل قدم بكثرة ذنوبهم ، ثبتت اخرى

بمحبتهم ، فان محبهم يعود الى الجنة و مبغضهم يعود الى النار ، ويروى في بعض المقاتل ، قال ابن عطية : بينا نحن بالكلام واذا بسواد قد اقبل علينا من ناحية الشام فقلت يا جابر اني ارى سواداً عظيما مقبلا علينا من ناحية الشام ، فالتفت جابر الى غلامه ، وقال له : انطلق وانظر ما هذا السواد ، فان كانوا من اصحاب عبيد الله بن زياد ارجع الينا حتى نلتجأ الى مكان ، وان كان هذا سيدي ومولاي زين العابدين انت حر لوجه الله فانطلق الغلام فما كان باسرع من ان رجع الينا وهو يلطم وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرم الله وحرم رسول الله «ص» فهذا سيدي ومولاي علي بن الحسين ـ ع ـ قد اقبل بعماته واخواته ليجددوا العهـــد بزيارة الحسين ـ ع ـ فقام جابر ومن معه واستقبلوهم بصراخ وعويل يكاد الصخر ان يتصدع منه ، ولما دنا من الامام انكب على قدميه يقبلهما وهو يقول سيدي عظم الله لك الاجر بابيك الحسين عظم الله لك الاجر بعمومتك واخوتك فقال الامام ـ ع ـ انت جابر ؟ قال : نعم سيدي انا جابر ، فقال ـ ع ـ يا جابر ههنا ذبحت اطفال ابي .

هنا رأيت ابي في التراب منعفرا وصحبه حوله صرعى على الترب

المطلب السابع عشر

« في ترجمة جابر بن عبد الله الانصاري »

كان جابر بن عبد الله الانصاري (١) من جلة الصحابة جليل القدر

«١» هو ابو عبد الله ؛ جابر بن عبد الله الانصاري ، مفتي المدينة في زمانه ، كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الانصار ،

عظيم الشأن انقطع الى اهل البيت عليهم السلام ، شهد مع النبي «ص» ثمانية عشر غزوة ، وشهد مع علي صفين ؛ وكان من المكثرين في الحديث والحافظ للسنن ، قال شيخنا في المستدرك : جابر الانصاري ، هو من السابقين الاولين الذين رجعوا الى امير المؤمنين ، وحامل سلام رسول الله «ص» الى باقر علوم الاولين ، والآخرين ، قال ارباب التاريخ : خرج رسول الله «ص» غازيا وجابر بن عبد الله معه على ناقة له وقد تخلفت ناقته لانها كانت عجفاء فالتفت النبي «ص» الى خلفه فلم ير جابراً ، فسأل اصحابه . فقيل له يا رسول الله ان ناقته عجفاء ، فرجع رسول الله «ص» اليه وهمز الناقة برجله فجعلت تهف هفيفا خفيفا ،حتى سبقت ناقة النبي «ص» وقال له النبي «ص» يا جابر بكم اشتريت هذه الناقة؟ فقال : بابي انت وامي يا رسول الله اشتريتها باربعمائة دينار ، فقال «ص» اذا رجعنا من غزوتنا بعها علي ، فقال هي لك يا رسول الله ثم سأله هل عليك ديون ؟ قال : بلى يا رسول الله علي دين كثير ، فقال النبي «ص» هل عندك شيء تقي به ، قال بلى عندي تميرات اقسمها على غرمائي ، والذي يبقى لهم من الدين استمهلهم الى السنة الاخرى ، فقال له النبي «ص» اذا حضر وقت ايفائك

وحمل عن النبي علماً كثيراً نافعاً وله منسك صغير في الحج ، واراد شهود بدر وشهود احد ، فكان ابوه يخلفه على اخواته ، ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان . وعنه قال : استغفر لي رسول الله «ص» ليلة البعير خمساً وعشرين مرة ، وقيل انه شهد بدراً ، وكان يميح الماء ، عمر أربعا وتسعين سنة ، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين رحمه الله ـ الذهبي ـ تذكرة الحفاظ .

لهم احضرني على التمر ، ولما رجع النبي من غزوته الى المدينة ، اقبل جابر بناقته فعقلها بباب المسجد ، وصاح يا رسول الله هذه الناقة قد جئتك بها فقام «ص» ودفع له اربعماءة دينار ، وقال له يا جابر الدنانير لك والناقة لك ، ولما صار أوان التمر احضر النبي «ص » فاخذ النبي الميزان بيده وجعل يزن التمر ويقسمه على غرماء جابر ، حتى وفى عنه جميع ديونه ، وزاد من التمر ببركة النبي «ص» وروي انه دخل جابر يوما على النبي «ص» فسلم عليه فرد النبي عليه السلام ، فقال يا رسول الله « ص » اخبرني عن منزلة سلمان الفارسي فقال «ص» سلمان منـــا اهل البيت ، ثم قال : يا رسول الله اخبرني عن منزلة عمار فقال «ص» عمار منا اهل البيت ، فقال : يا رسول الله اخبرني عن منزلة المقداد فقال «ص» المقداد منا اهل البيت ؛ فقال اخبرني عن منزلة ابي ذر فقال «ص» ابو ذر منا اهل البيت ، ثم انصرف جابر فصاح النبي « ص » يا جابر اقبل الي ، فاقبـــل اليه فقال له النبي «ص» سألتني عن هؤلاء الاربعة ولم تسألني عن نفسك فاطرق برأسه الى الارض حياء من النبي « ص » فقال له اخبرني عن نفسي يا رسول الله «ص» فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انت منا اهل البيت ؛ فلهذا انقطع جابر الى اهل البيت وحضر مع علي صفين ، وكان من خواص اصحابه ، وكان يحدث عن فضائله ومناقبه ، حتى روى عن ابي الزبير المكي قال : سألت جابر بن عبد الله فقلت : اخبرني اي رجل كان علي ابن ابي طالب ـع ـ قال فرفع حاجبه عن عينيه ، وقد كان سقط على عينيه قال : فقال ذاك خير البشر اما والله انا كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله ـ ص ـ ببغضهم اياه ، وكان يقعد في مسجد رسول الله ـ ص ـ

وهو معتم بعامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم يا باقر العلم ، وكان اهل المدينة يقولون جابر يهجر ، وكان يقول : لا والله لا اهجر ، ولكني سمعت رسول الله «ص» يقول انك ستدرك رجلا من اهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقرا فذاك الذي دعاني الى ما اقول ، فبينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة اذ راى في ذاك الطريق كتاب (١) وفيه محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، فلما نظر اليه . قال : يا غلام اقبل ، فاقبل . ثم قال ادبر فادبر ، فقال شمائل رسول الله «ص» والذي نفس جابر بيده يا غلام ما اسمك ؟ فقال اسمي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب -ع- فاقبل اليه يقبل رأسه ، وقال : بابي انت وامي رسول الله جدك يقرئك السلام ، قال : فرجع محمد بن علي الى ابيه وهو ذعر فاخبره الخبر ، فقال له يا بني قد فعلها جابر . قال : نعم . قال : يا بني الزم بيتك فكان جابر يأتيه طرفي النهار ، وكان اهل المدينة يقولون وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار .

وكان جابر يحب الحسين ويحمله على كتفيه وكان النبي - ص - اذا حمل الحسين - ع - وجاء جابر ورآه الحسين يرمي بنفسه عليه ، وكان يقال له حبيب الحسين ، وهو من جملة من دخل على الحسين - ع - يومئذ بمكة ، وذلك لما اراد الخروج منها الى العراق ، وقال له فيما قال سيدي ان اهل الكوفة قد عرفت غدرهم بابيك واخيك ، فقال له : يا عم يا جابر ان تكليفي من الله غير تكليف اخي الحسن -ع- ولو كان اخي الحسن عنده اربعين رجلا لما صالح معوية ، وهائنذا معي ما ينوف على الاربعين

(١) لعله مكان معلم الاولاد .

غير الذي يلحقونني ؛ قال الراوي : فجعل جابر يبكي . ويقول سيدي بحق جدك الا ما عدلت عن الوجه ، فلما رأى تصميم الحسين على الخروج الى العراق ودعه ودموعه تجري ، ولما خرج الحسين من مكة خرج جابر الى البصرة ، وجعل كل يوم يخرج خارج البصرة ، ويسأل القادمين من الكوفة عن الحسين عليه السلام ، حتى استخبر بقتل الحسين -ع- فجعل يلطم على وجهه ويبكي ونام ليلته فرأى رسول الله في المنام ، وهو اشعث مغبر مكشوف الرأس ، فقال : ما لي اراك يا رسول الله اشعث ؟ فقال يا جابر الآن رجعت من دفن ولدي الحسين -ع- ثم تجهز جابر للمسير الى كربلاء فجاء ومعه الاعمش بن عطية وغلامه حتي وافى كربلاء يوم التاسع عشر من شهر صفر وبات عند قبر الحسين ليلته ، حتي اذا اصبح الصباح اقبل زين العابدين بعماته واخواته من الشام ، ولما لاح للهاشميات قبر

(فائدة) كان جابر بن عبد الله الانصاري ممن شهد العقبة وعمي في آخر عمره ، ومات بالمدينة سنة ٧٨هـ وقيل ثمان وتسعين وقد ادرك من امامة الباقر -ع- ثلاث سنين تقريباً وكان آخر من بقى من اصحاب رسول الله «ص» وكان من السبعين الذين بايعوا النبي «ص» في عقبة منى ؛ وعن الفضل بن شاذان انه من السابقين الذين رجعوا الى امير المؤمنين -ع- بعد النبي ، وهو ممن مدحه الصادق -ع- وعن فضيل بن عثمان عن الزبير ، قال : رأيت جابراً يتوكأ وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم ، وهو يقول علي خير البشر فمن ابى فقد كفر ، يا معاشر الانصار أدبوا اولادكم في حب علي -ع- ومن أبى فلينظر في شأن امه .

الحسين عليه السلام وقبور الشهداء القين بانفسهن على القبور ولسان حال الحوراء زينب يقول :

يا نازلين بكربلا هل عندكم خبر بقتلانا وما اعلامها
ما حال جثة ميت في ارضكم بقيت ثلاثا لا يزار مقامها
بالله هل رفعت جنازته وهل صلى صلاة الميتين امامها

قال ارباب المقاتل : وانكبت فاطمة بنت الحسين -ع- على قبر ابيها حاضنة له وهي تبكي حتى غشي عليها ، وجاءت سكينة ووقعت على قبر ابيها ، وهكذا دون الهاشميات على قبر الحسين لاطمات الخدود صارخات معولات ، واجتمع اليهم نساء ذلك السواد ، فاقاموا على ذلك اياماً

ثم جدد الحزن في عشرين من صفر ففيه ردت رؤوس الآل للحفر

المطلب الثامن عشر

« في موضع دفن الرأس الشريف »

اختلف ارباب التاريخ في موضع دفن رأس الحسين -ع- كاختلافهم في موضع دفن الزهراء سيدة النساء صلوات الله عليها ، وقبر عبد الله الرضيع ابن الحسين -ع- الذي رماه حرملة بن كاهل بسهم يوم عاشوراء وذبحه من الوريد الى الوريد ، نعم ان للمؤرخين اقوال كثيرة في موضع دفن الرأس حيث ذكر كل منهم ما وقف عليه ، واستند اما على السماع او على رواية رواها من غيرها ، او نقلها من مصدر من المصادر ؛ ذكر المؤيد صاحب حماة في تاريخه ، وعمر بن الوردي في تاريخه ، قيل ان رأس الحسين جهز الى المدينة ودفن عند امه ، وكذلك ذكر السمهودي في

- وفاء الوفاء بإخبار دار المصطفى - عن محمد بن سعيد ، ان يزيد بن معوية بعث برأس الحسين - ع - الى عمر بن سعيد بن العاص ، وكان عامله على المدينة فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر امه فاطمة بنت رسول الله «ص» (١) فهؤلاء المؤرخين ذهبوا على ان الرأس الشريف حمل الى المدينة ودفن بالبقيع ، او عند قبر النبي «ص» ، وممن قال انه دفن بعسقلان (٢) مجير الدين الحنبلي في - الانس الجليل - قال : وبها اي بعسقلان مشهد عظيم بناه بعض الفاطميين من خلفاء مصر على مكان زعموا ان فيه رأس الحسين بن علي بن ابي طالب - ع - وممن قال بدمشق ياسين بن المصطفى الفرضي قال في (النبذة اللطيفة في المزارات الشريفـــة) في المزارات المشهورة للصحابة بدمشق ونواحيها ، والمشهور منهم بتربة باب الفراديس المسماة ببرج ابي الدحداح الآن سمي مسجد الرأس داخل باب الفراديس في اصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الملك الكامل .

واما الذين يذكرون انه مدفون بمصر منهم الصبان في اسعاف الراغبين قال : واختلفوا في رأس الحسين بعد مسيره الى الشام اين صار وفي اي موضع استقر فذهبت طائفة الى ان يزيد امر ان يطاف برأسه

(١) وكذلك ابن سعد ذكر هذه الرواية في طبقاته الكبرى ، ورواية البخاري في تاريخه .

(٢) عسقلان مدينة على ساحل البحر من اعمال فلسطين كان يقال لها عروس الشام لحسنها وهي ذات بساتين وثمار ، بها مشهد رأس الحسين عليه السلام وهو مشهد عظيم وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به وبنيت عسقلان في ايام عمر بن الخطاب .

الشريف في البلاد فطيف به حتى انتهى الى عسقلان فدفنه اميرها بها فلما غلب الافرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير اخضرا على كرمي من خشب الابنوس وفرش تحته المسك والطيب وبني عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة ، وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقات الاولياء عند ذكره الحسين -ع- دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلايع بن زريك بثلاثين الف دينار ونقله الى مصر وبنى عليه المشهد الحسيني ، وخرج هو وعسكره حفاة الى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ، ثم وضعه طلايع في كيس من حريراخضر على كرمي آبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قدر وزنه مراراً (١) وممن ذكر انه مدفون بالرقة عبد الله بن عمر الوراق في كتاب - المقتل قال ولما حضر الرأس بين يدي يزيدبن معوية قال لابعثنه الى آل ابي معيط عن رأس عثمان ، وكانوا بالرقة ، فبعثه اليهم فدفنوه في بعض دورهم ، ثم ادخلت تلك الدار في المسجد الجامع ، قال : وهو الى جانب سدرة هناك

(١) وممن قال ان الرأس الشريف بالمشهد الذي بالقاهرة نقل اليها من عسقلان ، علي بن ابي بكر المشهور بالسائح الهروي المتوفي سنة ٦١١ ، قال في الاشارات الى اماكن الزيارات عند كلامه على عسقلان ، وبها مشهد الحسين رضي الله عنه ، كان رأسه بها فلما اخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة سنة ٥٤٩ وحكى ابن ابي الدنيا ، قال : وجد رأس الحسين في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكره البلاذري في تاريخه قال هو بدمشق

وقيل ان الفاطميين نقلوه من باب الفراديس الى عسقلان ثم نقلوه الى القاهرة .

ومنهم من قال: انه دفن بالثوية حيث الآن يسمى مسجد (الحنانة) شرقي النجف عن يسار الذاهب الى الكوفة وبالقرب من قبر العبد الصالح كميل بن زياد النخعي ، وقال آخرون : انه دفن عند ابيه امير المؤمنين عليه السلام وتوجد الآن غرفة في الرواق الحيدري، مما يلي الرأس الشريف من جهة الغرب وهي مزركشة ، وقد كتب على جدرانها بعض اللوائح بخط جميل يا ابا عبد الله الحسين — ع — هذه الاقوال كلها لم تكن عليها عمل الطائفة بل الذي عليه العمل وهو القول الفصل ان السجاد زين العابدين جاء به الى كربلاء ودفنه مع الجسد الشريف ، ذكر صاحب كتاب حبيب السير ان يزيد بن معوية سلم رؤوس الشهداء الى علي بن الحسين —ع— فالحقها بالابدان الطاهرة يوم العشرين من صفر ، وقال السبط ابن الجوزي بعد تعداد الاقوال قال : واشهرها انه رد الى كربلاء مع السبايا الى الجسد الشريف فدفن معه .

لا تطلبوا قبر الحسين باوض شرق او بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

المطلب التاسع عشر

« في رجوع السبايا الى المدينة »

قال ابن الاثير واليباسي ، والطبري ، في روايته عن ابي مخنف ، انه لما اراد يزيد ان يسيرهم الى المدينة أمر النعمان بن بشير ان يجهزهم بما

يصلحهم ويسير معهم رجلا اميناً من اهل الشام ، وان يبعث معه خيلا واعوانا ، وقال المفيد : ندب النعمان بن بشير ، وقال له : تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة الى المدينة ، وانفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولا تقدم اليه ان يسير بهم في الليل ويكونوا امامه ، بحيث لا يفوته طرفه ، فاذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق اصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث ان اراد انسان من جماعتهم وضوءاً او قضاء حاجة لم يحتشم قالوا جميعاً ، ودعا يزيد زين العابدين ليودعه ، وقال له : لعن الله ابن مرجانة ، اما والله لو اني صاحب ابيك ما سألني خصلة ابداً الا اعطيته اياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت ، يا بني كاتبني من المدينة ، وانه الي كل حاجة تكون لك ، وتقدم بكسوته و كسوة اهله واوصى بهم هذا الرسول ، فخرج بهم الرسول ، قال المفيد : وسار بهم في جملة النعمان فكان يسايرهم ليلا فيكونون امامه بحيث لا يفوتون طرفه ، فاذا نزلوا تنحى عنهم هو واصحابه وكانوا حولهم كهيئة الحرس ، وكان يسألهم حاجتهم ويلطف بهم ، كما وصاه يزيد حتي دخلوا المدينة ، ولما وصلوا قالت فاطمة بنت علي « اي ام كلثوم » لاختها زينب لقد أحسن هذا الرجل الينا ، فهل لك ان نصله بشيء ، فقالت : والله ما معنا نصله به الا حلينا فاخرجنا سوارين ، ودملجين لهما ، فبعثنا به اليه واعتذرنا فرد الجميع ، وقال : لو كان صنعت للدنيا لكان هذا يرضيني ولكن والله ما فعلته الا لله ، ولقرابتكم من رسول الله «ص» وقال بشر بن حذلم : ولما قربنا من المدينة ، نزل علي بن الحسين -ع- فحط رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه ، وقال :

يا بشر رحم الله اباك ؛ فلقد كان شاعراً ، فهل انت تحسن الشعر ؟ فقلت بلى سيدي ، واني لشاعر ، فقال ـع ـ قم الآن وادخل المدينـــة وانع الحسين ـع ـ ولو ببيتين من الشعر ، قال بشر : فقمت وركبت فرسي وجئت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد رسول الله «ص» رفعت صوتي بالبكاء وانشأت :

يا اهل يثرب لا مقام لكم بها　　قتل الحسين فادمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج　　والرأس منه على القناة يدار

قال فضج الناس بالبكاء والنحيب ، ثم قلت : هذا علي بن الحسين ـع ـ مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وانا رسوله اليكم اعرفكم مكانه ، قال بشر فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة الا وبرزن من خدورهن ضاربات الصدور ، ناشرات الشعور ، وهن يدعين بالويل والثبور ، قال : فلم ار باكياً اكثر من ذلك اليوم ، قال بشر : وسمعت في طريقي جارية تنوح وتنشد :

نعى سيدي ناع نعاه فاوجعا　　وامرضني ناع نعاه فافجعا
اعيني جودا بالدموع واسكبا　　وجودا بقان مثل دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا　　واصبح انف الدين والمجد اجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه　　وان كان عنا شاحط الدار اشسعا

ثم قالت : ايها الناعي جددت حزننا بابي عبد الله ، وخدشت منا قروحا لما تندمـــل ، فمن انت يرحمك الله ، فقلت : انا بشر بن حذلم ، وجهني مولاي علي بن الحسين ـع ـ وهو نازل موضع كذا وكذا مع العيال والاطفال قال فتركوني الناس ومضوا يهرعون حتى اذا وصلت

قريباً من الموضع والناس قد اخذوا الطريق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس ، حتي قربت من الفسطاط ، وكان علي بن الحسين ـع ـ داخل الفسطاط ، ثم خرج وبيده منديل يمسح به دموعه وخلفه خادم معه يحمل الكرسي ، ثم وضعه له بين الناس وهو لم يتمالك من العبرة ، وارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب ، وقام الناس يعزونه من كل ناحية ، فضجت تلك البقعة ضجة واحدة ، ثم أومأ بيده الى الناس ان اسكتوا فسكنت فورتهم ؛ فقال الحمد لله رب العالمين ، مالك يوم الدين ، باري الخلائق أجمعين ، الذي بعد فارتفع في السموات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظائم الامور ؛ وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظمة الفادحة الجائحة ؛ ايها القوم ، ان الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الاسلام عظيمة ، قتل ابو عبد الله الحسين ـع ـ وعترته وسبي نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عال السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية ، ايها الناس فاي رجالات منكم يسرون بعد قتله ، ام أي فؤاد لا يحزن من اجله ، ام اية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهما لها ، فلقد بكت السبع الشداد بقتله ، وبكت البحار بامواجها والسموات باركانها ، والارض بارجائها ، والاشجار باغصانها والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، واهل السموات اجمعون ، ايها الناس اي قلب لا ينصدع لقتله ، ام اي فؤاد لا يحن اليه ، ام اي سمع يسمع هذه الثلمة ، التي ثلمت في الاسلام ، ايها الناس اصبحنا مطرودين مشردين مذودين ، شاسعين الاوطان ، كأننا اولاد ترك وكابل ، من غير

جرم أجرمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ؛ ولا ثلمة في الاسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ، ان هذا الا اختلاق ، والله لوان النبي «ص» تقدم اليهم في قتالنا ، كما تقدم اليهم في الوصاية بنا ، لما زادوا على مافعلوا ، فانا لله وانااليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها واكظها وافظعها وامرها وافدحها ، فعند الله نحتسب فيما أصابنا ، وما بلغ بنا فانه عزيز ذو انتقام قال فعلت الاصوات بالبكاء والعويل ، وروى في المنتخب ان ام كلثوم «ع» حين توجهت الى المدينة جعلت تبكي وتقول :

مدينة جدنا لا تقبلينا فبا الحسرات والاحزان جينا
خرجنا منك بالاهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا

« المطلب العشرون »

(في ملاقاة السجاد مع عمه محمد « ع »)

ذكر صاحب الدمعة الساكبة قال : لما دخل بشر بن حذلم الى المدينة واخبر الناس بقتل الحسين « ع » وضج الناس بالبكاء والنحيب ، وكان محمد بن الحنفية مريضاً ، ولم يكن له علم بذلك الخبر الشنيع ، فسمع أصواتاً عالية ورجة عظيمة ؛ فلم يقدر أحد ان يخبره لخوفهم عليه من الموت لأنه قد انحله المرض فالح عليهم بالسؤال . فتقدم اليه أحد غلمانه ، وقال : جعلت فداك يابن امير المؤمنين ، ان اخاك الحسين قد اتى من الكوفة وقد غدر اهل الكوفة بابن عمك مسلم بن عقيل ، فرجع عنهم وأتى باهله واصحابه ، فقال له لم لا يدخل علي اخي ؟ قال ينتظر قدومك اليه ، قال فنهض فوقع وجعل تارة يقوم وتارة يسقط ؛ وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فكأن حس قلبه بالشر ، فقال ان فيها والله مصائب

آل يعقوب ، ثم قال اين اخي اين ثمرة فؤادي اين الحسين «ع» ، ولم يعلم بقتله ، فقالوا يامولانا اخوك بالموضع الفلاني ، قال قدموا لي جوادي فقدم له الجواد ، واركبوه على جواده وحوله خدامه ، حتى اذا خرج خارج المدينة فلم ير الا اعلاماً سوداً ، فقال ما هذه الاعلام السود ، والله قتل بنو امية الحسين فصاح صيحة عظيمة ، وخر عن جواده الى الارض مغشياً عليه ، فركض الخادم الى زين العابدين «ع» وقال له يامولاي ادرك عمك قبل ان تفارق روحه الدنيا ، فخرج وبيده منديل يمسح بها دموعه الى ان أتى الى عمه فأخذ رأسه ووضعه في حجره ، فلما افاق قال يا بن اخي اين اخي اين قرة عيني اين نور بصري ، اين ابوك اين خليفة ابي ، اين اخي الحسين «ع» فقال علي عليه السلام اتيتك يتيما ليس معي الا نساء حاسرات في الذيول عاثرات ، ناعيات نادبات ، وللمحامي فاقدات ، يا عماه لو تنظر الى اخيك يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار ، قتل وهو عطشان والماء يشربه كل حيوان ، فصرخ محمد بن الحنفية حتى غشي عليه مرة ثانية ولما أفاق من غشيته ، قال يابن اخي قص علي ماااصابكم ، قال الراوي فكان السجاد يقص على عمه ودموعه تجري وهو يمسحها بمنديل . كان في يده ، فقال محمد بن الحنفية : يعز علي يا ابا عبد الله . يااخي كيف طلبت ناصراً فلم تنصر ، ومعيناً فلم تعن ، ثم نهض ودخل داره ولم يخرج الا بعد ثلاثة أيام ، ولما كان اليوم الرابع خرج للناس وهو شاك في سلاحه وقد اشتمل ببردة واستوى على جواده وقصد ناحية الجبل ، فلم يظهر للناس الا عند خروج المختار (١) .

---

(١) الظاهر انه اعتزل الناس حداداً على ابي عبد الله الحسين « ع »

قال الراوي : وسمعت ام لقمان بنت عقيل صراخ النساء ، خرجت ومعها اترابها امهاني ، ورملة ، واسماء بنت علي (ع) وجعلن يندبن الحسين قال الراوي : وكان دخولهم المدينة يوم الجمعة والخطيب يخطب الناس فذكروا الحسين (ع) وما جرى عليه فتجددت الاحزان واشتملت المصائب وصار كيوم مات فيه رسول الله (ص) قال الراوي واقبلت أم كلثوم الى مسجد رسول الله (ص) وهي باكية العين حزينة القلب ، فقالت السلام عليك ياجداه اني ناعية اليك ولدك الحسين (ع) وجعلت تمرغ خديها على المنبر والناس يعزونها ، وفي البحار وغيره ، اما فخر المخدرات زينب (ع) فانها لما دخلت المدينة ووقع طرفها على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صرخت وبكت واخذت بعضادتي باب المسجد ونادت يا جداه اني ناعية اليك اخي الحسين (ع) وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب ، قال : واقبلت ام كلثوم الى قبر امها فاطمة الزهراء ، ورمت بنفسها على القبر وهي تقول : يا اماه اعزيك بولدك الحسين (ع) فقد قتلوه عطشانا :

افاطم لو خلت الحسين مجدلا   وقد مات عطشانا بشط فرات
اذاً للطمت الخد فاطم عنده   واجريت دمع العين في الفلوات

قال ارباب المقاتل ولبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكن لا يشتكين من حر ولا برد ، وما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس حجج ، كل ذلك حزناً على ابي عبد الله الحسين «ع» ، وكانت الرباب زوجة ابي عبد الله الحسين «ع» تبكي الليل والنهار على ابي عبد الله ، وامرت بسقف البيت فاقتلعوه ، وكانت

تجلس في حرارة الشمس وتنوح على الحسين «ع» وقد خطبها يزيد بن معوية والاشراف من قريش ، فقالت : لا والله ما كنت لاتخذ حماً آخر بعد رسول الله «ص» (١) وكانت ترثي الحسين «ع» بأشجى رثاء فمن قولها :

إن الذي كان نوراً يستضاء به　　بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة　　عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعباً الوذ به　　وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن　　يغني ويأوى اليه كل مسكين
والله لا ابتغي صهرا لصهركم　　حتى اوسد بين الرمل والطين

واما ام البنين ام العباس فانها كانت ترثي الحسين «ع» وترثي أولادها وتندبهم بأشجى ندبة ، وكانت تخرج الى البقيع كل يوم فيجتمع الناس لسماع رثائها وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجي الندبة فمن قولها :

لا تدعوني ويك ام البنين　　تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم　　واليوم اصبحت ولا من بنين
اربعة مثل نسور الربى　　قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان اشلاءهم　　فكلهم أمسى صريعاً طعين
ياليت شعري أكما أخبروا　　بان عباساً قطيع اليمين

«١» قيل ان الرباب عاشت سنة بعد الحسين «ع» ثم ماتت كمدا ولم تستظل بسقف أبداً .

ومن رثائها في ولدها العباس « ع » :

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد
ووراءه ابناء حيدر كل ليث ذي لبد
انبئت ان ابني اصيب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أمال برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يديك لما دنا منه أحد

بلى والله يا ام البنين ، ان ولدك العباس

قطعوا يديه وهامه فضخوه في عمد الحديد فخر خير طعين

« المطلب الحادي والعشرون »

« في واقعة الحرة « ١ » »

قال ابن جرير الطبري في تاريخه ، وابن الاثير في الكامل انه لما قتل الحسين « ع » وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وثار ابن الزبير بالحجاز ، وفي سنة احدى وستين عزل يزيد بن معوية عمر بن سعيد عن أمرة الحجاز ، وبعث الوليد بن عتبة ؛ ثم في سنة اثنتين وستين عزل الوليد بن عتبة ، وولى عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، وهو حدث غر فبعث الى يزيد وفداً من أهل المدينة ، فلما قدموا على يزيد اكرمهم ولما رجعوا الى المدينة قاموا فاظهروا عيب يزيد وشحه ، وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ، ويعزف عنده القيان ، ويلعب

«١» في القاموس ـ الحرة ـ موضع بظاهر المدينة • وبها كانت واقعة الحرة ايام يزيد بن معوية •

بالكلاب ، ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص . وكان احد اولئك النفر الوفد عبد الله بن حنظلة الانصاري «ره» وكان شريفاً فاضلا عابداً وكانوا يدعونه ابن غسيل الملائكة ، وكانت عنده ثمانية بنين ، فقال : قد جئتكم من عند رجل لو لم اجد الا بني هؤلاء لجاهدته بهم ، وقد اعطاني وما قبلت عطاءه الا لأتقوى به . قال فخلع الناس يزيد بن معوية ، وولوا عليهم عبد الله ، بن حنظلة الغسيل ، ودخلت سنة ثلاث وستين ، فاخرج اهل المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، ومن المدينة من بني امية ومواليهم وهم اكثر من الف رجل ، فلما سمع يزيد بن معاوية ، خرج بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد ، ياأهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد ان اهل المدينة اخرجوا قومنا من المدينة ، ووالله لان تقع الخضراء على الغبراء احب الي من هذا الخبر ، ثم نزل ، وكان معوية قد اوصاه ، وقال له إن دهمك امر عليك بأعور بني مرة فاستشره - يعني مسلم بن عقبة المري - فارسل على مسلم بن عقبة المري ، وقال له اني مرسلك الى اهل المدينة ، قال ارباب التاريخ وجهز له ثلاثين الفا ، وقال له سر اليهم «١» قال وقبل ان يخرج من

«١» قال ابن كثير في البداية والنهاية ، وقد اخطأ يزيد في امر مسلم بن عقبة باباحته المدينة ثلاثة ايام خطأ كبيراً ، فانه وقع في هذه الايام الثلاثة من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ، ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه الا الله عز وجل ، وقد اراد بارسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه ودوام ايامه فعوقب بنقيض قصده ، فقصمه الله قاصم الجبابرة واخذه اخذ عزيز مقتدر .

الشام مرض مسلم بن عقبة ، فدخل عليه يزيد يعوده ، وقال له : قد كنت وجهتك لهذا البعث ، وكان امير المؤمنين يعني معوية اوصاني بك وأراك مدنفاً وليس فيك سفر ، فقال يا امير المؤمنين انشدك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله إلي ، إنما انا امرؤ وليس بي بأس ، ثم امر فحمل على سرير وسار بالجيش حتى وافوا المدينة ، ومروا بمكان أرادوا النزول به فقال مسلم ما اسم هذا المكان ؟ فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ، ثم ساروا به حتى نزلوا الحرة واحدق الجيش بالمدينة ، فوجدوا اهل المدينة قد خندقوا واجلسوا الرجال على افواه الخنادق ، قال الراوي وجاء مروان بن الحكم ، وكلم رجلا من بني حارثة ، وقال له افتح لنا طريقاً فان فعلت ذلك اكتب الى يزيد بن معوية ؛ واضمن لك شطر ما كان يبذل لأهل المدينة من العطاء ففتح له طريقاً . واقتحمت خيل اهل الشام ، فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة ؛ فاقبل ومعه اهل المدينة فاقتتلوا ساعة حتى لحق الجيش وانهزم اهل المدينة بعد جلاد عظيم ، فلما رأى عبد الله بن حنظلة ذلك اخذ يقدم بنيه واحداً بعد واحد ، حتى قتلوا بين يديه ، وكان عليه يومئذ درعان طرحها ، وجعل يقاتل وهو حاسر ، حتى قتل ، فلما قتل عبد الله بن حنظلة ، صار اهل المدينة كالاغنام بلا راع ، وجعل مسلم يقول لاصحابه : من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعله يغرى قوماً لا دين لهم ، فقتلوا وظهروا على اكثر المدينة ، وجالت خيولهم فيها ، وجعلوا يقتلون وينهبون ، قال الراوي : فما تركوا شيئاً مانهبوه حتى الحمام والدجاج وكانوا يدخلون في البيت ويقتلون الرجال ويهتكون النساء ، قال ابو معشر ودخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ، ومعها صبي

فقال لها هل من مال ؟ قالت لا والله ماتركوا لي شيئاً ، فقال والله لتخرجين الي شيئاً او لاقتلنك وصبيك هذا ، فقالت له ويحك بايعت رسول الله «ص» يوم بيعة الشجرة على ان لا ازني ولا اسرق ولا اقتل ولدي ولا اتي ببهتان افتريه ، فما أتيت شيئاً فاتق الله في وفي ولدي ، ثم قالت لأبنها يابني والله لو كان عندي شيء لافتديتك به ، قال : فاخذ الشامي برجلي الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها وضرب به الحائط ، فانتثر دماغه في الارض قال ولم يخرج من البيت حتى اسود وجهه ، وقال ابن ابي الحديد لما قدم جيش الحرة الى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة المري ، اباح المدينة ثلاثاً واستعرض أهلها بالسيف جزراً ، كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الاقدام بالدم ، وقتل ابناء المهاجرين والانصار وذرية اهل بدر ، واخذ البيعة ليزيد بن معوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على انه عبد قن لامير المؤمنين يزيد بن معوية ؛ قال ابن ابي الحديد ، هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة إلا علي بن الحسين بن علي «ع» فانه اعظمه واجلسه معه على سريره وكان ذلك بوصاة من يزيد بن معوية ، وذكر المؤيد ابو الفداء في تاريخه : قال واباح مسلم مدينة النبي «ص» ثلاثة ايام يقتلون فيها الناس ويأخذون ما بها من الاموال ويفسقون بالنساء ، وعن الزهري ان قتلى الحرة كانوا سبعمأة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والانصار ؛ وعشرة آلاف من وجوه الموالي «١» هذه افعال يزيد واتباعه بالامة ، وكان قد حكم ثلاث سنين ، ففي السنة الاولى قتل

«١» كانت وقعة الحر يوم الاربعا لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة .

الحسين بن علي سيد شباب اهل الجنة وريحانة رسول الله « ص » وفي السنة الثانية اباح المدينة وقتل فيها اولاد المهاجرين والانصار ، واكثر فيها السفك والهتك ، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة بالمنجنيق حتى احرق استار الكعبة .

« فائدة » كان جابر بن عبد الله الانصاري يومئذ قد ذهب بصره فجعل ينادي في ازقة المدينة ، تعس من اخاف الله ورسوله ﷺ فقال له رجل : ومن اخاف الله ورسوله (ص) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : من اخاف اهل المدينة فقد اخاف ما بين جنبي ، فحمل رجل عليه بالسيف فترامى عليه مروان فاجاره ان يدخله منزله ويغلق عليه بابه ،

«فائدة» وهجموا على ابي سعيد الخدري داره ، وكان الذي هجم عليه نفر من اهل الشام . فقالوا له ايها الشيخ من انت ؟ قال انا ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله (ص) فقالوا : ما زلنا نسمع عنك فبحظك اخذت في تركك قتالنا ، وكفك عنا ، ولزوم بيتك ، ولكن اخرج الينا ماعندك ، قال : والله ماعندي شيء من المال ، قال الراوي : فنتفوا لحيته وضربوه ضربات . ثم اخذوا كلما وجدوه في بيته حتى النوم وحتى زوج حمام كان له .

« فائدة » وقال شاعر المدينة مخاطباً بني امية وهو محمد ابن اسلم :

فان تقتلونا يوم حرة واقم فنحن على الاسلام اول من قتل
ونحن تركناكم ببدر اذلة وابنا باسياف لنا منكم تفل

لم ادر ابن رجال المسلمين مضوا　　وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره　　ومن خساسة طبع يعصر الودكا

***

ايمسي يزيد رافلا في حريره　　ويمسي حسين عاريا في حروورها
معرى بالمجـــيرة لا يواري　　مخلًا عن قريب او حبيب

﴿ المطلب الثاني والعشرون ﴾

« في مكاتبة ابن عباس ، ويزيد لع »

ذكر السبط بن الجوزي في كتابه التذكرة ، قال : لما وصل خبر قتل الحسين (ع) الى مكة . وبلغ عبد الله بن الزبير ، خطب بمكة ، وقال : امابعد الاان اهل العراق قوم غدر وفجر ، الاوان اهل الكوفةشرارهم انهم دعوا الحسين ليولوه عليهم وليقيم امورهم ، وينصرهم على عدوهم ويعيد معالم الاسلام ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه ، وقالوا له : ان لم تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيرى فيك رأيه قتلناك ومن معك ، فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، واخزى قاتليه ولعن من أمر بذلك ورضي به ، أفبعد ما جرى على ابي عبد الله يطمئن احد الى هؤلاء ، او يقبل عهود الفجر الغدر ، اما والله لقد كان عليه السلام صواما بالنهار ، قواما بالليل ، واولى بنبيهم من الفاجر بن الفاجر والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء ، ولا بالصيام شرب الخمور ، ولا بقيام الليل الزمور ، ولا بمجالس الذكر الركض في طلب الصيد واللعب بالقرود ، قتلوه فسوف يلقون غياً . الا لعنة الله على الظالمين ، قال ارباب التاريخ : ودعا ابن الزبير بعد قتل الحسين (ع) عبد

الله بن عباس ليبايعه ، فامتنع ابن عباس اشد الامتناع ، فبلغ امتناعه يزيد بن معوية ، فكتب اليه كتاباً يشكره فيه على امتناعه من البيعة لابن الزبير . ويقول : فيه اما بعد فقد بلغني ان الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته والدخول في طاعته ، لتكون له على الباطل ظهيراً . وفي المآثم شريكا ، وانك اعتصمت ببيعتنا وفاءاً منك لنا . وطاعة لله لما عرفك من حقنا . فجزاك الله عن ذي رحم ما يجزى الواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم ؛ وان انس شيئاً من الاشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذي انت له اهل . من القرابة من الرسول ، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه . وزخارف قوله فاعلمهم برأيك فانهم منك اسمع ولك اطوع ، من المحل للحرم المارق ، فلما ورد على ابن عباس كتاب يزيد ، كتب اليه اما بعد ، فقد جاءني كتابك . تذكر دعاء ابن الزبير اياي الى بيعته ، والدخول في طاعته ، فان يكن ذلك كذلك فاني والله لا ارجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذي انوي به عليم ، وزعمت انك غير ناس بري وتعجيل صلتي فاحبس ايها الانسان برك وتعجيل صلتك . فانني حابس عنك ودي فلعمري ماتؤتينا مالنا قبلك من حقنا الا اليسير ، وانك لتحبس عنا منه العريض الطويل ، وسألت ان احث الناس اليك . وان اخذلهم من ابن الزبير ، فلا ولاء ولا سرور ، ولا حباء ، انك تسئلني نصرتك وتحثني على ودك وقد قتلت حسينا (ع) وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام ، غادرتهم خيولك بامرك في صعيد واحد ، مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء ، لا مكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضباع . حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا

في دمائهم ، وارروهم بالتراب وجلست مجلسك الذي جلست ، فان انس من الاشياء فلست بناس طردك حسيناً عن حرم رسول الله « ص » الى حرم الله ، وتسييرك اليه الرجال لتقتله في الحرم ، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى اشخصته من مكة الى العراق ، فخرج خائفاً يترقب ؛ فزلزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله وأهل بيته ، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ونحن اولئك لا اباؤك الاجلاف الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة اكباد الابل والحمير ، اعداء الله ورسوله الذين قاتلوا رسول الله « ص » في كل موطن ، ثم انه بعد ما نزل بالعراق طلب اليكم الموادعة وسئلكم الرجعة فاغتنمتم قلة انصاره ، واستيصال أهل بيته ، وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم اهل بيت من الترك والديلم فلا شيء اعجب عندي من طلبتك ودي ، وقد قتلت ولد ابي وسيفك يقطر من دمي ، وانت احد ثاري فانشاء الله لا يبطل لديك دمي ، ولا تسبقني بثاري ، وان سبقتني في الدنيا فقبل ذلك قد قتل النبيون وآل النبيين ، فيطلب الله بدمائهم فكفى بالله للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقما ، فلا يعجبك إن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً . وذكرت وفائي . وما عرفتني من حقك فان يك ذلك كذلك . فقد والله بايعتك ومن قبلك ، وانك لتعلم اني وولد ابي احق بهذا الامر منك ، ولكنكم معشر قريش كابرتمونا عن حقنا ، ووليتم الامر دوننا فبعداً لمن تحرى ظلمنا واستغوى السفهاء علينا ، كما بعدت ثمود وقوم لوط واصحاب مدين ؛ الا وان من اعجب الاعاجيب وماعسى ان اعجب حملك بنات عبد المطلب واطفالا صغـــاراً من ولده اليك بالشام . كالسبي المجلوبين ، ترى الناس انك قهرتنا وانت تمن علينا . وفي ظنك انك اخذت

بثار اهلك الكفرة الفجرة يوم بدر ، واظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه والاضغان التي تكمنها في قلبك . كمون النار في الزناد ، وجعلت انت وابوك دم عثمان وسيلة الى اظهارها ، فالويل لك من ديان يوم الدين ، ولعمري والله فلا كنت تصبح آمنا من جراحة يدي ، اني لارجو ان يعظم الله جرحك من لساني ونقضي وابرامي بغيك الكثكث ؛ وانت المفند المثبور ، ولك الاثلب ، وانت المذموم ، والله ما انا بآيس من بعد قتلك ولدرسول الله ان يأخذك الله أخذاً اليما ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً فعش لا ابالك ما استطعت ، فقد والله ازددت عند الله أضعافاً واقترفت مأثماً والسلام على من اتبع الهدى ، يقول ابن عباس في كتابه هذا يا يزيد ، وان انس من الاشياء فلست بناس طردك حسيناً عن حرم رسول الله (ص) الى قوله ومن اعجب الاعاجيب وما عسى ان اعجب حملك بنات عبد المطلب واطفالا صغاراً من ولده اليك ، بـــلى والله لقد حملوهن على اعجاف الابل اسارى بلا محام ولا كفيل .

حملت على الاكوار بعد خدورها   الله مـــاذا تحمل الاكوار

« المطلب الثالث والعشرون »

« في ثورة العراقيين على ابن زياد لع »

قال ابن قتيبة : كان ابن زياد اول من ضم اليه الكوفة والبصرة ، وكان ابوه زياد كذلك قبله ، ولما هلك يزيد بن معوية واظهر ابن الزبير امره وخلع اهل البصرة طاعة بني امية وبايعوا ابن الزبير ، خرج عبيدالله ابن زياد الى المسجد ، وقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ؛ وقال : ايها

الناس ان الذي كنا نقاتل على طاعته قـــد مات ، واختلف امر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم ؛ فان امرتموني عليكم حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وانصفت مظلومكم ، واخذت على يد ظالمكم ، حتي يجتمع الناس على خليفة ، فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري ؛ وقال : الحمد لله الذي اراحنا من بني أمية واخرى من ابن سمية ، لا والله ولا كرامة ، قال : فامر عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن ، فقام بكر بن وائل فحال بينه وبين ذلك ، ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل واجتمع الناس في المسجد فقالوا انؤمر رجلا حتى تجتمع الناس على خليفة ، وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذي من كندة فبينما هم على ذلك اذ اقبل النساء يبكين وينعين الحسين (ع) واقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فاطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف . واجمع رأي اهل الكوفة والبصرة على عامر بن مسعود بن امية ، فأمروه عليهم ، حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبد الله بن الزبير يبايعونه بالخلافة ، فوجه لهم عاملا مكث عندهم سنة كاملة ، فبلغ اهل البصرة ما صنع اهل الكوفة فاجتمعوا واخرجوا الرايات ، فلم يبق احد الا وخرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم ، يطلبون قتله ، فلما رأى عبيد الله بن زياد ذلك لم يدر كيف يصنع وخاف تميا وبكر بن وائل ان يستجير بهم . ولم يأمن غدرهم فأرسل الى الحارث بن قيس الجهمي من الازد ، فدخل عليه الحارث . فقال له ياحارث قد اكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم اهله ، وقد استجرت بكم فانشدكم الله في ، فقال الحارث : اخاف ان لا تقدر على الخروج الينا

لما ارى من سوء رأي العامة فيك مع سوء آثارك في الازد ، قال : فتهيأ عبيد الله ولبس لباس امرأة في خمرتها وعقيصتها واردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس ، فقالوا ياحارث ما هذه ؟ قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي . كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها ، فقال عبيد الله للحارث اين نحن ؟ قال في بني سليم ، فقال سلمنا الله ، قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال في بني ناجية من الازد . وجاء به الى دار مسعود بن عمرو الازدي ، فقال له يا ابا قيس . قد جئتك بعبيد الله مستجيرا ، قال ولم جئتني بالعبد ؟ قال اشهد الله لقد اختارك على غيرك ، فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون ، قال قد بلغني الجهد والجوع ، فقال مسعود يا غلام ائت البقال ، فآتنا من خبزه وتمره ، قال الراوي : فجاء به الغلام فوضع واكل وانما اراد ابن زياد ان يتحرم بطعامه ، ثم قال ادخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية . قال فكأن عبيد الله خاف على نفسه . فقال ياغلام اصعد الى السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه ناراً . ففعل ذلك في جوف الليل . فاقبلت الازد على الخيل ، وعلى ارجلها ، حتى شحنوا السكك وملئوها ، فقال : ما لسيدنا ؟ قال : شيء حدث في الدار ، قال : فعرف عبيد الله عزته وماهو غليه ، هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياماً وعنده امرأتان من الازد وامرأة من عبد قيس . فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك . وتحدث الناس انه لجا ابن زياد الى مسعود بن عمرو ، فاجتمعت القبائل في المسجد وتكلموا في امر مسعود . وانه اجار ابن زياد ، فلما سمع مسعود . قال ماظني إلا

خارجاً الى البصرة معتذراً اليهم من امر عبيد الله . ثم قال : وكيف آمن عليه وهو في منزله ، ولكني ابلغه أمنه ثم امضي واعتذر اليهم ، وكان قد اجار ابن زياد اربعين ليلة ، وخرج ابن زياد من عنده متجهاً الى الشام على طريق السماوة ، متخفياً فكان لا يمر على ماء ولا على اناس قط ؛ قال الراوي : واقبل مسعود على برذون له وحوله عـــدة من الازد عليهم السيوف . وقد عصب راسه بسير احمر ؛ وكانت العرب تصنعه اذا اراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب راسه بالسير ايعلموا انه معتذر ، قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه اصحابه ، وكان لم يستطع النزول لكبره ، ودخل المسجد بدابته ، فبصرت به القبائل فظنوا انه عبيد الله فاقبلوا نحوه وجال الناس عليه جولة فضربوه باسيافهم حتى مات ووقعت الوقعة بين قبيلته الازد وبين مضر ، فهذا مسعود كان سبب قتله ، ان اجار ابن زياد الفاسق . وان كان قتلهم له خطأ ولا يلام هو على ذلك ، اذ ان العرب هذا ديدنهم وهذه سجيتهم يجيرون من استجار بهم الا اللعين ابن زياد خرم هذه القاعدة . استجار مسلم بن عقيل بالكوفة فلم يحفظ جواره ، لا هو ولا اهل الكوفة بل قاتلوه وقتلوه ورموه من اعلى القصر الى الارض .

لو كان في الكوفة غير مسلم من مسلم ما قطعوه إربا

(المطلب الرابع والعشرون)

« في ذكر التوابين »

قال ابن جرير الطبري ، وابن الاثير ، وابن كثير في البداية

والنهاية . لما قتل الحسين (ع) رأى الشيعة بالكوفة انهم اخطأوا خطأ كبيراً ، وارتكبوا ذنباً عظيما بعدائهم الحسين « ع » وتركهم نصرته . وان لا كفارة في ذلك الا الاستماتة دون ثاره ، وسموا أنفسهم التوابين لتوبتهم من عظيم ذنبهم . فكان اول ما ابتدأوا بـــه امرهم سنة احدى وستين جمع آلة الحرب والاستعداد ، ودعاء الناس في السر الى الطلب بدم الحسين عليه السلام ، ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك يزيد بن معوية لاربع عشر ليلة مضت من ربيع الاول سنة اربع وستين ، وكان بين قتل الحسين (ع) وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهران واربعة ايام واميو العراق يومئذ عبيد الله بن زياد ، وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي وكان من عيون الشيعة فيها سليمان بن صرد الخزاعي (١) والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، وعبد الله بن وال التميمي ، فاجتمع هؤلاء يوماً في دار سليمان بن صرد الخزاعي ومعهم اناس كثير فبدأ سليمان بالكلام ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال : اما بعد فقد ابتلينا بطول العمر والتعرض للفتن ، وقد قال علي (ع) العمر الذي اعذر الله فيه ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا الا من بلغها وكنا مغرمين بتذكية أنفسنا ومدح شيعتنا ، حتى أبلى الله خيارنا فوجدنا كذابين في نصرة ابن بنت رسول الله (ص) ولا عذر دون ان تقتلوا

« ١ » كان سليمان بن صرد الخزاعي صحابياً كبيراً جليلا عابداً روى عن النبي «ص» احاديث في الصحيحين وغيرهما وشهد مع علي صفين وكان احد من يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين (ع) وكتب اليه في من كتب للقدوم الى العراق .

قاتليه . فعسى ربنا أن يعفو عنا ، فقام رفاعة بن شداد ، وقال : قد هداك الله الى صواب القول ، ودعوت الى رشد الامور جهاد الفاسقين ، والى التوبة من الذنب فمسموع منك مستجاب لك مقبول منك ، ثم التفت الى الحاضرين وقال : فان رأيتم ولينا هذا شيخ الشيعة وصاحب رسول الله (ص) سليمان بن صرد ، فقال المسيب : اصبتم ووفقتم ، وأنا أرى الذي رأيتم فاستعدوا للحرب فقاموا وبايعوا سليمان بن صرد ، قال الراوي . وكتب سليمان كتاباً الى من كان بالمدائن من الشيعة من اهل الكوفة ، وبعثه مع عبد الله بن مالك الطائي ، الى سعد بن حذيفة بن اليمان ، يدعوهم الى أخذ الثار ، فلما وقفوا على الكتاب قالوا : رأينا مثل رأيهم ، فكتب سعد بن حذيفة الجواب بذلك ، وكتب سليمان أيضاً الى المثنى بن مخرمة العبدي كتاباً ، فكتب المثنى الجواب ، اما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رايك واستجابوا لك . فنحن موافوك للاجل الذي ضربت والسلام عليك ، وكتب في اسفل كتابه :

تبصر كأني قد أتيتك معلما ... على ابلغ الهادي أجش هزيم
طويل القرا نهداً اشق مقلص ... ملح على فاري اللجام رؤم
بكل فتى لا يملا الدرع نحره ... محث لنار الحرب غير سؤم
اخي ثقة يبغي الاله بسعيه ... ضروب بنعل السيف غير اثيم

وكتب ايضاً كتاباً الى البصرة :

قال الراوي : وقوي امرهم واشتدت شوكتهم ، وصادف ان دخل المختار الى الكوفة في تلك الايام راجعاً من مكة ، فجعل الناس

يقولون هذا المختار ماقدم الا لأمر ، ونرجوا به الفرج ، ثم انه جعل يبعث الى وجوه الشيعة ويدعوهم لنفسه ، فقالوا له : انت اهل لذلك غير الناس قد بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي ، فهو شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل في أمرك ، فسكت المختار واقام ينتظر ما يكون من امر سليمان والشيعة حينئذ يريدون امرهم خوفاً من عبد الملك بن مروان . وعبد الله بن الزبير ، وكان خوف الشيعة من اهل الكوفة اكثر ، لأن اكثرهم قتلة الحسين (ع) وصار المختار يخذل الناس عن سليمان ويدعوهم الى نفسه حتى بايعه جماعة وكان عبد الله بن الزبير ، قد جعل من قبله عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال لهما عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي ، ان المختار اشد عليكما ، لأن سليمان انما خرج يقاتل عدوكما ، والمختار انما يريد ان يثبت عليكما ، فسيروا اليه واوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن فما شعر المختار الا وقد احاطوا بداره واستخرجوه ، فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله بن يزيد : اوثقه كتافاً ومشه حافياً . فقال له : لم افعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً . انما اخذناه على الظن فاتى ببغلة له دهماء فركبها وادخلوه السجن ؛ قال وخرج سليمان بن صرد ليرحل فراى عسكره . فاستقبله فبعث الى حكيم بن منقذ الكندي ، والوليد بن حصين الكناني ، في جماعة وامرهما بالنداء في الكوفة وفي الجامع الكبير ؛ يالثارات الحسين (ع) فخرج جمع كثير الى سليمان ، وكان معه ستة عشر الف مثبتة اسماؤهم في ديوانه ، فلم يحضر منهم سوى اربعة آلاف ، فخرج بهم وسار لمحاربة عبيد الله بن زياد « لع » فقال له عبد الله بن سعد ؛ ان قتلة الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد

ورؤوس الارباع ، والاشراف ، والقبائل وليس بالشام سوى عبيد الله ابن زياد فلم يعبا برايه دون ان سار بالرجال عشية الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الثاني ، فباتوا ليلتهم بدير الاعور ، ثم ساروا فنزلوا على اقساس مالك على شاطيء الفرات واصبحوا عند قبر الحسين « ع » فاقاموا يوماً وليلة يصلون ، ويستغفرون ، وينوحون ، ويضجون ضجة واحدة بالبكاء والعويل فلم ير يوماً اكثر بكاء ؛ وازدحموا عند الوداع على قبره كازدحام الناس على الحجر الاسود ، وقام وهب بن زمعة الجعفي باكياً على القبر وانشد ابيات عبد الله بن الحر الجعفي حيث يقول :

يبيت النشاوى من امية نوما   وبالطف قتلى لا ينام حميمها

« فائدة » قال بن جرير الطبري لما انتهى سليمان بن صرد واصحابه الى قبر الحسين « ع » نادوا صيحة واحدة يا رب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى ، وتب علينا انك انت التواب الرحيم . وارحم حسينا واصحابه الشهداء الصديقين ، وانا نشهدك يارب انا على مثل ماقتلوه عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

« فائدة » كان دخول المختار بن ابي عبيدة الثقفي الكوفة في النصف من شهر رمضان ، وقدم عبد الله بن يزيد الانصاري اميراً على الكوفة من قبل ابن الزبير لثمان بقين من شهر رمضان ، وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فأخذ المختار يبكي الحسين ويذكر مصابه فاحبه الناس وصار يدعوهم الى قتال قتلة الحسين « ع » ويقول جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية فرجع اليه طائفة من الشيعة ثم حبسه عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة .

واضحت قناة الدين في كف ظالم واذا اعوج منها جانب لا يقيمها
فاقسمت لا تنفك نفسي حزينة وعيني تبكي لا يجف سجومها
حياتي او تلقى امية خزية يذل بها حتى الممات قرومها

اقول فليت هؤلاء الصفوة حضروا لإمامهم يوم عاشوراء وقد احاطت به أعداؤه وهم سبعون الف ، وهو وحيد فريد بلا ناصر ولا معين قال الشاعر :

يرى قومه صرعى وينظر نسوة تجلببن جلباب البكا والمآتم

وقال آخر :

واضحى يدير السبط عينيه لا يرى سوى جثث منهم على الترب ركد

« المطلب الخامس والعشرون »

« في تتمة قضية التوابين »

لما خرج سليمان بن صرد الخزاعي من الكوفة بالرجال والعدة قاصدين الشام ، كان مع الناس عبد الله بن عوف الاحمر على فرس كميت يتأكل تأكلا وهو يقول :

خرجن يلمعن بنا ارسالا عوابسا وتحمل الابطالا
نريد ان نلقى بها الاقبالا الفاسقين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الاهل والاموالا والخفرات البيض والحجالا
نرجوا به التحفة والنوالا لنرضي المهيمن المفضالا

قال ، فساروا حتى أتوهيت ثم خرجوا منها حتى اتوا قرقيسيا . وبلغهم ان اهل الشام في عدد كثير ، فساروا سيراً مغذا حتى وردوا عين

الوردة . عن يوم وليلة ، ثم قام سليمان بن صرد . فوعظهم وذكرهم دار الآخرة . وقال : ان قتلت فاميركم المسيب بن نجبة فان اصيب فالامير عبد الله بن سعد بن نفيل ، فان اصيب فاخوه خالد بن سعد ، فان قتل فالامير عبد الله بن وال ، فان قتل فأميركم رفاعة بن شداد ، ثم بعث سليمان المسيب بن نجبة ، في اربعة آلاف فارس وأمره ان يشن عليهم الغارة ، قال حميد بن مسلم ، كنت معهم فسرنا يومنا كله ، وليلتنا حتى اذا كان السحر ، نزلنا وهومنا ، ثم ركبنا وقد صلينا الصبح ففرق العسكر ، وبقي معه مائة فارس ، فلقى اعرابياً فقال له : كم بيننا وبين القوم قال : ميل (١) وهذا عسكر شراحيل بن ذي الكلاع ، من قبل عبيدالله بن زياد . في اربعة آلاف ، ومن ورائهم الحصين بن نمير السكوني في اربعة آلاف ، ومن ورائهم الصلب بن ناجية الغلابي ، في اربعة آلاف وجمهور العسكر مع عبيد الله بن زياد بالرقة ، قال فساروا حتى أشرفوا على عسكر الشام ، فقال المسيب لاصحابه كروا عليهم . فحمل عليهم عسكر العراق . فانهزموا ، وقتل منهم خلق كثير ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة ، قال وامرهم المسيب بالعودة فرجعوا الى سليمان ووصل الخبر الى عبيدالله بن زياد فسرح اليهم الحصين بن نمير . واتبعه بالعساكر حتى نزل في عشرين الف . وعسكر العراق يومئذ ثلاثة آلاف ومائة لا غير ، ثم تهيأت العساكر للحرب ؛ فكان على ميمنة اهل الشام عبد الله بن الضحاك بن قيس الفهري ، وعلى ميسرتهم مخارق بن ربيعة الغنوي ، وعلى الجناح شراحيل بن ذي الكلاع الحميري ، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني

(١) الميل اربعة آلاف ذراع وكل ثلاثة اميال فرسخ .

ثم جعل اهل العراق على ميمنتهم المسيب بن نجبة الفزاري ، وعلى ميسرتهم عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي ، وعلى الجناح رفاعة بن شداد البجلي وعلى القلب الامير سليمان بن صرد الخزاعي ، ووقف العسكر فنادى اهل الشام ادخلوا في طاعة عبد الملك بن مروان ، ونادى اهل العراق سلموا لنا عبيد الله بن زياد ، وان يخرج الناس من طاعة عبد الملك وآل الزبير ويسلم الامر الى اهل بيت نبينا ، فابى الفريقان وحمل بعضهم على بعض وجعل سليمان بن صرد يحرضهم على القتال ، ويبشرهم بكرامة الله ، ثم كسر جفن سيفه وتقدم نحو اهل الشام وهو يقول :

اليك ربي تبت من ذنوبي وقد علاني في الورى مشيبي
فارحم عبيدا غرما تكذيب واغفر ذنوبي سيدي وحوبي

قال حميد بن مسلم ، حملت ميمنتنا على ميسرتهم ؛ وحملت ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان في القلب فهزمناهم.. وظفرنا بهم . وحجز الليل بيننا وبينهم . ثم قاتلناهم في الغد وبعده حتى مضت ثلاثة ايام ، ثم امر الحصين بن نمير اهل الشام برمي النبل ، فاتت السهام كالشرار المتطاير فقتل سليمان بن صرد ، ثم اخذ الراية المسيب بن نجبة ، فجعل يقاتل وهو يقول :

قد علمت ميالة الذوائب واضحة الخدين والترائب
اني غداة الروع والتغالب اشجع من ذي لبدة مواثب
قطاع أقران مخوف الجوانب

***

فلم يزل يقاتل حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، ثم اخذ الراية عبد الله

ابن سعد بن نفيل ، فحمل على القوم وهو يقول :

ارحم الهي عبدك التوابا ولا تؤاخذه فقد اتابا
وفارق الاهلين والاحبابا يرجو بذاك الفوز والثوابا

فلم يزل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم اخوه خالد بن سعيد بالراية ، وحرض أصحابه على القتال وقاتل حتى قتل ، وتقدم عبد الله بن وال ، فاخذ الراية وقاتل حتى قطعت يده اليسرى ، ثم استند الى اصحابه ويده تشخب دماً ، ثم كر عليهم وهو يقول :

نفسي فداكم اذكروا الميثاقا وصابروهم واحذروا النفاقا
لا كوفة نبغي ولا عراقـــا لا بل نريد الموت والصناقا

قاتل حتى قتل ، فبينا هم كذلك اذ جاءتهم النجدة مع المثنى بن مخزمة العبدي من البصرة ، ومن المدائن ، مع كثير بن عمرو الحنفي ، فاشتدت قلوب اهل العراق بهم ، واجتمعوا وكبروا واشتد القتال حتى بان في اهل العراق الضعف والقلة وتحدثوا في ترك القتال ، فبعضهم وافق وبعضهم قال ان ولينا ركبنا السيف فلا نمشي فرسخاً حتى لا يبقى منا واحد ، وانما نقاتل حتى يأتي الليل ونمضي ، ثم تقدم عبد الله بن عوف الى الراية فرفعها واقتتلوا اشد قتال فقتل جماعة من اهل العراق ، وجاء ادهم بن محرز الباهلي في نحو عشرة آلاف مدداً من ابن زياد ، فاقتتلوا يوم الجمعة الى ارتفاع الضحى ، ثم ان اهـــل الشام كثروا اصحاب سليمان وتعطفوا عليهم من كل جانب ، وانفلت الجموع وافترق الناس ، وبان الانكسار باهل العراق فتراجعوا حتى وصلوا قرقيسيا ، في جانب البر وجاء سعد بن حذيفة الى هيت ، فلقيه الاعراب فاخبروه بما لقي الناس

ثم عاد اهل المدائن واهل الكوفة الى بلادهم ، وقــد ادوا ماعليهم فمن استشهد منهم سعد في الدارين ومن لم يقتل منهم فقد ادى ما عليه (١) لكنهم لم يصلوا الى ماوصل اليه اصحاب ابي عبد الله الحسين يوم عاشورا فانهم جاهدوا دونه حتى جزروا على الارض فوقف عليهم الحسين وجعل يناديهم باسمائهم ولسان حاله يقول :

احباي لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ماعلى الموت معتب

« المطلب السادس والعشرون »

« في تتمة ذكر التوابين »

ذكر الطبري عن عبد الرحمن بن غزية . قال لما انتهينا الى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس باجمعهم وسمعت جل الناس يتمنون أنهم كانوا اصيبوا معه ، فقال سليمان اللهم ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد ، المهدي بن المهدي ، الصديق بن الصديق ، اللهم انا نشهدك انا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم ، واولياء محبيهم ، قال فاقاموا عنده يوماً وليلة

«١» قتل سليمان بن صرد ومن قتل معه من التوابين بعين الوردة في ربيع الآخر سنة خمس وستين .

« فائدة » قال السبط ابن الجوزي في التذكرة كان سليمان بن صرد له شرف في قومه ، ولما قبض رسول الله «ص» تحول فنزل الكوفة وشهد مع علي ـ ع ـ الجمل وصفين ، وكان في الذين كتبوا الى الحسين ـ ع ـ ان يقدم الكوفة غير انه لم يقاتل معه حيث سجنه ابن زياد وكان سن سليمان بن صرد يوم قتل ثلاثا وتسعين سنة .

يصلون عليه ويبكون ويتضرعون فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى اصحابه حتى صلوا الغداة عند قبره وزادهم ذلك حنقا ، ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيعول عليه ويترحم عليه ، ويستغفر له ، قال الراوي : فو الله لرأيتهم ازدحموا على قبره اكثر من ازدحام الناس على الحجر الاسود ، قال : ووقف سليمان عند قبره فكلما دعا قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الحقوا باخوانكم رحمكم الله فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من اصحابه فاحاط سليمان بالقبر ، فقال سليمان الحمد لله الذي لو شاء اكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم ان حرمتناها معه ، فلا تحرمناها فيه بعده ، قال ثم ان سليمان سار من موضع قبر الحسين (ع) وسرنا معه فاخذنا على الجصاصة ثم على الانبار ، ثم على الصدود ، ثم على القيارة وجاؤا يجدون السير حتى وافوا هيت وجاءهم كتاب من عبد الله بن يزيد من الكوفة يحذرهم المسير ، ويدعوهم الى اتباع ابن الزبير ، فكتب اليه سليمان بسم الله الرحمن الرحيم للامير عبـــد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين ، سلام عليكم اما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا مانويت فنعم والله الوالي ونعم الامير ، ونعم اخو العشيرة انت ، والله من نامنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ، ونحمده على كل حال إنا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة » الى قوله وبشر المؤمنين «١» ، ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا ، انهم قد تابوا من عظيم جرمهم الى الله وتوكلوا عليه ، ورضوا بما قضي الله ، « ربنـــا عليك توكلنا واليك انبنا

واليك المصير » «٢» والسلام عليك ، فلما اتاه هذا الكتاب . قال: استهلت القوم اول خبر يأتيكم عنهم قتلهم ، وايم الله ليقتلن كراما مسلمين ، لا والذي هو ربهم ؛ لايقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم ، قال عبدالرحمن بن غزية : وخرجنا من هيت وانتهينا الى قرقيسيا فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبأنا تعبئة حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريباً منها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ولم يخرج اليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة ، فقال ائت ابن عمك هذا ، فقل له فليخرج الينا سوقا فانا لسنا اياه نريد ؛ انما صمدنا لهؤلاء المحلين فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى الى باب قرقيسيا ، فقال افتحوا الباب ممن تحصنون ! فقالوا من انت قال أنا المسيب بن نجبة ، فاتى الهذيل بن زفر اباه ، فقال هذا رجل حسن الهيأة يستاذن عليك وسألناه من هو ، فقال : المسيب بن نجبة . قال : وانا اذ ذلك ، لا علم لي بالناس ولا اعلم اي الناس هو ، فقال لي ابي اما تدري اي بني من هذا ؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها ، واذا عد من اشرافها عشرة كان احدهم ، وهو بعد رجل ناسك له دين . إئذن له . قال ، فاذن له ودخل فاجلسه ابي الى جانبه ، وسأله ولاطفه في المسالة ، فقال المسيب بن نجبة ممن تحصن ، انا والله ما اياكم نريد ، وما اعترينا الى شيء الا ان تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين ، فاخرج لنا سوقاً فانا لا نقيم بساحتكم الا يوماً او بعض يوم ، فقال له زفر بن الحارث ، إنا لم نغلق هذه الابواب الا لنعلم ايانا اعتريتم ام غيرنا . انا والله ما بنا عجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة وما نحب انا بلينا بقتالكم ، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة ، ثم دعا ابنه فامره

ان يصنع لهم سوقاً وامر للمسيب بالف درهم وفرس ، فقال له المسيب : اما المال فلا حاجة لي فيه ، والله ما له خرجنا ولا اياه طلبنا ، واما الفرس فاني اقبله لعلي احتاج اليه ان ظلع فرسي او غمز تحتي ، فخرج به حتى اتى اصحابه ، واخرجت لهم السوق فتسوقوا . وبعث زفر بن الحارث الى المسيب بن نجبة ، بعد اخراج السوق والاعلاف والطعام الكثير بعشرين جزوراً ، وبعث الى سليمان بن صرد مثل ذلك ، وقد كان زفر امر ابنه ان يسال عن وجوه اهل العسكر ، فسمي له عبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال ، ورفاعة بن شداد ، وسمي له امرآء الارباع ، فبعث الى هؤلاء الرؤس الثلاثة بعشر جزائر ، وعلف كثير وطعام ، واخرج للعسكر عيراً عظيمة وشعيراً كثيرا ، فقال غلمان زفر هذه عير فاجتزروا منها ما احببتم وهذا شعير فاحتملوا منه ما اردتم ، وهذا دقيق فتزودوا منه ما اطقتم ، فظل القوم يومهم ذلك مخصبين ، لن يحتاجوا الى شراء شيء من هذه الاسواق التي وضعت ، وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير الاان يشتري الرجل ثوبا او سوطاً ، ثم ارتحلوا من الغد وبعث اليهم زفر اني خارج اليكم مشيعكم فاتاهم وقد خرجوا على تعبئة حسنة فسايرهم ، فقال زفر لسليمان انه قد بعث خمسة امراء ، قد فصلوا من الرقة ، فيهم الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وادهم بن محرز الباهلي ، وابو مالك بن ادهم وربيعة بن المخارق الغنوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي ، وقد جاءكم في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحد حديد ، وايم الله لقل ما رأيت رجلا أحسن هيأة ولاعدة ولااخلق لكل خير من رجال أراهم معك ، ولكنه قد بلغني انه قد اقبلت اليكم عدة لا

تحصى ؛ فقال ابن صرد على الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون ، ثم قال له زفر فهل لكم في امر اعرضه عليكم لعل الله ان يجعل لنا ولكم فيه خيراً ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها ، فكان امرنا واحد وايدينا واحدة ، وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا واخرجنا معسكرنا الى جانبكم فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعاً ، فقال سليمان لزفر : قد ارادنا اهل مصرنا على ما اردتنا عليه ، وذكروا مثل الذي ذكرت ، وكتبوا الينا به بعد ما فصلنا ، فلم يوفقنا ذلك فلسنا فاعلين ، فقال زفر فانظروا ما اشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فاني للقوم عدو وأحب ان يجعل الله عليهم الدائرة وانا لكم واد ، احب ان يحوطكم الله بالعافية ، ان القوم قدفصلوا من الرقة فبادورهم الى عين الوردة ، فاجعلوا المدينة في ظهوركم ، ويكون الرستاق والماء والمادة في ايديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم ، فانتم له آمنون ، والله لو ان خيولي كرجالي لامددتكم اطووا المنازل الساعة الى عين الوردة ، فان القوم يسيرون سير العساكر ، وانتم على خيول . والله لقل مارأيت جماعة خيل قط اكرم منها تأهبوا لها من يومكم هذا . فاني ارجو ان تستبقوهم اليها ، وان بدرتموهم الى عين الوردة ، فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم اكثر منكم . فلا آمن ان يحيطوا بكم فانه ليس لكم مثل عددهم فان استهدفتم لهم لم يلبثوا ان يصرعوكم ولا تصفوا لهم حين تقاتلوهم ، فاني لا ارى معكم رجالة ؛ ولا اراكم كلكم الا فرساناً ، والقوم لاقوكم بالرجال والفرسان ، فالفرسان تحمي رجالها ، والرجال تحمي فرسانها ، وانتم ليس لكم رجال تحمي فرسانكم ، فالقوم

في الكتائب والمقانب (١) ثم بثوها مابين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كل كتيبة. كتيبة الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين ترجلت الاخرى فنفست عنها الخيل والرجال. ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى ما شاءت كتيبة انحطت، ولو كنتم في صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض، وكانت الهزيمة ثم وقف فودعهم، وسأل الله ان يصحبهم وينصرهم. فاثنى الناس عليه ودعوا له فقال له سليمان بن صرد نعم المنزول به انت اكرمت النزول واحسنت الضيافة ونصحت في المشورة، وهذه سجايا العرب واهل الشرف اذ حل بهم ضيف ونزل بساحتهم اجاروه واكرموه ونصحوا له ـ لعن الله اهل الكوفة فلقد نزل بساحتهم سيد شباب اهل الجنة وحل بين ظهرانيهم فبدل ان يحسنوا له حلؤه هو واطفاله عن ماء الفرات واخذوا عليه الشرائع وتركوا اطفاله يتضاغون من العطش حتى قتلوه عطشانا . . .

فعز ان تتلظى بينهم عطشا والماء يصدر عنه الوحش ريانا

« المطلب السابع والعشرون »

« في تتمة قضية التوابين »

لما ارتحل سليمان بن صرد باصحابه من قرقيسيا، اقبلوا يجدون السير وجعلوا كل مرحلتين مرحلة، قال الراوي: فمررنا بالمدن حتى بلغنا ساعا ثم ان سليمان بن صرد، عبأ الكتائب واقبل حتى انتهى الى عين الوردة، فنزل في غربيها، وسبق القوم اليها فعسكر، واقام بها خمسا لا يبرح

(١) المقانب مفردها مقنب والمقنب جمع من الخيالة .

واستراحوا واطمأنوا واراحوا خيلهم ، قال واقبل اهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فلما سمع ذلك سليمان قام خطيباً في اصحابه . وقال : اما بعد فقد اتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير اليه ، آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ، ولقاء الله معذورين فقد جاءكم بل جئتموهم انتم في دارهم وحيزهم ، فاذا لقيتموهم فاصدقوهم . واصبروا ان الله مع الصابرين ، ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من اهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد ان تاسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطف رحمة الله عليهم ، فان هذه كانت سيرة امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في اهل هذه الدعوة ، ثم بعث المسيب بن نجبة في اربعمائة فارس ، وقال له سر حتى تلقى اول عسكر من عساكرهم ، فشن فيهم الغارة . فاذا رأيت ما تحبه ، والا انصرفت الي في اصحابك ، واياك ان تنزل او تدع احداً من اصحابك ان ينزل . فسار المسيب بن نجبة بالعسكر حتي اذا جن عيهم الليل باتوا ثم ساروا واذا هم برجل ، قالوا له : من اين انت قال من تغلب ، فقال المسيب غلبنا ورب الكعبة ، ثم ساله كم بيننا وبين ادنا هؤلاء القوم منا ، قال ادنا عسكر من عساكرهم منكم ابن ذي الكلاع . على رأس ميل فتركنا الرجل واقبلنا نحوهم مسرعين ، فوالله ما شعروا حتى اشرفنا عليهم وهم غارون ، فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثيراً حتى انهزموا فاصبنا منهم رجالا وجرحنا فيهم ، فاكثرنا الجراح واصبنا لهم دواباً وخرجوا من عسكرهم وخلوه لنا ، فاخذنا منه ماخف علينا ، فصاح

المسيب فينا الرجعة . انكم قد نصرتم وغنمتم وسلمتم ، فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمان ، وبلغ ذلك ابن زياد فسرح الينا الحصين بن نمير مسرعاً ، حتى نزل في اثني عشر الفا ، فخرجنا اليهم يوم الاربعاء لثمان بقين من جمادي الاولى ؛ فجعل سليمان بن صرد ، عبد الله ، بن سعد بن نفيل على ميمنته ، وعلى ميسرته المسيب بن نجبة ، ووقف هو في القلب ، وجاء الحصين بن نمير ، وقد عبأ لنا جنده ؛ فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله ؛ وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي ، ثم زحفوا الينا ، فلما دنوا دعونا الجماعة . الى عبد الملك بن مروان الى الدخول في طاعته ، ودعوناهم الى ان يدعوا لنا ، عبيدالله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من اخواننا . وان يخلعوا عبد الملك ابن مروان ، والى ان يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير ، ثم نرد هذا الامر الى اهل بيت نبينا الذين اتانا الله من قبله بالنعمة من قبلهم بالنعمة والكرامة ، فابى القوم وأبينا ، فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم ، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطروناهم الى عسكرهم ، فما زال الظفر لنا عليهم ، حتى حجز الليل بيننا وبينهم ، ثم انصرفنا عنهم ، وقد احجزناهم في عسكرهم ؛ فلما كان الغد صبحهم ابن ذي الكلاع ، في ثمانية آلاف امدهم عبيد الله بن زياد ، وبعث اليه ليشتمه ، ويقع فيه . ويقول انما عملت عمل الاغمار تضيع عسكرك ومسالحك ، سر الى الحصين بن نمير ، حتى توافيه وهو على الناس فجاءه فغدوا علينا وغادبناهم ، فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط . يومنا كله

لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة ، حتى أمسينا فتحاجزنا . وقد والله اكثروا فينا الجراح وافشيناهافيهم ، ولما كان اليوم الثالث وهو يوم الجمعة قاتلناهم اشد قتال ، حتى ارتفع الضحى ، ثم ان اهـــل الشام كثرونا وتعطفوا علينا من كل جانب ، ورأى سليمان بن صرد ، ما لقي اصحابه فنزل ونادى عباد الله من اراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء لعهده فالي ، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيولهم حتى اختلطت مـــع الرجال ، فقاتلوهم حتى نزلت الرجال ، تشتد مضلتة بالسيوف ، وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون ، فقاتلوهم وقتلوا من اهل الشام مقتلة عظيمة ، وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح ، فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقتل سليمان بن صرد ، واخذ الراية المسيب بن نجبة ، وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا اخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ، أقول ما اشبه كلامه هذا بكلام حبيب بن مظاهر يوم عاشورا حين وقف على مصرع مسلم بن عوسجة الاسدى ، وقال له فيما قال ابشر يا مسلم بالجنة فقال مسلم : بشرك الله بخير . فقال له حبيب يا اخي يا مسلم لو لم اعلم اني بالأثر لأحببت ان توصي الي بجميع ما اهمك ، قال له اوصيك بهذا الغريب واشار بيده الى الحسين (ع) قاتل دونه حتى تقتل .

اوصى ابن عوسجة حبيباً قال قا تل دونه الحمام تذوقـــا
نصروه احياءاً وعند مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

المطلب الثامن والعشرون

« في واقعة التوابين »

لما تقابل الفريقان جيش سليمان بن صرد الخزاعي ومن معه من التوابين ، وجيش عبد الملك بن مروان بعين الوردة (١) ، وتجالدوا ثلاثة ايام ، وقتل شيخ الشيعة سليمان بن صرد « ره » اخذ الراية المسيب بن نجبة ، وشد على القوم فقاتل ساعة ، ثم رجع ، ثم شد بها . فقاتل ثم رجع ، ففعل ذلك مراراً يشد ثم يرجع ، حتى قتل رحمه الله ، قال الراوي والله ما رأيت اشجع منه انساناً قط ولا من العصابة التي كان فيهم ، ولقد رأيته يوم عين الوردة ، يقاتل قتالاً شديداً ، ماظننت ان رجلا واحداً ، ان يبلي مثل ما ابلى ، ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ . لقد قتل رجالا شذاذاً ، قال : وسمعته يقول قبل ان يقتل وهو يقاتلهم :

قد علمت ميالة الذوائب واضحة اللباب والترائب
اني غداة الروع والتغالب أشجع من ذي لبد مواثب
قطاع اقران مخوف الجانب

قال الراوي : ولما قتل المسيب بن نجبة ، اخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم قال رحم الله اخوي ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، واقبل بمن كان معه من الازد ، فحفوا برايته قال : وحمل علينا ربيعة بن المخارق ، حملة منكرة فاقتتلنا قتالا شديداً ، ثم انه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل بضربتين ، فلم يصنع سيفاهما

(١) عين الوردة

شيئاً ، واعتنق كل منهما صاحبه فوقعا الى الارض ، ثم قاما فاضطربا وحمل ابن اخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد ، فطعنه في ثغرة نحره فقتله ، وحمل وقال خالد بن سعد بن نفيل : اروني قاتل اخي فاريناه ابن اخي ربيعة بن المخارق ، فحمل عليه فقنعه بالسيف ، قال : ثم شد اهل الشام على اهل الكوفة وتعطفوا عليهم من كل جانب ، حتى بلغوا بهم مكانهم وتولى قتال اهل الكوفة حينذاك ادهم بن محرز الباهلي ، وقتل بعدها عبد الله بن وال ، وكان من فقهاء اهـــل العراق . الذين كانوا يكثرون الصلاة والصيام ويفتون الناس ، وقتل بعده عبد الله بن حازم ، وقع الى جنبه ، واخذ اهل الشام يتنادون ان الله قد اهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل ، فاخذوا يقدمون عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرساناً شجعاناً . ليس فيهم سقط رجل وليسوا لهم بمضجرين ، فيتمكنوا منهم فقاتلوهم حتى العشاء قتالا شديداً ، قال الراوي : وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير ، فقال : يا اهل الشام هل فيكم احد من كندة ؟ فخرج اليه منهم رجال فقالوا : نعم نحن هؤلاء ، فقال لهم دونكم اخيكم فابعثوا به الى قومكم بالكوفة ، فانا عبد الله بن عزيز الكندي . فقالوا له : انت ابن عمنا فانك آمن فقال لهم . والله لا اوغب عن مصارع اخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللارض اوتاداً ، وبمثلهم كان الله يذكر ، فاخذ ابنه يبكي في اثر ابيه فقال يابني لو ان شيئاً آثر عندي من طاعة ربي اذاً لكنت انت ، وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في اثره وأروا الشاميون له ولأبنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ، ثم اعتزل الجانب الذي خرج

اليه منه قومه فشد على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل ، ولما امسى الناس ورجع اهل الشام الى معسكرهم نظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه الى قومه ، ثم سار بالناس ليلته كلها حتى اصبح بالتنينير فعبر الخابور وقطع المعابر ثم مضى لا يمر بمعبر الا قطعه واصبح الحصين بن نمير ، فبعث عيناً له فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في اثارهم احد ؛ وساروا حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر فبعث اليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث اليهم في المرة الاولى ، وارسل اليهم الاطباء ، وقال اقيموا عندنا ما احببتم فان لكم الكرامة والمواساة ، فاقاموا ثلاثاً ، ثم زود كل امريء منهم ما احب من الطعام والعلف ، قال وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان ، حتى انتهى الى هيت فاستقبله الاعراب واخبروه بما لقي الناس فانصرف فتلقى المثنى بن مخرمة العبدي بصندوداء فاخبره فاقاموا حتى جاءهم الخبر ان رفاعة قد اظلكم ، فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض ، وبكى بعضهم الى بعض ، وتناعوا اخوانهم فاقاموا بها يوماً وليلة ، وانصرف اهل المدائن الى المدائن ، واهل البصرة الى البصرة ، واقبل اهل الكوفة الى الكوفة ، ولما ورد البشير على عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح ، قال فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : اما بعد فان الله قد اهلك من رؤوس اهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة . سليمان بن صرد . الا وان السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف ، الا وقد قتل الله من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالين

مضلين ، عبد الله بن سعد اخا الازد ، وعبد الله بن وال اخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء احد عند دفاع ولا امتناع ، فكأنه اظهر الشماتة والفرح والسرور بقتل التوابين كما اظهر الفرح والسرور سلفه يزيد بن معوية لما جاءه البشير بقتل الحسين عليه السلام ، وبقدوم السبايا الى الشام ، ولما قربوا بالسبايا من الشام صعد يزيد على سطح قصره ونظر الى الرؤوس على اطراف الرماح ، وقد صعدوا بها على جبل جيرون فانشأ يقول :

لما بدت تلك الرؤوس واشرقت تلك الشموس على ربا جيروني
نعب الغراب فقلت نح او لا تنح فلقد قضيت من النبي ديوني

نعم لقد تقاضى ابن ميسون ديونه من النبي « ص » بقتل ريحانته لان النبي « ص » اكره اسلافه على دين الاسلام واجبرهم على ترك عبادة الاصنام والاقرار بالوحدانية لله فاعتنق جده واباه دين الاسلام كرهاً منهم ، فهذا دينه من رسول الله « ص » تقاضاه بقتل اولاده وسبي بناته من بلد الى بلد ، ولقد نسى ابن الخنا ، ايادي رسول الله على اسلافه يوم فتح مكة وما من به على آل ابي سفيان وكان جزاء رسول الله ان ساق عيالاته كالاماء واوقفهن في مجلسه وهن مربقات بالحبال !.

بنات اكلة الاكباد في كلل والفاطميات تصلى في الهواجير

المطلب التاسع والعشرون

« في قضية المختار بن ابي عبيدة الثقفي - ره - »

كان نزول مسلم بن عقيل في دار المختار بن ابي عبيدة الثقفي

وتذاكر الناس امر المختار . والقى ابن زياد القبض على المختار ؛ ولما دخل عليه رفع القضيب واعترض وجه المختار فخبط به عينه فشترها ، وقال : اولى لك ام والله لولا شهادة عمرو بن حريث لك لضربت عنقك انطلقوا به الى السجن ، فانطلقوا به الى السجن ، ولم يزل محبوساً حتى قتل الحسين (ع) ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله ان يسير الى عبد الله ابن عمر بالمدينة ، فيسأله ان يكتب له الى يزيد بن معوية فيكتب الى يزيد بن معوية بتخلية سبيله ، فركب زائدة الى عبد الله بن عمر ، فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفية اخت المختار بحبس اخيها ، وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة الى يزيد بن معوية ، اما بعد : فان عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري . وانا احب ان يعافى ويصلح من حاله ، فان رأيت رحمنا الله واياك ان تكتب الى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك ، قال فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام ، فلما قرأه ضحك . ثم قال : يشفع ابو عبد الرحمن واهل لذلك هو ، فكتب الى ابن زياد . اما بعد فخل سبيل المختار بن أبي عبيدة حين تنظر في كتابي والسلام عليك ، فاقبل به زائدة حتى دفعه الى ابن زياد فدعا ابن زياد المختار فاخرجه ، ثم قال له : قد اجلتك ثلاثاً . فان ادركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة ، فخرج الى رحله ، وقال ابن زياد : والله لقد اجترأ علي زائدة حين يرحل الى امير المؤمنين حتى ياتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شاني ان اطيل حبسه على مابه ، فمر به عمرو بن نافع ابو عثمان ، كاتب لابن زياد وهو يطلبه ،

وقال له النجاء بنفسك واذكرها يداً لي عندك ، قال : فخرج زائـــدة فتوارى يومه ذلك ، ثم انه خرج في اناس من قومه حتى اتى القعقاع بن شور الذهلي ؛ ومسلم بن عمرو الباهلي ، فاخذا له الامان ، وخرج المختار من الكوفة وتوجه الى الحجاز ، حدث ابن العرق وهو مولى لثقيف قال : اقبلت من الحجاز حتى اذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة ، استقبلت المختار خارجاً يريد الحجاز فرحبت به وعطفت عليه ، ولما رأيت شتر عينه استرجعت له ، وقلت له : بعد ماتوجعت له ما بال عينك صرف الله عنك السوء ؟ فقال : خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت الى ما ترى ؛ فقلت له : ماله شلت انامله ، فقال المختار : قتلني الله ان لم اقطع انامله واباجله (١) واعضاءه ارباً ارباً ، قال فعجبت لمقالته . فقلت له ماعلمك بذلك رحمك الله ، فقال لي : ما اقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ، قال : ثم طفق يسئلني عن عبد الله بن الزبير وانا اخبره ، فقال يا ابن العرق ان الفتنة قد ارعدت وابرقت ، وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها . فاذا رأيت ذلك وسمعت به ، بمكان قد ظهرت فيه فقيل ان المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي (ع) فوربك لاقتلن بقتله عدة القتلى على دم يحيى بن زكريا عليه السلام ، قال : فقلت له سبحان الله وهـــذه اعجوبة مع الاحدوثة الاولى ، فقال : هو ما اقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ؛ ثم حرك راحلته فمضى . ومضيت معه ساعة ادعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة ، ثم ودعته وانصرفت عنه ، ولما قدم المختار

(١) اباجل مفردها ابجل ، والابجل عرق غليظ في الرجل او في اليد

مكة جاء الى عبد الله بن الزبير ، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به واوسع له ، وقال له : حدثني عن الناس بالكوفة ياابا اسحق . قال : هم لسلطانهم في العلانية اولياء وفي السر اعداء ، وبقي المختار على هذا ونحوه بمكة المكرمة ، حتى اذا جاء جيش يزيد بن معوية بقيادة الحصين بن نمير السكوني ، وحاصر ابن الزبير ووقع القتال بين الفريقين ، فكان المختار يحارب جيش يزيد دفاعا عن البيت ، ثم التفت في ذلك اليوم ، ونادى يا اهل الاسلام الي الي انا ابن ابي عبيدة بن مسعود ، وانا ابن الكرار لا الفرار انا ابن المقدمين غير المحجمين ؛ الي الي يااهل الحفاظ وحماة الاوتار فحمى الناس يومئذ وابلى وقاتل قتالاً حسناً ، ثم اقام مع ابن الزبير ، في ذلك الحصار حتى كان يوم احرق البيت (١) فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة احسن قتال قاتله احد من الناس ، ان كان ليقاتل حتى يتبلد ثم يجلس ويحيط به اصحابه فاذا استراح نهض فقاتل فما كان يتوجه نحو طائفة من اهل الشام الا ضاربهم حتى يكشفهم ، فما كان في ذلك اليوم رجلا احسن بلاءاً من المختار ، ولما انقضى الحصار بعد هلاك يزيد ورجع اهل الشام ، اقام مع ابن الزبير خمسة اشهر ، وخرج بعدها الى الطائف ، ثم رجع الى مكة ، وكان اهل الكوفة قد اصطلحوا على عامر بن مسعود يصلي بهم حتى يجتمع الناس على امام يرضونه ، وصار يطلب البيعة لابن الزبير ، فخرج المختار آنئذ من مكة متجهاً الى الكوفة لقيه رجل من همدان ، فقال له : حدثني عن الناس بالكوفة ،

(١) احرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاول « سنة ٦٤ هـ »

قال : عم كغنم ضل راعيها ، فقال : انا المختار انا احسن رعايتها وابلغ نهايتها فقال له الهمداني ، اتق الله واعلم انك ميت ومبعوث ومجزي بعملك ان خيراً فخير وان شرا فشر ، ثم افترقا واقبل المختار حتى انتهى الى بحر الحيرة (١) فنزل واغتسل فيه وكان يوم الجمعة وادهن دهنـــا يسيراً ، ولبس ثيابه واعتم وتقلد سيفه ، ثم ركب راحلته فمر بمسجد السكون ، وجبانة كندة ، وصار لا يمر بمجلس الا سلم على اهله ، وهو يقول : ابشروا بالنصر والفلج اتاكم ماتحبون ، ومر ببني ذهل وبني حجر وبني كندة ، ومر ببني هند ، وجهينة ، ثم جاء الى باب الفيل ، فاناخ راحلته ودخل المسجد . واستشرف له الناس ، وقالوا : هذا المختار ، قد قدم المختار الى جنب سارية من سواري المسجد فصلى عندها ، حتى اقيمت الصلوة فصلى مع الناس ، ثم ركد الى سارية اخرى ، فصلى ما بين الجمعة والعصر ، ثم خرج من المسجد ، ومر على حلقة همدان ، وعليه ثياب السفر ، فقال : ابشروا فاني قد قدمت عليكم بما يسركم ، ومضى حتى نزل داره فكانت الشيعة تختلف اليه وجعل يسألهم عن الناس بالكوفة فاخبروه باجتماع الناس على سليمان بن صرد الخزاعي رئيس التوابين ، وقد كان مسجونا معه في سجن ابن زياد ، لأن ابن زياد لما قتل مسلماً اخذ يسجن جماعة من اهل الكوفة ومن جملتهم سليمان هذا ، والمختار ، ولما قتل الحسين عليه السلام وجيء برأسه الى ابن زياد فاخفاه تحت السرير ، وامر باخراج المختار من السجن فاخرج اليه وهو مكبل بالحديد ، فجعل يستهزيء عليه

(١) هو بحر النجف . وكان بحراً متلاطم الامواج ، جف والى اليوم على اسمه ـ ارض البحر ـ .

فقال له المختار يابن زياد أتستهزيء علي وقد قرب فرجي . قال : من أين يأتيك الفرج يا مختار ؟ قال بلغني ان سيدي ومولاي الحسين قادماً الى العراق وسيكون خلاصي على يده ، فقال له ابن زياد : خاب ظنك انا قد قتلنا الحسين « ع » فقال المختار صه ومن يقدر على قتل سيدي ومولاي فعند ذلك اخرج اليه رأس الحسين « ع » فلما رآه المختار جعل يلطم على وجهه وهو ينادي واحسيناه .

احين ترجيناك تستأصل العدى   يفاجئنا الناعي بقتلك يهتف

المطلب الثلاثـــون

« في تتمة قضية المختار »

لما دخل المختار بن ابي عبيدة الثقفي الكوفة اجتمع عليه بعض الشيعة وكان آنئذ يجتمع الناس عند سليمان بن صرد الخزاعي وهو شيخ الشيعة وكان يتهيأ للخروج على بني امية ولما خرج سليمان بالشيعة من الكوفة بقي المختار بها وقداشتدت شوكته وقوي امره فاجتمع جماعة من وجوه اهل الكوفة ، وهم عمر بن سعد بن ابي وقاص ، وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم ، وصاروا الى عبدالله بن يزيد الحظمي ، وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله (١) فتكلموا فيمابينهم على ان المختار اشدعليكم من سليمان بن صرد ، ان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم ، وقد خرج عن بلادكم ، وان المختار انما يريد ان يثب عليكم في مصركم ، فسيروا اليه فاوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن حتى يستقيم امر الناس ، فخرجوا اليه

« ١ » كانا من قبل ابن الزبير بالكوفة ارسلهما اليها قبل عبدالله بن مطيع

في الناس فما يشعر بشي حتى احاطوا به وبداره فاستخرجوه ، فلما رأى جماعتهم ، قال : ما بالكم فو الله بعد ما ظفرت اكفكم ، قال الراوي واتي المختار ببغلة دهماء يركبها ، فقال ابراهيم لعبد الله بن يزيد الا تشد عليه القيود ، فقال كفى له بالسجن قيـــداً ، حدث يحيى بن عيسى قال : دخلت عليه مع حميد بن مسلم الازدي ، نزوره ونتعاهده فرأيته مقيداً ، قال : فسمعته يقول اما ورب البحار والنخيل والاشجار المهامة والقفار والملائكة الابرار ، والمصطفين الاخيار ، لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار . ومهند بتار في جموع من الانصار ، ليس بميل اغمار ، ولا بعزل اشرار ، حتى اذا اقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين وادركت بثار النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ، ولم احفل بالموت اذا اتى ، قال فكان اذا اتيناه وهو في السجن ردد علينا هذا القول ، حتى خرج منه ، ولما قدم التوابين الى الكوفة بعد واقعتهم كتب اليهم المختار ، اما بعد : فان الله اعظم لكم الاجر وحط عنكم الوزر بقارعة القاسطين وجهاد المحلين ، انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة ، الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة الى مالا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فاني لو قد خرجت اليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف باذن الله فجعلتم باذن الله ركاماً وقتلهم فذا وتوأما ، فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وابى والسلام ، يا اهل الهدى فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو من بني ليث ، من عبد القيس قد ادخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة ، فاتى بالكتاب رفاعـــة بن شداد ،

والمثنى بن مخربة العبدي ، وسعد بن حذيفة بن اليمان ، ويزيد بن انس ، واحمر بن شميط الاحمسي ، وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل فقرأ عليهم الكتاب فبعثوا اليه ابن كامل ، فقالوا قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فان شئت ان نأتيك حتى نخرجك فعلنا ، فاتاه فدخل عليه السجن فاخبره بما ارسل به فسر باجتماع الشيعة له ، وقال لهم : لا تريدوا هذا فاني اخرج في ايامي هذه ، وكان المختار قد بعث الى عبد الله ابن عمر بن الخطاب وكتب اليه . اما بعد فاني قد حبست مظلوماً وظن بي الولاة ظنوناً كاذبة ، فاكتب في يرحمك الله الى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً عسى الله ان يخلصني من ايديهما بلطفك وبركتك ويمنك والسلام عليك ، فكتب اليهما عبد الله بن عمر . اما بعد : فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن ابي عبيدة من الصهر ، والذي بيني وبينكما من الود ، فاقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما ، لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله ، فلما اتى عبد الله بن يزيد ، وابراهيم بن محمد بن طلحة ، كتاب عبد الله بن عمر ، دعوا المختار بكفلاء يضمنونه بنفسه فاتاه اناس من اصحابه كثير ، فقال يزيد بن رويم لعبد الله ابن يزيد ، ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ضمنه عشرة منهم اشرافاً معروفين ودع سائرهم ففعل ذلك ، فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد طلحة ، فحلفاه بالله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فان هو فعل فعليه الف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم واناثهم

احرار فحلف لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره (١) واختلفت اليه الشيعة واجتمعت عليه ، واتفق رأيها على الرضى به ، وكان الذي يبايع الناس وهو في السجن خمسة نفر ، السائب بن مالك الاشعري ، ويزيد بن انس واحمر بن شميط ، ورفاعة بن شداد الفتياني ، وعبدالله بن شداد الجشمي ولم يزل امره يقوى ويشتد ، حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع الى الكوفة عاملا عليها ، هذا والمختار تكثراصحابه ، فجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع وقال له : ان السائب بن مالك من رؤساء اصحاب المختار ، ولست آمن المختار ، فابعث اليه فليأتك فاذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم امر الناس فان عيوني قد اتتني واخبرتني ان امره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر ، فبعث اليه ابن مطيع رجلان فدخلا عليه ، فقالا اجب الامير ، فدعا بثيابه وامرباسراج دابته ، فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ هذه الآية « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ففهمها المختار فجلس

(١) عن حميد مسلم ، قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول : قاتلهم الله ما احمقهم حين يرون اني في لهم بايمانهم هذه ، اما حلفي لهم بالله فانه ينبغي لي اذا حلفت على يمين فرأيت ماهو خير منها ان ادع ما حلفت عليه واتى الذي هو خير ، واكفر يميني وخروجي عليهم خير من كفى عنهم واكفر يميني ، واما هدي الف بدنة فهو اهون علي من بصقة وماثمن الف بدنة فيهولني ، واما عتق مماليكي ، فوالله لوددت انه قد استتب لي امري ثم لم املك مملوكا ابداً .

ثم القى ثيابه عنه ثم قال القوا على القطيفة ما اراني الا وقد وعكت ، اني لاجد قفقفة شديدة ثم تمثل بقول الشاعر :

اذا ما معشر تركوا نداهم   ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

والتفت الى الرجلين . وقال : ارجعا الى ابن مطيع واعلماه حالي التي انا عليها .

ولما عزم المختار على النهوض بالكوفة قال الطبري بعث الى اصحابه واخذ يجمعهم في الدور حوله واراد ان يثب بالكوفة في المحرم فجاءرجل الى اصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح ، فلقي جماعة من اصحابه وفيهم قدامة بن مالك الجشمي ، فاجتمعوا في منزل احدهم ، فحمد الله واثنى عليه . ثم قال :اما بعد ، فان المختار يريد ان يخرج بنا وقد بايعناه ولاندري ارسله الينا ابن الحنفية ام لا ، فانهضوا بنا الى ابن الحنفية ، فلنخبره بما قدم علينا به ؛ وبما دعانا اليه فان رخص لنا في اتباعه اتبعناه وان نهانا عنه اجتنباه ، فو الله ما ينبغي ان يكون شيء من امر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا ، فقالوا له ارشدك الله فقد اصبت ووفقت اخرج بنا اذا شئت فاجمع رأيهم على ان يخرجوا من ايامهم فخرجوا ولحقوا بابن الحنفية ، وكان امامهم عبد الرحمن بن شريح فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم وما هم عليه ثم قالوا له : ان لنا اليك حاجة قال فسر هي ام علانية ؟ قل : قلنا لا بل سر . قال فرويداً اذاً ، فمكث قليلا ثم تنحى جانباً فدعانا فقمنا اليه فبدأ عبد الرحمن بن شريح وتكلم فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : اما بعد ، فانكم اهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة ، وعظم حقكم على هذه

الامة ، فلا يجهل حقكم الا مغبون الرأي مخسوس النصيب قد اصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما خصكم بها فقد عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن ابي عبيدة يزعم لنا انه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء اهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ، ثم انا رأينا ان نأتيك فنذكر لك ما دعانا اليه وندبنا له فان امرتنا باتباعه اتبعناه ، وان نهيتنا عنه اجتنبناه ، قال : ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو ما تكلم به صاحبنا وهو يسمع حتى اذا فرغنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال : فاما ما ذكرتم مما خصنا الله به من فضل فان الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، فلله الحمد واما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فان ذلك كان في الذكر الحكيم ، وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكان امر الله مفعولا ، وكان امر الله قدراً مقدوراً واما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه اقول هذا واستغفر الله لي ولكم ، قال فخرجنا من عنده ونحن نقول : قد اذن لنا قد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال لا تفعلوا ، قال فجئنا الى الكوفة ، فقال لهم المختار ، وهم على رواحلهم ما بالكم فتنتم وارتبتم ، قالوا امرنا بنصرتك ، فقال : الله اكبر ، انا ابو اسحق اجمعوا لي الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريباً ، فقال يا معشر الشيعة ان نفراً منكم احبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوا

مما قدمت به عليكم فنبأهم اني قاتل المحلين واطلب بدماء اهل نبيكم المصطفى بلى والله اخذ المختار بثأر الحسين عليه السلام واهل بيته وشفى صدور الشيعة من قتلة الحسين (ع) ولكن والله لو قتل اهل الكوفة والشام اجمع ، ما كان يساوي قطع خنصر سيد شباب اهل الجنة الذي حزه بجدل الكلبي بقطعة السيف . ! !

لهفي على تلك الانامل قطعت ولو انها اتصلت لكانت ابحرا

المطلب الواحد والثلاثون

« في تتمة قضية المختار »

لما اظهر المختار دعوته بالكوفة ، صار يطلب بثار الحسين (ع) اجابه جماعة من اشراف اهل الكوفة ولبوا نداءه ، قال الطبري عن عامر الشعبي قال : كنت انا وابي اول من اجاب المختار ، واجتمع اليه من عيون جماعته ، وقالوا : لو دعوت ابراهيم بن مالك الاشتر رحمة الله علينا لكان خير الك ولنا ، ولرجونا القوة على عدونا ولا يضرنا خلاف من خالفنا فانه فتى شريف وابن رجل شريف ، بعيد الصيت ، وله عشيرة ذات عز وعدد ، فقال لهم المختار فالقوه وادعوه واعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين (ع) واهل بيته ، قال الشعبي : فخرجوا اليه ، وانا فيهم وابي ، فتكلم يزيد بن انس فقال : انا قد اتيناك في امر نعرضه عليك وندعوك اليه ، فان قبلته كان خيراً لك ، وان تركته فقد أدينا اليك فيه النصيحة ، ونحن نحب ان يكون عندك مستوراً ، فقال لهم ابراهيم بن الاشتر وان مثلي لا تخاف غائلته ، ولا سعايته ولا التقرب الي

الى سلطانه باغتياب الناس انما اولئك الصغار الاخطار الدقائق همها ، فقال له انما ندعوك الى امر قد اجتمع عليه رأي الملأ من الشيعة الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) والطلب بدماء اهل البيت ، وقتال المحلين والدفع عن الضعفاء ، قال الراوي واقبل القوم كلهم عليه يدعونه الى امرهم ويرغبونه فيه ، فقال لهم ابراهيم بن الاشتر فاني قد اجبتكم الى مادعوتموني اليه من الطلب بدم الحسين (ع) واهل بيته على ان تولوني الامر فقالوا له انت لذلك اهل ولكن ليس الى ذلك من سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي ، وهو الرسول والمأمور بالقتال ، وقد امرنا بالطاعة فسكت عنهم ابن الاشتر ، ولم يجبهم ، قال فانصرفنا من عنده الى المختار فاخبرناه بما رد علينا ، قال فغبر ثلاثاثم ان المختار دعا بضعة عشرة رجلا من وجوه اصحابه قال الشعبي وانا فايهم وابي ، قال فسار بنا ومضى امامنا يقد بنا بيوت الكوفة قداً لاندري الى اين يريد ، حتى وقف على باب دار ابراهيم بن الاشتر ، فاستأذنا عليه فاذن لنا والقيت لنا الوسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه ، وطلب منه ان ينهض معه ويشد عضده بهذه الدعوة ، فاجابه ابراهيم الى ذلك ، قال ابو مخنف : حدثني يحيى بن ابي عيسى بن الازدي ، قال كان حميد بن مسلم الاسدي صديقاً لابراهيم بن الاشتر ، وكان يختلف اليه ويذهب به معه ، وكان ابراهيم يروح في كل عشية عند المساء ، فيأتي المختار ويمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف فمكثوا بذلك يدبرون امورهم ، حتى اجتمع رأيهم على ان يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين ووطن علي ذلك شيعتهم ومن اجابهم ، هذا وقد هال امر المختار والي الكوفة

وهو عبد الله بن مطيع فنظم الشرطة المسلحة على مفارق الطرق والسكك وفي الجبانين ، وقد خرج ابراهيم ليلة من الليالي ومن حوله عشيرته وهم مدججون بالسلاح متقلدين السيوف قاصدين دار المختار وكان ابراهيم فتى حدثا شجاعا . قال الراوي : فاخذ ابراهيم على طريق باب الفيل ، واذا بياس بن مضارب ومعه الخيل والرجال قد اخذوا افواه السكك فصاح بابراهيم من هؤلاء ، فقال ابراهيم : انا ابراهيم بن مالك الاشتر ، فقال له : اياس ما هذا الجمع معك وما تريدون ؟ والله ان امرك لمريب ، وقد بلغني انك تمر كل عشية ههنا وما انا بتاركك حتى آتي بك الامير فيرى فيك رايه فقال ابراهيم : لا ابا لغيرك خل سبيلنا فقال كلا والله لا افعل وكان مع اياس رجل من همدان يقال له ابو قطن وكان صديقاً لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر : يا ابا قطن ادن مني وكان مع ابي قطن رمح طويل ، فدنا منه ابو قطن ومعه الرمح ، وهو لايرى الا ان ابن الاشتر يطلب اليه ان يشفع له الى ابن مضارب ليخلي سبيله ، فجاء ابراهيم وتناول الرمح من يده ، وقال ان رمحك هذا لطويل ، ثم حمل به على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحتز رأسه فنزل اليه واحتز راسه وتفرق اصحابه ورجعوا الى ابن مطيع ، فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن اياس مكان ابيه على الشرطة واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار ليلة الاربعاء ، فدخل عليه فقال له ابراهيم : انا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس وقد حدث امر لابد من الخروج الليلة ، قال المختار : وما هو ؟ قال عرض لي اياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع اصحابي على الباب فقال المختار بشرك الله بخير فهذا طير

صالح ، وهذا اول الفتح انشاء الله . ثم قال المختار قم ياسعد بن منقذ واشعل في المرادي النيران ، ثم ارفعها للمسلمين . وقم انت ياعبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت ، وقم انت يا سفيان بن ليل وانت يا قدامة بن مالك فناد يالثارات الحسين (ع) ثم قال المختار :علي بدرعي وسلاحي فاتى به واخذ يلبس سلاحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفل

اني غداة الروع مقدام بطل

ثم ان ابراهيم قال للمختار ، ان هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبانين يمنعون اخواننا ان يأتونا ويضيقون عليهم فلو اني خرجت بمن معي الى قومي ودعوتهم فيأتيني كل من بايعك منهم وندفعهم عن مواطنهم ، فقال له المختار نعم اخرج واياك ان تسير الى اميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وانت تستطيع ان لا تقاتل ، واحفظ ما اوصيتك به الا ان يبدأك احد بقتال ، قال الراوي : فخرج ابراهيم بن الاشتر من عنده في الكتيبة التي اقبل فيها حتى اتى قومه ، واجتمع اليه جل من بايعه واجابه ثم انه سار بهم في سكك الكوفة طويلا من الليل ، وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الامراء حتى انتهى الى مسجد السكون ، فلقيته خيل وليس لهم قائد فحملوا عليهم وحمل ابراهيم واصحابه عليهم فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة ، وكانت شرطة ابن مطيع تعتد وتجتمع حتى انتهى ابراهيم جبانة اثير ، وقف فيها طويلا ، ونادى اصحابه بشعارهم فجاءته الشرطة بالخيل والرجال وفي مقدمتهم سويد بن عبد الرحمن المنقري ، فلما رأى ذلك ابن الاشتر ، قال لاصحابه : ياشرطة الله انزلوا

فانكم اولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء اهل بيت رسول الله فنزلوا ثم شد عليهم ابراهيم فضربهم حتى اخرجهم الى الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضا ؛ وهم يتلاومون ، فقال قائل منهم انهذا الامر يراد ، ما يلقون لنا جماعة الا هزموهم فلم يزل يهزمهم حتى ادخلهم الكناسة ؛ وقال اصحاب ابراهيم : لابراهيم اتبعهم واغنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم الله الى من ندعوا ومانطلب والى من يدعون وما يطلبون ، فقال ابراهيم لا افعل ذلك . نعم ان ابراهيم لمـــا حارب بالكوفة قتلة الحسين (ع) كان لايتبع مدبراً ولا يأمر بالنهب ؛ ولكن اهل الكوفة نهبوا يوم عاشورا جميع ما كان في رحل الحسين (ع) وخيامه حتى الملاحف والازر من على رؤوس الفاطميات ! !

هذي تصيح ابي وتهتف ذي اخي وتعج تلك باكرم الاجداد

المطلب الثاني والثلاثون

« في محاربة المختار لأهل الكوفة »

لما نهض المختار بالكوفة . وشد ازره بابراهيم بن الاشتر ، فكان اول ما صنعه المختار ان قاتل رؤساء الشرطة الذين كان قد وظفهم عبد الله بن مطيع ، وجعلهم على افواه السكك والطرقات والجبانين ، ولما بان الضعف والعجز من اصحاب عبد الله بن مطيـع اقبل شبث بن ربعي الى عبد الله بن مطيع ، وقال له ابعث الى امـــراء الجبانين فمرهم فليأتوك ، واجمع اليك جميـع الناس ثم انهض الى هؤلاء القوم (يعني المختار واصحابه) وابعث اليهم من تثق به فليكفك قتالهم ، فان امر القوم قد قوى ،

وقد خرج المختار وظهر واجتمع له امره ، فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن مطيع ، خرج في جماعة من اصحابه حتى نزل في ظهر دير هند ، مما يلي بستان زائدة في السبخة ، ونادى مناديه بالكوفة ، يامنصور امت يالثارات الحسين (ع) ثم نادى المنادى ياايها الحي المهتدون الا ان امير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند ، وبعثني اليكم داعياً ومبشراً فاخرجوا اليه رحمكم الله ، قـال الراوي ، فخرجوا من الدور يتداعون يالثارات الحسين (ع) واقبلوا الى المختار حتى نزلوا معه في عسكره ، فتوافى الى المختار في تلك الليلة ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر الفاً كانوا قد بايعوه فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر ، فاصبح وقد فرغ من تعبئته ، قال حميد بن مسلم ، فلما اصبح استقدم فصلى بنـا الغداة بغلس ، ثم قرأ والنازعات ، وعبس وتولى ، قال : فما سمعنا اماماً أم قوماً افصح لهجة منه ، قال وبعث ابن مطيع الى اهل الجبانين يأمرهم ان ينضموا الى اهل المسجد ، وقال لراشد بن اياس بن مضارب ناد في الناس ، فليأتوا المسجد فنادى المنادى : الا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف الى المختار ، وبعث راشد بن اياس في اربعة آلاف من الشرطة ، قال ابو سعد الصقيل ولما فرغ المختار من صلاة الغداة وانصرف سمعنا اصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد ، فقال المختار من يعلم لنا هؤلاء ماهم فقلت له انا اصلحك الله فقال المختار اما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار ، ثم تأتيني بخبرهم ، قال ففعلت فلما دنوت منهم اذا مؤذنهم يقيم فجئت حتى دنوت منهم ، فاذا

شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبي ، وهو في الرجالة معه منهم كثرة فلما اقام مؤذنهم تقدم فصلى باصحابه فقرأ اذا زلزلت الارض زلزالها فقلت في نفسي اما والله ني لارجو ان يزلزل الله بكم ، وقرأ والعاديات ضبحاً ، فقال له ناس من اصحابه لو كنت قرأت سورتين هما اطول من هاتين شيئاً فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وانتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران ، قال وكانوا ثلاثة آلاف ، قال فاقبلت سريعاً حتى اتيت المختار فاخبرته بخبر شبث واصحابه واتاه معي ساعة اتيته سعر بن ابي سعر الحنفي . يركض من مراد ، وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة مخافة الحرس قال فسرح المختار ابراهيم بن الاشتر ، قبل راشد بن اياس في تسعمائة ، ويقال : ستمائة فارس راجل فمضى ابراهيم الى راشد فلقيه في مراد ومعه اربعة آلاف ، فقال ابراهيم لاصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فو الله لرب رجل خير من عشر ، ولرب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ، ثم قال يا خزيمة بن نصر سر اليهم في الخيل ، ونزل هو يمشي في الرجال ورأيته مع مزاحم بن الطفيل ، فاخذ ابراهيم يقول له ازدلف برايتك امض بها قدماً قدماً ، قال واقتتل الناس ، فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن اياس فحمل عليه فطعنه وقتله ، ثم نادى قتلت راشداً ورب الكعبة ، قال وانهزم اصحاب راشد ، واقبل ابراهيم بن الاشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمان بن ابي الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلما ان جاءهم البشير بذلك كبروا واشتدت انفسهم ، ودخل اصحاب

بن مطيع الفشل ، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من الفين ، واعترض ابراهيم بن الاشتر فريق الحمراء ليرده عن من في السبخة من اصحاب ابن مطيع ومشى ابراهيم نحوه في الرجال ، قال الراوي والله ما اطعنا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا ، ورجع ابراهيم نحو المختار واذا بشبث بن ربعي ويزيد بن انس واصحابه قد احاطوا بالمختار ، فلما ان رأوا ابراهيم جعلوا ينكصون ورائهم رويداً رويداً حتى انهزموا وتراجعوا الى ابن مطيع وفي ذلك الحين استخبر ابن مطيع بقتل راشد بن اياس فاسقط في يده ، ثم ان المختار جمع اصحابه وانهد نحو المسجد والقصر ، وكان هناك جند كثير فحاربهم بمن معه ، وشتت شملهم حتى دخل السوق هو واصحابه وحصروا ابن مطيع في القصر ثلاثة ايام ، وكان معه الاشراف من رؤوس العسكر الا عمرو بن حريث ، فانه اتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر ، ثم جاء المختار ونزل جانب السوق وولى حصار القصر ابراهيم بن الاشتر ، ويزيد بن انس ، واحمر بن شميط ، فكان ابن الاشتر مما يلي المسجد وباب القصر ويزيد بن انس مما يلي بني حذيفة ، وسكة دار الروميين واحمر بن شميط مما يلي دار عمارة ودار ابي موسى ، فلما اشتد الحصار على ابن مطيع واصحابه كلم الاشراف ، وقام اليهم شبث فقال له : اصلح الله الامير انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن انفسهم ، قال ابن مطيع اشيروا علي برأيكم فقال له شبث : الرأي ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل اماناً ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك ، قال الراوي : ولما ان جن الليل خرج من القصر من

نحو دروب الروميين حتى اتى دار ابي موسى ، وخلى القصر وفتح اصحابه الباب فقالوا له : يا ابن الاشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون ، قـــال : وخرجوا من القصر عند ذلك وهو قصر الامارة هذا هو القصر الذي اصعدوا مسلم بن عقيل على سطحه ورموه من اعلى السطح الى الارض هذا هو القصر الذي ادخلوا فيه بنات الرسالة على ابن مرجانة والسجاد مغلل ومقيد ، فلما رآه ابن زياد (لع) قال من هذا العليل ؟ فقيل له هذا علي بن الحسين (ع) قال اليس قد قتل الله علياً ... الخ

المطلب الثالث والثلاثون

« في بيعة اهل الكوفة للمختار (ره) »

ذكر الطبري في تاريخه ، قال : بعد ان فتح الله على المختار وانهزم عبد الله بن مطيع امير الكوفة ، وقد اخلى قصر الامارة ـ جاء المختار حتى دخل القصر وبات به واصبح اشراف الناس في المسجد ، وعلى باب القصر فخرج المختار ، وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر ، وجعله فيه الى آخر الدهر وعداً مفعولا وقضاء مقضياً ، وقد خاب من افترى ، ايها الناس انه رفعت لنا راية ومدت لنا غاية . فقيل لنا في الراية ان ارفعوها ولا تضعوها وفي الغاية ان اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلي في الواعية ، وبعداً لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى الا فادخلوا ايها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والارض فجاجاً سبلا ، ما بايعتم بعد بيعة علي بن ابي طالب (ع)

وآل علي اهدى منها ، ثم نزل فدخل القصر ودخلنا عليه . ودخل عليه اشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه ، وجعل يقول تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء اهل البيت . وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ، وسلم من سالمنا ، والوفاء ببيعتنا لانقيلكم ولا نستقيلكم ، فاذا قال الرجل نعم بايعه ، قال موسى بن عامر العدوي : فكأني والله انظر الى المنذر بن حسان بن ضرار ، اذا اتاه حتى سلم عليه بالامرة ثم بايعه . وانصرف عنه ، فلما خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري . في عصابة من الشيعة ، واقفا عند المصطبة فلما رأوه ومعه ابنه حيان بن المنذر ، قال رجل من سفائهم : هذا والله من رؤوس الجبارين فشدوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد بن منقذ لاتعجلوا حتى ننظر مارأي اميركم فيه ، قال وبلغ المختار ذلك فكرهه ، حتى رؤي ذلك في وجهه ، واقبل المختار يمني الناس ويستجر مودتهم ومودة الاشراف ، ويحسن السيرة جهده ، قال : وجاء ابن كامل فقال للمختار : اعلمت ان ابن مطيع في دار ابي موسى فلم يجبه بشيء فاعادها عليه ثلاثاً فلم يجبه فظن ابن كامل ان ذلك لايوافقه وكان المختار قبل هذا صديقاً لابن مطيع ، فلما امسى بعث الى ابن مطيع بمائة الف درهم ، وبعث اليه تجهز هذه الليلة واخرج ، فاني قد شعرت بمكانك وقد ظننت انه لم يمنعك من الخروج الا انه ليس في يديك مايقويك على الخروج ، فاخذها ومضى الى البصرة واصاب المختار تسعة آلاف الف في بيت المال بالكوفة ، فاعطى اصحابه الذين قاتل بهم حين حاصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة الف وثمانمائة رجل كل رجل خمسمائة درهم ، واعطي

ستة آلاف من اصحابه أتوه بعد ما احاط بالقصر فاقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة ايام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومناهم العدل وحسن السيرة ، وادنى منه الاشراف فكانوا جلساءه وحداثه ، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى حرسه كيسان ابا عمرة مولى عرينة ، فقام ذات يوم على رأسه فرأى الاشراف يحدثونه ورآه قد اقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال : لابي عمرة بعض اصحابه من الموالي اما ترى ابا اسحاق قد اقبل على العرب ماينظر الينا فدعاه المختار ، وقال له : مايقول لك اولئك الذين رأيتهم يكلمونك ؟ فقال له واسراليه شق عليهم اصلحك الله صرفك وجهك عنهم الى العرب ، فقال له : قل لهم لايشقن ذلك عليكم . فانتم مني وانا منكم . ثم سكت طويلا ثم قرأ « إنا من المجرمين منتقمون » فسمعها الموالي منه ، فقال بعضهم لبعض ابشروا كانكم والله به قد قتلهم ، قال الراوي : لما ظهر المختار واستمكن ونفى ابن مطيع ، وبعث عماله الى الآفاق « ١ » جعل يجلس للناس غدوة وعشية

« ١ » ذكر الطبري في تاريخه قال : اول رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث اخو الاشتر عقد له على ارمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل . وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وارض جوخي ، وبعث قدامة بن ابي عيسى بن ربيعة النصري وهو حليف لثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الاوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباذ الاسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة الفا فارس بحلوان ، قال ورزقه الف

فيقضي بين الخصمين ، ثم قال : والله ان لي فيما ازاول واحاول لشغلا عن القضاء بين الناس ، قال : فاجلس للناس شريحا «١» وقضى بين الناس ، ثم انه خافهم فتمارض وسمعهم يقولون انه عثماني ، وانه ممن شهد على حجر بن عدي ، وانه لم يبلغ عن هاني بن عروة ، ما ارسله به وقد كان علي بن ابي طالب «ع» قد عزله عن القضاء فلما ان سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون اليه مثل هذا القول : تمارض وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، نعم كل ماتكلم اهل الكوفة في شريح القاضي فهو صحيح وكأن فاتهم انه كان يجالس ابن زياد في قصر الامارة وهو الذي رد مذحج عن ابن زياد ، وكذب عليهم حين حبس عنده هاني بن عروة

ـدرهم في كل شهر وامره بقتال الاكراد وباقامة الطرق ، وكتب الى عماله في الجبال يأمرهم ان يحملوا اموال كورهم الى سعيد بن حذيفة بحلوان ،

«١» شريح القاضي ابو امية بن الحرث بن المشجع ، كان من كبار التابعين وادرك الجاهلية ، واستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة فاقام قاضياً خمساً وسبعين ، ولم يتعطل فيها الا ثلاث سنين ، امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فاعفاه ، ولم يقض بين اثنين حتى مات ، ولم يكن على وجهه طاقة شعر ، وسخط عليه امير المؤمنين عليه السلام ، مرة فطرده من الكوفة ، ولم يعزله عن القضاء وامره ان يقيم ببانقيا ، وكانت قرية من الكوفـــة اكثر سكانها اليهود ، وبالجملة فالاخبار في خباثة رأي هذا الرجل وسوء عاقبته كثيرة ، توفي سنة سبع وثمانين من الهجرة وهو ابن ماءة سنة وقيل سنة ست وسبعين وهو بن ماءة وعشرين سنة (روضات الجنات) ،

وهو أيضاً من جملة من أفتى بقتل الحسين «ع» ورضي بما فعله يزيد وابن

(فائدة) نظم عبد الله بن همام قصيدة وجاء بها الى المختار بعد ان استتب الامر بالكوفة يصف بها ثورة المختار، ومن تبعه من القبائل فانشدها بمجلس المختار منها :

وفي ليلة المختار مايذهل الفتى ... ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا بالثارات الحسين واقبلت ... كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس بن مالك ... يقود جموعاً عبيت بجموع
ومن اسد وافى يزيد لنصره ... بكل فتى حامي الذمار منيع
وجاء نعيم خير شيبان كلها ... بامر لدى الهيجاء احد جميع
وما ابن شميط اذ يحرض قومه ... هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن ... وكل اخو اخباته وخشوع
وسار ابو النعمان لله سعيه ... الى ابن اياس مصحراً لووقع
بخيل عليها يوم هيجا دروعها ... واخرى حسوراً غيرذات دروع
فكر عليهم كرة ثقفتهم ... وشد بأولاها على ابن مطيع
فولى بضرب يشدخ الهام وقعه ... وطعن غداة السكتين وجيع
فحوصر في دار الامارة بائياً ... بـــذل وارغام له وخضوع
فمن وزير ابن الوصي عليهم ... وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقاً الى مستقره ... بخير اياب آبـــه ورجوع
الى الهاشمي المهتدى المهتدى به ... فنحن له من سامع ومطيع

ولهذه القصيدة ذكر في تاريخ الطبري وماجرى بعد القائها من اختلاف القول والثورة . راجعها في محلها للطبري ـ ج ٧ ص ١١١ .

مرجانة واهل الكوفة بسيد شباب اهل الجنة ، ولم ينكر عليهم لا بيده ولا بلسانه قتلوا الحسين واجروا الخيل على صدره وظهره ، وقطعوا رأسه وحملوه على رأس رمح ، فما انكر الخبيث على اهل الكوفة فعلهم وكذلك لما سبوا بنات الرسالة . وادخلوهن الكوفة مربقات بالحبال ما انكر ذلك ورأى ابن مرجانة ينكث ثغر الحسين « ع » بعود الخيزران ما انكر ذلك قال الشاعر :

كحلت بمنظرك العيون عماية ... واصم رزؤك كل اذن تسمع
رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا منكر فيهم ولا متفجع

المطلب الرابع والثلاثون

« في ثورة اهل الكوفة على المختار »

لما جاء ابن زياد الى حرب التوابين ، ووقعت الواقعة وجرى ما جرى على التوابين ، مكث ابن زياد في بادية الموصل ، وفي ذلك الحين هلك مروان بن الحكم في مستهل شهر رمضان سنة خمس وستين ، وولى بعده ابنه عبد الملك . فاقر ابن زياد على ما كان ابوه ولاه . اقبل الى الموصل وكان بها عبد الرحمن بن سعيد فكتب الى المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل . فندب المختار يزيد بن انس الاسدي ، في ثلاثة آلاف اختارهم يزيد . وامر المختار عبد الرحمن بن سعيد ان خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن . ثم الى ارض الموصل . فنزل بها وبلغ خبره

ابن زياد . فجز سريتين احداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والاخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف ، فبقي ربيعة بن مخارق الى يزيد بن انس فالتقيا في طرف ارض الموصل ، مما يلي الكوفة فتوافقاويزيد بن انس مريض ، ثم اقتتلوا هم والشاميون يوم عرفه سنة ست وستين عند اضاءة الصبح ففر الشاميون وقتل اميرهم ربيعة ، واجتاز جيش المختارمافي معسكرهم ورجع فرارهم فلقوا الامير الآخر عبد الله بن حملة فاخبروه فرجع بها وسار نحو يزيد بن انس ، فانتهى اليهم عشاءاً فبات الناس متحاجزين ، ولما اصبحوا يوم الاضحى من سنة ست وستين اقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم نزلوا فصلوا الظهر ، ثم عادوا الى القتال . فهزم جيش المختار جيش الشام أيضاً وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة ، واحتووا على مافي معسكرهم وأسروا منهم ثلاثمائة اسير فجاؤا بهم الى يزيد بن أنس وهو بآخر رمق . فامر بقتلهم فضربت اعناقهم . ومات يزيد ابن أنس من يومه ذلك آخر النهار ، وكان قد استخلف ورقاء بن عامر ، فدفنه ورقاء وسقط في ايدي اصحابه وجعلوا يتسللون راجعين الى الكوفة ، واتفق رأي الامراء على الرجوع الى الكوفة فارجف اهل الكوفة بالمختار ، وقالوا : قتل يزيد بن انس في المعركة وانهزم جيشه وعما قليل يقوم ابن زياد فيستأصلنا . وتمالؤوا على المختار وقتاله . واخراجه من بين اظهرهم ، وقالوا هو كذاب وانتظروا حتى خرج ابراهيم بن الاشتر « ١ » فانه قد

« ١ » كان ابراهيم بن الاشتر فارساً شجاعاً شهماً مقداماً رئيساً عالي النفس بعيد الهمة ، وفياً شاعراً فصيحاً موالياً لاهل البيت « ع » كما كان ابوه متميزاً بهذه الصفاة ، قال : ابن حجر ، في تهذيب التهذيب . انه

عينه المختار وامره على سبعة آلاف للقاء عبيد الله بن زياد فلما خرج ابراهيم بن الاشتر اجتمع اشراف اهل الكوفة ممن كان في جيش قاتلي الحسين «ع» وغيرهم في دار شبث بن ربعي (١) وكان شيخهم وكان جاهلياً اسلامياً

(١) شبث بن ربعي على ماوراه بن حجر العسقلاني في الاصابة — روى الحديث عن ابيه مالك . وان مالكا رواه عن امير المؤمنين «ع» وذكر اليافعي في مرآة الجنان ، قال سيد نخع وفارسها ولقد ناضل الامويين بجهده حتى قتل في الواقعة بدير الجاثليق ، من طسوج مسكن قريب من — اوانا — على نهر دجيل في غربي بغداد ، وقتل فيها مصعب بن الزبير وكانت سنة اثنتين وسبعين للهجرة ، ولقد احسن العلامة الشيخ محمد علي الاردوبادي حيث يقول مادحاً ابراهيم بن الاشتر «ره» .

في نجـدة ثقفية يسطوا بها — في الروع من نخع هزبر ضاري
الندب ابراهيم من رضخت له — الصيد الاباة بملتقى الآصار
من زانه شرف الهوى في سؤدد — وعـلا يفوح لها اريج نجار
حشو الدروع اخي حجي لم يحكه — هضب الرواسي الشم في المقدار
ان يحكه فالليث في حملاته — والغيث في تسكابه المدرار
اويحوه فقلوب آل محمد — المصطفين السادة الابرار
ما ان يخض عند اللقا في غمرة — إلا وارسب من سطا بغمار
اويمم الجلي يعزم ثاقب — إلا ورد بشواضها بأوار
المرتدي حلل المديح مطارفا — والممتطي ذللا بكل فخار
وعليه كل الفضل قصر كلما — كل الثنا قصر على المختار

واجمعوا رأيهم على قتال المختار ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع اميرها في ناحية من نواحي الكوفة . وقصدوا قصر الامارة . وبعث المختار قاصداً مجداً الى ابراهيم بن الاشتر ليرجع اليه سريعاً ، وارسل المختار الى اولئك يقول لهم : ماذا تنقموا مني فاني اجيبكم الى جميع ماتطلبون ، وانما يريد ان يثبطهم عن المناهضة . وقال ان كنتم لاتصدقونني في امر محمد بن الحنفية . فابعثوا من جهتكم وابعث من جهتي . ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابراهيم بن الاشتر بعد ثلاث فاقتسم هو وابراهيم الناس فرقتين تكفل المختار باهل اليمن ، وتكفل ابراهيم ابن الاشتر بمضر ، وعليهم شبث بن ربعي ، واقتتل الناس من نواحي الكوفة قتالاً عظيماً ، وكثرت القتلى بين الفريقين ، وقتل جماعة من الاشراف ، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي وسبعمائة وثمانين رجلا من قومه ، وقتل من مضر بضعة

ـ وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة واللفظ لابن حجر قال شبث بفتح اوله والموحدة ، ثم مثله ابن ربع التميمي اليربوعي ، ابو عبد القدوس . له ادراك بالنبي « ص » ورواية عن حذيفة وعن علي «ع» وقال الدار قطني : يقال انه كان مؤذن سجاع لماادعت النبوة ثم راجع الاسلام . وقال ابن الكلبي : كان من اصحاب علي « ع » في صفين . ثم صار مع الخوارج ، ثم تاب ثم كان فيمن قاتل الحسين بن علي «ع». وقال العجلي كان اول من اعان على قتل علي بن ابي طالب ، وبئس الرجل هو ، وقال معمر عن ابيه عن أنس . قال قال : شبث انا اول من حرر الحرورية ، وكان فيمن كتب الى الحسين «ع» اما بعد : فقد اخضر الجناب واينعت الثمار الى آخره ؛

عشر رجلا ، في ذلك اليوم وكانت النصرة للمختار ، وامـــر خمسمائة فعرضوا عليه ، فقال انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين (ع) فاقتلوه فقتل منهم مائتان واربعون رجلا وقتل اصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسيء اليهم بغير امره ، ثم اطلق من بقي منهم .

أقول هذا اول يوم أخذ المختار فيه بثار الحسين عليه السلام من اهل الغدر والكفر ، وبعدها اخذ يقتل كل من حضر طف كربلاء ويهدم داره قال ارباب التاريخ فتتبعهم حتى اكثر فيهم القتل ، ولكننا ننتظر في الحقيقة اليوم الذي ينادي فيه المنادي ظهر امامكم فاتبعوه يظهر عليه السلام ويأخذ بثاوات اهل بيته .

متى ينجلي ليل النوى عن صبيحة نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب

المطلب الخامس والثلاثون

« في مافعله المختار بقتلة الحسين « ع » »

ذكر ارباب التاريخ ان المختار بن ابي عبيدة الثقفي ، لما ثار عليه اهل الكوفة وحاربهم ونصره الله عليهم وقتل منهم من قتل ، واطلق من اطلق منهم ، فنادى آنئذ مناديه من اغلق بابه فهو آمن الا من شرك في دماء آل محمد صلى الله عليه وآله وتتبع المختار قتلة الحسين « ع » فكانوا يؤتون حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم انواعا من القتلات بما يناسب ما فعلوا ، ومنهم من احرقه بالنار ، ومنهم من قطع اطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من رمى بالنبال حتى مات ، قال الراوي وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين « ع » فركب راحلته وهرب فلا يدري اين ذهب .

وقيل ادركه اصحاب المختار فذبحوه لعنه الله ، قال وهرب شمر بن ذي الجوشن فبعث المختار في اثره غلاماً يقال له زريب ، كما روى ابن كثير قال الطبري فقتله شمر وسار ، وكتب الى مصعب ابن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدومه عليه ، وكان كل من فر من هذه الوقعة « وقعة الكوفة» يهرب الى مصعب بالبصرة ، وبعث شمر الكتاب مع علج آخر وطلب منه ان يذهب الى سيده ، وكان ابو عمرة وهو صاحب المختار ارسله الى قرية يقال لها الكلتانية ، ليكون مسلحة بينه وبين اهل البصرة ، فقصده ابو عمرة ودله العلج على مكانه في قرية بازاء قريته ، فلما كان الليل كابسه ابو عمرة واصحابه فاعجلهم ان يلبسوا أسلحتهم ، وطاعنه شمر برمحه عريان وكان ابرص ثم دخل خيمته ، واستخرج منها سيفاً ، فناضل به حتى قتله ابو عمرة والقى شلوه الى الكلاب عليه اللعنة ، وبعث المختار الى خولى بن يزيد الاصبحي الذي رام ان يجز رأس الحسين « ع » فارعد فخرجت اليهم امرأته فسألوا عنه ، فقالت لا ادري اين هو ، واشارت بيدها الى المكان الذي هو فيه مختب وهو بيت الخلاء ، وكانت تبغضه من الليلة التي قدم بها اليها ومعه رأس الحسين «ع» ، واسمها « العيوف بنت مالك الحضرمي » فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة «١» فحملوه الى المختار فامر بقتله قريباً من داره وان يحرق بعد ذلك فقتلوه بجانب اهله ، ثم دعا المختار بنار فحرقه ، ولم يبرح المختار حتى عاد رماداً لعنه الله ، ثم انصرف الى محله ، قالوا ودل المختار على عبيد الله بن اسيد الجهني ومالك

(١) القوصرة وعاء يكون من سعف النخيل للتمر .

ابن النسر (١) وحمل بن مالك المحاربي بالقادسية فاحضرهم فامر بقطع يدي مالك بن النسر ورجليه وتركه يضطرب حتى مات ، وقتل الآخرين ، قال الراوي : ثم احضـــر زياد بن مالك الضبعي ، وعمران بن خالد القشيري ، وعبد الرحمن بن ابي خشكارة البجلي ، وعبد الله بن قيس الخولاني ، وكانوا قد نهبوا الورس (٢) الذي كان في خيم الحسين (ع) فقتلهم عليهم لعائن الله ، واحضر عبد الله وعبد الرحمن ابني طلحة وعبد الله بن وهيب الهمداني ابن عم الاعشى فقتلهم ، واحضر عثمان بن خالد الجهني ، وابا أسماء بشر بن شميط القابضي ، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل وسلبه ، فقتلهما وحرقهما بالنار عليهما لعنة الله ، وامر باحضار حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي وكان هذا اللعين رمى الحسين (ع) بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسرباله وما ضره ، واصاب سلب العباس بن علي (ع) قال الراوي : فاستغاث اهله بعدي بن حاتم فازدحم عليه الشيعة وقتلوه قبل ان يصل الى المختار خوفا من شفاعة عدي فرموه بالسهام حتى صار كالقنفذ فهلك عليه اللعنة ، وبعث المختار على مرة بن منقذ العبدي ، قاتل علي بن الحسين الاكبر (ع) فاحاطوا بداره فدافع عن نفسه فضرب على يده اليسرى ونجا منهم لما هرب ، ثم لحق بمصعب بن الزبير وقد شلت يده ، وارسل المختار على زيد بن ورقاء الذي قتل

---

(١) مالك بن النسر هو الذي ضرب الحسين بسيفه وكان على رأس الحسين برنسا فامتلا البرنس دما فقال له الحسين لا اكلت بيمينك ولا شربت بها .

(٢) الورس شيء احمر يشبه سحيق الزعفران .

عبد الله بن مسلم بن عقيل (ع) فلما احاط الطلب بداره خرج يقاتلهم ودافع بالسيف عن نفسه فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط واحرقوه حياً عليه لعنة الله ، وارسل المختار خلف محمد بن الاشعث وكان في قرية الى جنب القادسية ، فارسل اليه المختار مائة رجل واحاطوا بقصره فخرج منه محمد بحيث مارآه احد ولحق بمصعب ابن الزبير ، فعمد المختار الى داره بالكوفة فهدمها ، وطلب عمرو بن صبيح الصيداني وكان يقول اني طعنت بوحي يوم عاشورا وجرحت وما قتلت منهم احدا ، فاحضر عند المختار وامر به فطعن بالرماح حتى هلك عليه اللعنة ، وتطلب سنان ابن انس الذي كان يدعي قتل الحسين « ع » فوجدوه قد هرب الى البصرة وطلب آخرين من المتهمين بقتل الحسين « ع » فوجدهم قد هربوا الى البصرة ولحقوا بمصعب بن الزبير ، فامر المختار بهدم دورهم وهكذا صنع بكل من هرب من هؤلاء الى البصرة والجزيرة فهدمت داره حتى روي انه قتل ثمانية عشر الفاً ممن شرك في قتل الحسين (ع) واما ما كان من امر حرملة بن كاهل عليه اللعنة قاتل عبد الله الرضيع ، حدث المنهال بن عمر قال دخلت على زين العابدين سيدي ومولاي اودعه وانا اريد الانصراف من مكة فقال يا منهال مافعل حرملة بن كاهل ؟ فقلت تركته حياً بالكوفة فرفع يديه جميعاً وقال اللهم اذقه حر الحديد اللهم اذقه حر النار ، قال المنهال ولما قدمت الكوفة والمختار بها فركبت اليه فلقيته خارجاً من داره ، فقال يامنهال لم تشركنا في ولايتنا هذه ، قال فعرفته اني كنت بمكة فمشى حتى اتى الكناس ووقف كأنه ينتظر شيئاً فلم ألبث ان جاء قوم وهم ينادون البشرى ايها الامير ، فقد اخذ حرملة . قال فجيء به

فقال له المختار : لعنك الله الحمد لله الذي امكنني منك ، ثم صاح الجزار الجزار فاتى بجزار فامر بقطع يديه ورجليه ، ثم قال النار النار فاتى بنار وقصب فاحرق ، قال فقلت : سبحان الله فالتفت الي المختار وقال التسبيح حسن لم سبحت ؟ قال : فاخبرته بدخولي على زين العابدين ودعا فنزل عن دابته وصلى ركعتين واطال السجود ، ثم رفع رأسه وهو يقول الحمدلله الذي استجاب دعاء سيدي على يدي ، قال ثم ركب وسار فحاذى داري فعزمت عليه بالنزول والتحرم بطعامي ، فقال : ان علي بن الحسين دعا بدعوات فاجابها الله على يدي ثم تدعوني الى الطعام ، هذا يوم صوم شكراً لله تعالى ، فقلت له احسن الله توفيقك ، وليس يشفى غليلنا من هذا الرجس بعد ما رمى رضيع الحسين بسهم وذبحه من الوريد الى الوريـــد .

هبوا انكم قاتلتم فقتلتم　　فما ذنب اطفال تقامي نبالها
ومذ رأته امه انشأت　　تدعو بصوت يصدع الجلمدا
تقول عبد الله ما ذنبه　　منفطماً آب بسهم الردى
لم يمنحوه الورد بل صيروا　　فيض وريديه له موردا

المطلب السادس والثلاثون

« في مقتل عمر بن سعد عليه اللعنة »

ذكر المؤرخون ان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لما امكنه الله عز وجل من اهل الكوفة واخذ بثار الحسين « ع » فقتل قاتليه والمتألبين عليه فكان يقتل كل من حضر الطف وما نجـــا منه الا الذي هرب الى

البادية او الى البصرة ولاذ بابن الزبير حتى ذكروا ان اسماء بن خارجة الفزاري كان ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل فقال المختار اما ورب الضياء والظلماء لتنزلن نار من السماء دهماء حمراء سحماء تحرق دار اسماء فبلغ كلامه اسماء بن خارجة فقال سجع أبو اسحق . وليس ههنا مقام بعد هذا وخرج من داره هارباً الى البادية فبلغ المختار ذلك فهدم داره ودور بني عمه ويروى انه كان الشمر بن ذي الجوشن قد أخذ من الابل التي كانت في رحل الحسين «ع» فنحرها وقسم لحمها على قوم من اهل الكوفة فامر المختار فاحصوا كل دار دخلها من ذلك اللحم فقتل اهلها وهدمها ، ولم يزل يتتبع قتلة الحسين « ع » حتى قتل خلقاً كثيراً وهدم الدور ، وانزلهم من المعاقل والحصون الى المفاوز والصحون ، حتى قتلت العبيد مواليها ، وكان يسعى بمولاه فيقتله المختار قال الراوي : فلما خلا خاطره وانجلى ناضره اهتم بعمر بن سعد وابنه حفص ، حدث عمرو بن الهيثم قال : كنت جالساً عن يمين المختار والهيثم بن الاسود عن يساره ، فقال والله ، لاقتلن رجلا عظيم القدمين غاير العينين مشرف الحاجبين يهمز الارض برجله يرضى قتله اهل السماء والارض فسمع الهيثم قوله ووقع في نفسه انه أراد عمر بن سعد ، فبعث ولده العريان فعرفه قول المختار ، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة ، اعز الناس على المختار وقد أخذ لعمر أماناً من المختار حيث اختفى فيه وصورة الامان هكذا ، بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص إنك آمن بامان الله ، على نفسك واهلك ومالك وولدك لاتؤاخذ بحدث كان منك قديماً ماسمعت وأطعت

ولزمت منزلك الا ان تحدث حدثاً فمن لقي عمراً من شرطة الله وشيعة آل محمد فلا يتعرض له بسبيل خير والسلام ، ثم شهد فيه جماعة قال الباقر عليه السلام انما قصد المختار ان يحدث حدثاً هو ان يدخل بيت الخلاء ويحدث فظهر عمر الى المختار فكان يدنيه ويكرمه ويجلسه معه على سريره ولما تكلم المختار بتلك الكلمات — الآنفة الذكر — علم اللعين ، ان قول المختار كناية عنه فعزم على الخروج من الكوفة فاحضر رجلا من بني تيم اللات اسمه مالك وكان شجاعاً واعطاه اربعمائة دينار ، وقال هذه معك لحوائجنا وخرجا فلما كان عند حمام عمر او نهر عبد الرحمن وقف وقال : أتدري لم خرجت ؟ قال لا قال خفت المختار . فقال ابن دومة — يعني ام المختار — اضيق أستاً من ان يقتلك ، وان هربت هدم دارك وانتهب عيالك ، وخرب ضياعك وانت أعز العرب ، قال الراوي فاغتر عمر بن سعد بكلامه فرجعا على راحلتيهما ودخلا الكوفة مع الغداة ، هذا قول المرزباني ، وقال غيره ان المختار علم بخروجه من الكوفة فقال وفينا وغدر وفي عنقه سلسلة لوجهد ان ينطلق ما استطاع ، فنام عمر على الناقة فرجعت به الى الكوفة ، وهو لا يدري حتى ردته الى منزله ، قال وارسل عمر بن سعد ابنه حفص الى المختار فقال له المختار أين ابوك ؟ قال : في المنزل وكانا لا يجتمعان عند المختار خوفاً من فتكه ، واذا حضر احدهما عند المختار غاب الآخر فالتفت حفص الى المختار وقال له : أبي يقول تفي لنا بالامان فقال : اجلس فجلس عنده حفص ، وطلب المختار اباعمرة ، وهو كيسان التمار ، وامره ان يمضي الى عمر بن سعد ويقتله ، وقال له اذا دخلت عليه وسمعته يقول ياغلام علي بطيلساني فاعلم انه يريد السيف فبادره

واقتله ، فمضى أبو عمرة ، وما لبث ان جاء ومعه رأس عمر بن سعد فقال حفص : إنا لله وانا اليه راجعون ، فقال له اتعرف هذا الرأس ؟ قال نعم ولاخير في العيش بعده فقال : لا تعيش بعده ، ثم امر بقتله فقتل واحتزوا رأسه وجاءوا به الى المختار فوضعه الى جنب رأس ابيه عمر بن سعد ثم قال المختار رأس عمر برأس الحسين ورأس حفص برأس علي بن الحسين « ع » لا والله لاقتلن سبعين الفاً . كما قتل بيحيى بن زكريا ، ثم التفت الى من حضر وقال لو قتلت ثلاثة ارباع اهل الارض لما وفوا بانملة من انامل الحسين عليه السلام قال ارباب السير وجيء اليه بالعشرة الذين داسوا صدر الحسين عليه السلام وفي مقدمتهم الاخنس عليه اللعنة ، فقالوا له ياامير هؤلاء رضوا جسد الحسين عليه السلام فصاح اطرحوهم على الارض واضربوا السكك الحديدية في ايديهم وفي ارجلهم ففعلوا ذلك ثم امر جماعة من شرطته وركبوا خيولهم وجعلوا يدوسونهم بارجلها حتى هلكوا جميعاً

(فائدة) روى المرزباني باسناده عن جعفر بن محمد الصادق «ع» انه قال ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا ادهنت ولا رؤي في دار هاشمي دخان حتى قتل عبيد الله بن زياد .

« فائدة » عن يحيى بن ابي راشد قال : قالت فاطمة بنت علي «ع» ماتحنت امرأة منا ولا اجالت في عينيها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار الينا برأس عبيد الله بن زياد لعنه الله .

« فائدة » كانت مدة ولاية المختار ثمانية عشر شهراً اولها اربع عشر ليلة خلت من ربيع الاول ، سنة ست وستين ، وآخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستين ،

وقطعت اشلائهم - أقول هل يشفي قلوبنا هذا لا والله بعد ان رضوا جسد ابي عبدالله بحوافر خيولهم ، قال الاخنس والله لقد جددنا نعالات خيولنا ورضضنا صدر الحسين وظهره :

ياعقر الله تلك الخيل اذجعلت　　اعضاءه لعواديها مضاميراً

المطلب السابع والثلاثون

(في مقتل عبيد الله بن زياد عليه اللعنة)

قـــال ارباب التاريخ والسير : بعث المختار بن أبي عبيدة الثقفي ابراهيم بن الاشتر الكوفة لقتال عبيد الله بن زياد لعنه الله واخرج معه فرسان اصحابه واهل البصائر والتجربة منهم ، وشخص ابراهيم بن الاشتر لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، واستهلت سنة سبع وستين وهو سائر لقصد بن زياد ، وكان ابن زياد قد سار في معسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها ، فالتقيا بمكان يقال له الخازر «١» بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، فبات ابن الاشتر ساهراً ، فلما كان الفجر نهض فصـــلى باصحابه وعبىء جيشه ، وصار يحثهم ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين «ع» واهل بيته . ثم زحف بجيشه وهو ماش في الرجالة حتى اشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فاذا هم لم يتحرك منه احد فلما رؤوهم نهضوا الى خيلهم وسلاحهم مدهوشين فركب ابراهيم بن الاشتر وجعل يقف على

«١» قال البكري في معجم مااستعجم ، خازر بفتح الزاي نهر الموصل عليه التقى ابراهيم بن مالك الاشتر من قبل المختار وعبيد الله بن زياد فقتله ابراهيم .

رايات القبائل فيحرضهم على القتال ، واقبل ابن زياد في جيش كثيف وعلى ميمنته الحصين بن نمير وعلى الميسرة عمير بن الحباب السلمي ، وعلى خيل ابن زياد شرجيل بن ذي الكلاع ، وابن زياد فى الرجالة فما كان الا ان تواقف الفريقان حتى حمل الحصين بن نمير بالميمنة على ميسرة اهل الكوفة فهزمها وقتل اميرها علي بن مالك فاخذ رايته بعده ولده محمد بن علي فقتل ايضاً ، واستمرت الميسرة ذاهبة فجعل ابن الاشتر يناديهم الي الي ياشرطة الله . أنا ابن الاشتر وكشف عن رأسه ليعرفوه فاجتمعوا اليه ثم حملت ميمنة الكوفة على ميسرة اهل الشام فثبتوا لهم وقاتلوا بالرماح ثم بالسيوف وبالعمد ثم حمل ابراهيم بن الاشتر وحمل اصحابه حملة رجل واحد فانهزم بين يديه اصحاب ابن زياد ، وهو يقتلهم كما يقتل الحملان واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الاشتر ، فقتله وهو لايعرفه ولما انهزم جيش ابن زياد عليه اللعنة قال ابراهيم ابن الاشتر لاصحابه التمسوا في القتلى رجلا ضربته بالسيف فنفحتني منه ريح المسك شرقت يداه وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطىء نهر خازر ، فالتمسوه فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد ضربه ابراهيم بن الاشتر فقطعه نصفين ، فاحتزوا رأسه وبعثوه الى المختار بن ابي عبيدة الى الكوفة ، وبعث معه رؤوس قواده مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ، واحرقت جثته وقتل من الرؤوس ايضاً شرجيل بن ذي الكلاع . والحسين بن نمير ، عليهم لعائن الله وقام المختار (ره) فوطىء وجه ابن زياد بنعله ، ثم رمي بها الى غلامه ، وقال : اغسلها فاني وضعتها على وجه نجس كافر ، قال الراوي وتبع اصحاب ابن الاشتر المنهزمين

من اهل الشام فكان من غرق منهم في نهر الخازر اكثر ممن قتل ، وقالت الشعراء في ذلك اليوم تهجوا ابن زياد وتذكر الواقعة فمن قال شعراً سراقة البارقي يمدح ابن الاشتر :

اتاكم غلام من عرانين مذحج   جريء على الاعداء غير نكول
فيا ابن زياد بوء باعظم هالك   وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
جزى الله خيراً شرطة الله إنهم   شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وقال عمر بن الحباب يذم جيش ابن زياد :

ما كان جيش يجمع الخمر والزنا   محلا اذا لاقى العدو لينصرا

وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد لعنه الله :

ان المنايا اذا ما زرن طاغية   هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه   لابن الخبيثة وابن الكودن(١) الكابي
لا انت زوحمت عن ملك فتمنعه   ولا منت الى قــوم باسباب

قال ارباب التاريخ واهل السير : منهم ابن سعد في الطبقات ، قال لما وصل رأس ابن زياد الى المختار بالكوفة فجعله المختار في جونة (٢) ثم بعث به الى محمد بن الحنفية وعلي بن الحسين (ع) وسائر بني هاشم ، فلما رأى علي بن الحسين (ع) رأس عبيد الله ترحم على الحسين (ع) وقال عبيد الله بن زياد برأس الحسين (ع) وهو يتغدى وأتينا برأس عبيد

(١) الكودن الفرس الهجين

(٢) الجونة سليلة مغشاة أدماً ، والأدم ـ الجلد ـ

« فائدة » عبيد الله بن زياد ولد سنة تسع وثلاثين ، وامه كانت مرجانة مجوسية وأبوه زياد ابن أبيه ، ويقال له زياد بن أبي سفيان ، لان

الله ونحن نتغدى ، وروى الكشي قال لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد الى السجاد خر ساجداً وقال الحمد لله الذي ادرك لي ثاري من اعدائي وجزى الله المختار خيراً ، نعم ادخلوا الرأسين على السجاد وهو يتغدى ، وقال هذه المقالة ، ولكن لما ادخلوا رأس الحسين على ابن زياد ، كانت معه الاسارى ، والسجاد آنذاك مقيد بالحديد ، ومن خلفه عماته واخواته مربقات بالحبال وهن كما قال السيد جعفر الحلي رحمه الله :

لان معاوية ادناه اليه وقال له : انت أخي وشهد من شهد بمحضر من معاوية انهم رأوا ابا سفيان اجتمع بسمية ، وكان والياً على العراقين البصرة والكوفة ، وكانت به جرأة واقدام ومبادرة شأن ابن الزنا قتل الحسين (ع) وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، قال ابن قتيبة في المعارف في ترجمة زياد بن ابي سفيان ان ابنه عبيد الله كان ارقط «١» جميلا وكان زياد زوج امه مرجانة من شيرويه الاسواري ، ودفع اليها عبيد الله ، ونشأ بالاساورة ، وكانت فيه لكنه ولى لمعاوية خراسان ، ثم ولى العراقين بعد ابيه ثمان سنين خمساً منها على البصرة فاستجار بمسعود بن عمرو الازدي ، ثم سار الى الشام فكان مع مروان بن الحكم ، فلما ظفر مروان رده على العراق فلما قرب من الكوفة وجه اليه المختار ابراهيم بن الاشتر فالتقوا بقرب الزاب ، فقتل عبيد الله ولا عقب له ، قال البياسي

اقول وذاك من جزع ووجد　　ازال الله ملك بني زياد
وابعدهم بما غدروا وخانوا　　كما بعدت ثمود وقوم عاد

«١» ارقط فيه سواد وبياض يعني آثاراً في وجهه .

تمسك باليسرى حشا قلبها وتعقد اليمنى مكان الخمار
ولهانة تهتف في قومها من شيبة الحمد وعليا نزار

المطلب الثامن والثلاثون

« في تنزيه المختار عليه السلام »

لفق اشياع بني امية وارباب الاقلام المأجورة واهل الجهل والعصبية أخباراً كثيرة في ذم المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله ، وافترى عليه من افترى منهم ، ودسوا فيه اخباراً كاذبة وقضايا مختلفة هو منها بريء وكلما لفقوه واختلفوه هو ازاء نضاله وبلائه دون عقيدته والاخذ بثار سيد الشهداء ومقاومته للحكومة الاموية لا اكثر ، وكلما ذكروه في ذمه عار عن الحقيقة فما ذكروه : انه ادعى النبوة وانــــه يأتي اليه جبرئيل وحاشاه من هذا الافتراء بل كان يدعي بامامة السجاد زين العابدين ويدعو

« فائدة » روي عن الشعبي قال لم يقتل قط من اهل الشام بعد صفين مثل هذه الوقعة .

« فائدة » اتفق ارباب التاريخ على ان هذه الوقعة التي وقعت بالخازر واسفرت عن قتل ابن زياد كانت يوم العاشر من المحرم .

« فائدة » عن ابي طفيل عامر بن واثلة الكناني قال وضعت الرؤس عند السدة بالكوفة وعليها ثوب ابيض فكشفنا عنها الثوب فرايناحية تغلغل في رأس عبيد الله بن زياد ، ونصبت الرؤوس في الرحبة قال عامر ورأيت الحية تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مرارا .

الناس ايضاً الى امامة السجاد ؛ فلو كان يدعى الوحي لما كان يدعو الناس اولا الى امامة محمد بن الحنفية ، ثم لما ظهر له الحق وانجلى عنه غسق الريب صار يدعو الى امامة السجاد ؛ وهو الذي ارسل للسجاد «ع» مالا كثيراً وارسل اليه ايضاً حورية ام زيدبن علي بن الحسين عليهما السلام ، ومنها انهم ذكروا انه ارسل الى السجاد (ع) بمائة الف درهم ؛ وكره السجاد ان يقبلها منه ، يجوز ان الامام « ع » لما ورد عليه المال من المختار ولم يقبله كان خوفه من السلطة الجائرة من حكومة عبد الملك بن مروان فاتقى الامام في ذلك ، ومنها : قالوا ان الامام علي بن الحسين «ع» لعنه وهذا صريح على الامام غـــير معقول في مذهبنا هذا وكيف يلعن الامام شخصاً مسلماً موحداً يقول بنبوة محمد « ص » ويعترف بالبعث والنشر ، وقد جاءت الرواية عن ابي محمد جعفر الباقر (ع) قال لا تسبوا المختار ، فانه قتل قتلتنا وطلب بثارنا ، وزوج اراملنا ، وقسم المال فينا على العسرة ، وروى مثله عن عبد الله بن شريك ، قال دخلنا على ابي جعفر (ع) يوم النحر ، وهو متكيء ، وقد ارسل الى الحلاق فقعدت بين يديه اذ دخل شيخ من اهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ، ثم قال انا ابو محمد الحكم بن المختار بن ابي عبيدة ، وكان متباعداً عن ابي جعفر فمد يده اليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده : ثم قال اصلحك الله ان الناس قـــد اكثروا في ابي ، وقالوا والقول والله قولك ، قال : واي شيء يقولون ؟ قال يقولون كذاب ولا تأمرني بشيء الا قبلته فقال (ع) سبحان الله اخبرني ابي والله ان مهر امي كان مما بعث به المختار ، أو لم يبن دورنا وقتل قاتلنا وطلب بدمائنا رحم الله اباك رحم الله اباك ، ما ترك لنا حقاً

عند احد الا طلبه ، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا ، فهذه الروايات كلها ؛ واردة في حقه والرحمة عليه ، معناه رضى الائمة عليه ، ورضى الائمة رضى الله تعالى ، أضف الى ذلك ، مارواه الاصبغ بن نباتة ، قال رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين «ع» وهو يمسح على رأسه ، ويقول يا كيس يا كيس (١) ونحن نعتقد بأن أمير المؤمنين «ع» يعلم مئال المختار وعاقبة أمره ، فلو كان ذلك كما ذكروا لما أجلسه امير المؤمنين «ع» في حجره ومسح على راسه ، ولما قال له هذه المقالة وتلطف معه ، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام لايخفى عليه أمر المختار ، ودعا ابن الحنفية له ايضاً يوضح لنا حبه له ، وحب محمد له من حب الائمة عليهم السلام ، وذلك لما ارسل الرؤوس الى السجاد «ع» ونظر اليها محمد بن الحنفية خرسا جدا ودعلى للمختار وقال جزاه الله خير الجزاء فقد ادرك ثارنا ووجب حقه

«١» ذهب بعض الناس الى تسمية المختار بكيسان ، حيث ان امير المؤمنين «ع» قال له يا كيس ، هذا قول وقيل هذه النسبة التي لحقت بالمختار من صاحب شرطته ، حيث كان اسمه كيسان ، سمى باسم كيسان ، مولى على بن ابي طالب المكنى بابي عمرة ، وهو الذي كان يدله على قتلة الحسين «ع» وكان صاحب سره والغالب على امره وكان لايبلغه شيء عن رجل من اعداء الحسين «ع» في دار او موضع الا قصده وهدم الدار باسرها ، وقتل كل من فيها من ذي روح ، وكان اهل الكوفة يضربون به المثل فاذا افتقد منهم احد . قالوا دخل بيته ابو عمرة ، يعنون بذلك كيسان صاحب المختار بن ابي عبيدة الثقفي رحمه الله .

على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم نعم شفى قلوب اهل البيت بأخذه الثار من اعدائهم وشفي غليله من اعـدائهم وكان يأخذ بثارهم ويقتل اعدائهم فكان يقتلهم وهو يبكي كل ذلك حزناً على ابي عبد الله الحسين عليه السلام .

المطلب التاسع والثلاثون

(في فضل الكوفة والاخبار الواردة فيها)

قال : امير المؤمنين «ع» من خطبة له ، كأني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي (١) وتركبين بالزلازل ، وتعركين بالنوازل ، واني اعلم انه ماأراد بك جبار سوءاً الا ابتلاه الله بشاغل ، اورماه بقاتل ، قال ابن ابي الحديد : قد جاء في فضل الكوفة عن اهل البيت «ع» شيء كثير نحو قوله ـع ـ نعمت المدرة وقوله ـع ـ انه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون الفاً وجوههم على صورة القمر وقوله ـ ع ـ هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا ، وقول الصادق ـ ع ـ اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها وقوله : تربة تحبنا ونحبها ، واما ماهم به الملوك وارباب السلطان والجبابرة فيها من السوء ودفاع الله عنها فكثير . قال المنصور للامام جعفر بن محمد الصادق ـع ـ اني قد هممت ان ابعث الى الكوفه من ينقض منازلها ويجمر

---

(١) الاديم هو الجلد الذي يعمل جيداً ويجلب الى سوق عكاظ ويباع هناك وسوق عكاظ من قديم الازمان كان يقام سوق بمكة المكرمة في ايام الموسم مثل ما كان يقام بالبصرة سوق المربد وبالقطيف اليوم سوق الاربعاء وفي البحرين سوق الخميس ،

نخلها ويستصفي اموالها ويقتل اهـل الريبة منها فأشر علي ؟ فقال ياامير المؤمنين ان المرء ليقتدي بسلفه ولك اسلاف ثلاثة ، سليمان اعطي فشكر وايوب ابتلى فصبر ، ويوسف قهر فغفر ، فاقتد بايهم شئت فصمت قليلا ثم قال قد غفرت ويروى ان زد ابن زياد ابن ابيه لماحصبه اهـــل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع ايدي ثمانين منهم وهم ان يخرب دورهم ويجمر نخيلهم ثم جمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة ليعرض عليهم البراءة من علي بن ابي طالب ـع ـ وعلم انهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استأصالهم واخراب بلادهم فقال عبدالرحمن السائب الانصاري فاني مع نفر من قومي والناس يومئذ في امر عظيم اذ هومت تهويمة فرأيت شيئاً اقبل طويل العنق له عنق مثل عنق البعير ، اهدر اهدل فقلت من انت ؟ فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر قال فاستيقظت فزعاً فقلت لاصحابي هل رأيتم مثل مارأيت ؟ قالوا لا : فاخبرتهم قال ثم خرج علينا خارج من القصر فقال : انصرفوا فان الامير يقول لكم اني عنكم اليوم مشغول واذا بالطاعون قد ضربه فكان يقول اني اجد في النصف من جسدي حر النار حتى هلك فقال عبد الرحمن السائب :

ماكان منتهياً عما اراد بنا حتى تناوله النقاد ذو الرقبة
فاثبت الشق منه ضربة عظمت كما تناول ظلما صاحب الرحبة (١)

هذا من الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل ومن الجبابرة هذا الحجاج

(١) يريد بصاحب الرحبة امير المؤمنين عليه السلام على ماذكره شيخنا العلامة الشيخ عبد الواحد المظفري ايده الله في كتابه الامالي المنتخبة .

بن يوسف الثقفي ، فانه تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ، ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف رميا بالبوص ، ومنهم خالد القسري ضرب وحبس حتى مات جوعاً ، وممن رمي بقاتل عبيد الله بن زياد ومصعب ابن الزبير ، ويزيد بن المهلب فالكوفة افاضت الاخبار في فضلها وان البلاء مدفوع عنها ، وفي البحار عن الرضا عن آبائه قال ذكر علي «ع» الكوفة فقال : يدفع البلاء عنها كما يدفع عن أخبية النبي (ص) وعن ابن نباته ، قال : بينا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين - ع - في مسجد الكوفة اذ قال : ياأهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب به أحد ففضل مصلاكم وهو بيت آدم وبيت نوح وبيت ادريس ومصلى ابراهيم الخليل ومصلى اخي الخضر ومصلاي وان مسجدكم هذا احد المساجد الاربعة التي اختارها الله عز وجل لاهلها ، وكأني به يوم القيمة في ثوبين ابيض شبيه بالمحرم ، يشفع لاهله ولمن صلى فيه فلا ترد شفاعته ، ولا تذهب الايام حتى ينصب الحجر الاسود فيه «١» وليأتين زمان يكون مصلى

«١» وهذه من مغيباته - ع - اشار الى القرامطة ورئيسهم ابو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بعد ان اظهروا امرهم بالبحرين سنة مائتين وثمانية وخمسين هجرية ودخلوا مكة يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة ثلثمائة وسبعة عشر ، في سبعمائة رجل فخرج اليهم والي مكة في جماعة من الاشراف فقتلهم القرامطة جميعاً ودخلوا المسجد بخيولهم وسلاحهم ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين الى ان قتلوا في المسجد وشعاب مكة زهاء ثلاثين الف انسان ، وركض ابو طاهر بفرسه في المسجد وسيفه مشهور بيده وامر بالقتلى -

المهدى من ولدي ومصلى كل مؤمن ولا يبقى مؤمن الا كان به اوحن قلبه اليه ، فلا تهجروه وتقربوا الى الله عز وجل بالصلاة فيه وارغبوا اليه في قضاء جوائجكم . فلو يعلم الناس مافيه من البركة لاتوه من اقطار الارض ولو حبواً على الثلج ، وقال المؤلف سامحه الله في فضل مسجد الكوفة :

كوفان ماسما واعلى مسجداً ... بك من اتاه مؤملا لايحرم
لله من بيت تعالى رفعـــة ... فله على سمك الضراح تقدم
بيت اتاه آدم من غابراً ... لازمان حيث بفضله هو اعلم
بيت له الروح الامين واحمد ... وجميع رسل الله قد ماءموا
وأتاه شيخ المرسلين مصلياً ... فيـــه وكل للاله يعظم
ولكم به كان الامام المرتضى ... يقضي بحكم الله لمـــا يحكم
فكأنه فـــلك لرفعة شأنه ... وكأنما هذي المحارب انجم
وكأن جل الانبياء برحبه ... قاموا الى فرض الصلوة واحرموا
وعلي في محرابه متقـــدم ... إن الامام الى الصلاة يقدم

وروي بحذف الاسناد عن اسامة عن ابي عبد الله الصادق قال سمعته يقول : الكوفة روضة من رياض الجنة فيها قبر آدم ونوح . وابراهيم وقبور ثلثمائة وسبعين نبياً وستماءة وصي ، وقبر سيد الاوصياء علي أمير المؤمنين عليه السلام وجاء اليه رجل قال له سيدي اني قد ضربت على كل شيء لي ذهباً وفضة وبعث ضياعي فقلت انزل مكة فقال -ع- لاتفعل فان اهل

- ورموهم في بئر زمزم وبقية الآبار واقام بمكة احد عشر يوماً ينهب ويقتل ثم اقتلع الحجر واخذه معه وجاء به الى الكوفة كما اخبر امير المؤمنين -ع- من قبل ،

مكة يكفرون بالله جهرة قال : انزل بالمدينة ؟ قال هم شر منهم قال فاين انزل قال عليك بالعراق الكوفة فان البركة منها على اثنى عشر ميلا هكذا وهكذا ، والى جانبها قبر ما اتاه مكروب قط الا و كشف الله كربه ولا ملهوف الا وفرج الله عنه وهو قبر امير المؤمنين «ع» وقال حرمت النار على قدم تغبرت في زيارة جدي امير المؤمنين « ع » بلى والله قبره حمى لجواره قال الشاعر :

بقبرك لذنا والقبور كثيرة   ولكن من يحمي الجوار قليل

وقال آخر :

اذا مت فادفني مجاور حيدر   ابي شبر مولى الورى وشبير
فعار على حامي الحمى وهو بالحمى   اذا ظل في البيدا عقال بعير
ولست اخاف النار عند جواره   ولا اختشي من منكر ونكير

نعم هو حامي الجار يحمي جواره . ولذا سكينة قالت لحميد بن مسلم ان لنا قبراً بالنجف واريد الرواح الى جدي أمير المؤمنين «ع» فاشكوا اليه ماجرى علينا من اهل الكوفة ،

المطلب الاربعون

« فيما فعله السفاح ببني امية »

ذكر ارباب التاريخ واهل السير ، انه لما انهار كيان الدولة الاموية وانهدم عرش جورهم على يد أبي مسلم الخراساني والمسودة ، تربع على كرسي الخلافة ابو السفاح (١) خافته الملوك والتجأت اليه الامم ، وتشتت

(١) هو ابو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله -

بنو امية شرقاً وغرباً خوفاً من سطوته والفتك بهم ، قال ارباب التاريخ ولما استتب له الامر كتب اليه جماعة من الامويين يطلبون منه الامان ويسألونه التعطف والاحسان ، وانه لايؤاخذهم بما كان ، وان يجعلهم اهل بطانته ، فأجابهم . انه غير غني عنهم ، وانه يحتاج الى خدمتهم وضمن لهم الاموال والعطايا والاقطاع ، واجتمع اليه الكبير والصغير من آل أبي سفيان وعتاب يزيد وآل زياد ، فقربهم اليه ، وجعل منهم امراء وحجاب وندماء ووكلاء حتى اختلفت فيه الاقوال ، فمن قائل يقول : انه عمل هذا سياسة منه . ومنهم من يقول : كيف صار يقرب اعداءه وقتلة آبائه قال أبو الحسن . فبينما السفاح ذات يوم جالس وحوله بنو امية عليهم الدروع المطرزة والعمائم الملونة ، وقد تقلدوا بالسيوف المذهبة المحلاة بالاحجار الكريمة إذ دخل عليه بعض حجابه وهو مذعور فقال له ياامير المؤمنين ان على الباب رجل ذميم المنظر عظيم المخبر شاحب اللون رث الاطمار يريد الدخول عليك فقلت له امض واغسل بدنك وثيابك وتطيب حتى استأذن لك منه فتدخل عليه فنظر الي شزرا ، وقال اني آليت ان لاانزع ثوباً ولا استعمل طيباً ولاالذ بعيش ، حتي اصل الى امير المؤمنين وهاهو على الباب

ـ بن العباس بن عبد المطلب ، ولد في مستهل رجب سنة اربع وماءة وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من ربيع الآخر ، سنة اثنتين وثلاثين وماءة وكانت خلافته اربع سنين وثمانية اشهر ، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان ، توفي بالانبار لثلاث عشر ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة ست وثلاثين وماءة ، وصلى عليه عمه عيسى بن علي .

منتظر رد الجواب ، قال : ولما سمع السفاح ذلك ، قال صاحبنا وعبدنا سديف «١» ورب الكعبة اذنا له فليدخل ، قال الراوي فلما سمع بنو امية بذكر سديف تغيرت منهم الالوان واقشعرت منهم الابدان وجعل ينظر بعضهم الى بعض وارتعدت منهم الفرائص واخذهم الجزع والهلع ، وقال بعضهم لبعض اليس الله قد قتل سديفاً ، قال الراوي ولما دخل سديف وسلم على السفاح وانشأ يقول :

أصبح الملك ثابت الاساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس

«١» سديف كان عبداً لبني هاشم ، وكان فصيح اللسان قوي الجنان وكان يخرج في موسم الحج الى بيت الله الحرام ، ويصعد على ذروة من الارض وينادي ايها الناس فيجتمع اليه الناس ، ويبسط لسانه بمدح بني هاشم ويهجو بني امية ويصغر ملكهم ويحرض الناس عليهم ، ليخلعوا الخلافة منهم ويجعلوها في بنى هاشم الذي جعلها الله فيهم ، وهم آل بيت محمد « ص » حتى انه جاء في موسم الحج وصعد زمزم وصاح برفيع صوته يا اهل الارض ، ويا اهل الابطح والصفا وباب مكة والكعبة العليا ، فدونكم فاسمعوا والله على ما اقول وكيل فتكلم في بنى امية ما استطاع ، فقام اليه جماعة من بنى امية ، وضربوه ضرباً موجعاً حتى غشي عليه حتى ظنوا انه مات قال الراوي فجاءت اليه امراة فسقته شراباً بعد ان افاق ، وجعلت تمرضه حتى برىء وخرج من مكة الى الشعاب ورؤوس الجبال . مثله في بحار الانوار جلد العاشر منه .

قال ارباب السير ، ويقال ان سديف ، لما دخل على السفاح انشأ يقول شعراً :

لا يغرنك ما ترى من رجال   ان بين الضلوع داءاً دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى   لا ترى فوق ظهرها امويا

فقال له السفاح ياسديف اهلا بطلعتك ومرحباً برؤيتك قدمت خير مقدم وغنمت خير مغنم ، فلك الاكرام والانعام واما انت مساله من الاعداء فالصفح أجمل . فان اكرم الناس من عفا اذا قدر ، وصفح اذا ظفر ، ثم نادى ياغلام علي بتخت من الثياب وكيس من الورق «١» فأتاه بذلك ، فقال السفاح : يا سديف خذ هذه الثياب وغير ثيابك ، واصلح بهذه الدنانير حالك ، وعد الينا في غد انشاء الله فلك عندنا ما تحب وترضى ، قال الراوي : فعند ذلك خرج سديف من عند السفاح وأخذ بنو أمية يحدث بعضهم فالتفت اليهم السفاح ، وقال لهم يابني امية لا يكبرن عليكم ماسمعتم من هذا العبد وليس له رأي سديد ولا ينبغي ان تأخذ بأقواله ، وانما قال لهم هذا ليرفع ما وقع في نفوسهم من الهلع والجزع قال الراوي : وخرج بنو امية من عنده وقد ارتفع من قلوبهم ما كانوا يحذرون ، ولما كان غداة غد بكر اليه بنو أمية على عادتهم فدخلوا وسلموا عليه فرد عليهم السلام ، وقرب مراتبهم ورفع مجالسهم ففرحوا لذلك فرحاً شديداً واخذ يحدثهم ويلاطفهم فبينا هو كذلك اذ دخل عليهم سديف ، وقد غير ثيابه ، فسلم على السفاح ، فاشار السفاح اليه بيده وقال نعم صباحك وبان فلاحك وظهر نجاحك كشف الله بك رواكد الهموم

«١» الورق الدراهم المضروبة جمعها اوراق ووراق

وفداك ابي لانك آخذ بالثار وكاشف عن قومك وخيمة العار ، وحاشاك ان تكون من الغافلين عن ثار قبيلتك فاغضب لعشيرتك يابن الرؤساء من هاشم ، والسراة من بني عبد مناف ، قال الراوي فلما سمع السفاح كلامه اطرق برأسه الى الارض ، ثم رفع راسه وقال له : ياسديف احلم الناس من صفح عمن ثلمه ، وصان عرضه عمن ظلمه ، فلك عندنا افضل الكرامة والجزاء ، فانصرف يا سديف ، ولا تعد الى مثلها ابداً ، فخرج سديف من عنده ، والتفت السفاح الى بني امية ، وقال لهم : اني اعلم ان كلام هذا العبد ، قد اوجفكم ، وقد اثر في قلوبكم فلا تعبئوا بكلامه فاني لكم كما تحبون وفوق ما تاملون ، وسأزيد لكم العطاء واقرب لكم الجزاء ، واقدمكم على غيركم ، فخرجوا من عنده وقد سكن مابهم واجتمعوا للمشورة فيما بينهم ، قال قائل منهم هلموا بنا حتى ندخل على السفاح ونسأله ان يسلم الينا هذا العبد فنقتله وامتنع آخرون من هذا القول ، ولما أن امسى المساء ارسل السفاح خلف سديف فاحضره عنده فلما دخل عليه سديف قال له ويلك يا سديف انك لعجول في امرك ، مفش لسرك الا تستعمل الكتمان فقال سديف : الكتمان قد قتلني والتحمل قد امرضني والنظر الى هؤلاء الظلمة قد اسقمني ولكن يخفى عليك امري وما حل بي وباهلك وعشيرتك من قتل الرجال وذبح الاطفال وهتك النسوان وحمل حريم رسول الله صلى الله عليه وآله على الاقتاب بغير غطاء ولا وطاء يطاف بهم البلدان فاي عين ترقا مدامعها واي قلب لاينفجع عليهم فاستوف لهم الدماء واضرب بحسامك العدا وخذ بالثار من الظلمة لائمة الهدى ومصابيح الدجى وسادة الاحرار ثم انشأ يقول :

رجالكم قتلوا من غير ذي سبب　　واهلكم هتكوا جهراً على البدن

بلى والله لقد قتلوا ابناء رسول الله واحفاده واسروا كرائمه على عجف النياق بلا غطاء ولا وطاء .

رجالهم صرعى واسرى نساؤهم　　واطفالهم في السبي تشكوا حبالها

المطلب الحادي والاربعون

« في بقية قضية السفاح وما فعله ببني امية »

ذكر المؤرخون واهل السير ان السفاح لما اراد ان يطهر الارض من الارجاس ويقضي على بني امية ويستأصل شافتهم دعا سديفاً ليلة من الليالي وقال له ياسديف : قد بلغ الكتاب أجله وقرب ما كنت تؤمله ، نم ليلتك قرير العين واتني غداة غدا اعطيك املك وابلغك رجاءك ، قال الراوي : فبات سديف تلك الليلة يدعو ربه ويسأله اتمام ما وعده به السفاح قال واصبح السفاح وكان ذلك اليوم يوم النيروز ، امر مناديه فنادى ان امير المؤمنين اباالعباس السفاح قدبسط الانطاع وصب عليها خزائنه ، وقال اليوم يوم عطاء وجزاء وجوائز ومواهب وضربت الطبول ونشرت الرايات ، وقد زين قصر الخليفة ونصب كرسي الخلافة في وسطه وامر السفاح بالانطاع فبسطت بين يديه وصب عليها الدنانير والدراهم ، والاسورة ومناطق الذهب والفضة ، ثم دعا باربعمائة من غلمانه من اشدهم واشجعهم واعطاهم السيوف المذهبة وقال لهم كونوا في الاخبئة والمخادع واسبلوا عليكم الستور وكونوا على استعداد من امركم ، فاذا رايتموني ضربت بقلنسوتي الارض فاخرجوا من المخادع وضعوا السيوف

في رقاب الحاضرين وكل من ترونه ولو كان من بني عمي، قال الراوي : ولما تعالى النهار وجلس السفاح على سرير الخلافة ، اقبلت اليه الناس في الزينة والبهجة الحسنة للسلام عليه والعطاء ، واقبل بنو امية يرفلون بالحلل السندسية يجرون ارديتهم زرافات ووحدانا حتى تكاملوا سبعين الفاً من امية وآل ابي معيط ومن يمت بهم وحاشيتهم ، قـــال فعند ذلك صعد السفاح الى اعلى محل في قصره وهو متقلد بسيفه ، والتفت الى بني امية . وقال هذا اليوم الذي كنت اعدكم فيه للجزاء والعطاء فبمن يكون البدء بالعطاء للأمويين ام للهاشميين ؟ فقال كلهم ياخليفة رسول الله (ص) ان بني هاشم هم سادات العرب ، فلا يتقدم عليهم احد ولن يقدم العبد على سيده ، قال فصاح السفاح بعبد له كان عن يمينه وكان فصيـح اللسان ناد ببني هاشم واحداً بعد واحد ، حتى نجزل له العطاء ونحسن لهم الجوائز فنادى الغلام برفيع صوته ابن عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم هلم الينا واقبض عطاءك فقام سديف قال وابن عبيدة بن الحارث قال وما فعل به قال قتله شيـخ من هؤلاء يقال له عتبة بن ربيعة فقال السفاح يا غلام اضرب على اسمه وأتنا بغيره ، فنادى الغلام ابن اسد الله واسد رسوله الحمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، هلم الينا واقبض عطاءك فقال سديف وابن الحمزة قال وما فعل به قال قتلته امرأة من هؤلاء القوم يقال لها هند بنت عتبة ، في أحد واقبلت بعد القتل ومثلت به فشقت جوفه وأخذت كبده لتأكلها فحولها الله حجراً في فمها فسميت اكلـــة الاكباد ، ثم قطعت اصابعه وجعلتها قلادة في عنقها وجدعت انفه وقطعت مذاكيره ، فقال السفاح : يا غلام اضرب علي اسمه ، واتنا بغيره ، فنادي

الغلام اين اول الناس اسلاماً وافضل الوصيين ويعسوب الدين اميرالمؤمنين ابن علي بن ابي طالب « ع » هلم الينا واقبض عطاءك فقال سديف : يا مولاي وابن علي بن ابي طالب « ع » لقد قتله المرادي عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وزين معاوية بن ابي سفيان الشام فرحاً لقتله فقال السفاح يا غلام اضرب على اسمه واتنا بغيره ، فنادى الغلام اين ابن بنت رسول الله (ص) وسيد شباب اهل الجنة الحسن بن علي « ع » هلم الينا واقبض عطاءك ، وقال يا مولاي وابن الحسن بن علي « ع » قال السفاح ، وما فعل به قال قتلته جعدة بنت الاشعث بسم دسه معاوية اليه من الشام ، فقال : يا غلام اضرب على اسمه واتنا بغيره ، فنادى الغلام ابن مسلم بن عقيل بن ابي طالب «ع» هلم الينا واقبض عطائك فقال سديف يامولاي وابن مسلم بن عقيل ؟ قال وما فعل به قال قتله هؤلاء القوم فاخذه عبيد الله بن زياد لعنه الله فقتله ورمي بجسده من اعلا القصر الى الارض وربطوا الحبال في رجليه وجعلوا يسحبونه بالاسواق ، فقال السفاح : ياغلام اضرب على اسمه واتنا بغيره فنادى الغلام : اين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب اهل الجنة الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، هلم الينا واقبض عطاءك فبكى سديف وصرخ واحسيناه ونادى يامولاي وابن الحسين «ع» فقال السفاح : وما فعل بولد رسول الله (ص) قال قتله أمير هؤلاء الذين هم جالسون حولك وهم على كرسي الذهب والفضة قتله بارض كربلاء عطشانا وأخذوا رأسه على رمح طويل من كربلا الى الكوفة ومن الكوفة الى الشام الى يزيد بن معاوية فقال السفاح : ياغلام اضرب على اسمه وإتنا بغيره فنادى الغلام واين العباس بن

علي هلم الينا واقبض عطاءك فقال سديف يا أمير المؤمنين وأين العباس بن علي قال : وما فعل به قال قتله هؤلاء في كربلاء بعد ان قطعوا يمينه وشماله وضربوا رأسه بعمود من حديد فقال السفاح ياغلام اضرب على اسمه واتنا بغيره ، فنادى الغلام اين زيد بن علي بن الحسين « ع » هلم الينا واقبض عطاءك فقال سديف : وأين زيد بن علي بن الحسين «ع» فقال السفاح وما فعل به قال قتله هشام بن عبد الملك وصلبه في كناسة الكوفة وبقى مصلوباً أربع سنين حتى عشعشت الفاختة في جوفه ثم انزلوه بعد ذلك واحرقوه وسحقوا عظامه المحترقة وذروها في الهواء ثم قتلوا ولده من بعده فقال السفاح ياغلام اضرب على اسمه واتنا بغيره فنادى الغلام أين ابراهيم بن علي بن عبد الله بن العباس هلم الينا واقبض عطاءك فسكت سديف فقال السفاح ويلك ياسديف سكت عن الجواب قال يا أمير المؤمنين اني استحي أن اخبرك بما فعل هؤلاء القوم بأخيك فقال السفاح سألتك بالله لما اخبرتني ما فعل بأخي فقال يا أمير المؤمنين قبضه رجل من هؤلاء القوم يقال له مروان ، وأدخل رأسه في جراب بقرة وركب في أسفله كور الحدادين وأمر النافخ ينفخ والجلاد يجلد حتى ضربه عشرة آلاف سوط في ثلاثة ايام فبكى وصاح صيحة واحدة وأخذ قلنسوته فضرب بها الارض ونادى يالثارات بني عبد المطلب يالثارات الحسين «ع» فخرج الغلمان من الاخبية والمخادع بايديهم السيوف وجعلوا يضربون رقابهم فكان بنوا امية كلما انحازوا الى جانب تلقتهم الغلمان من ذلك الجانب بضرب السيوف ، فما كانت إلا ساعة حتى أتوا على آخرهم ، وقد كان خدامهم وعبيدهم حول القصر يحفظون لهم خيولهم وينتظرون خروجهم ، واذا هم يرون الدماء

تسيل من كل ميزاب كانها السيل فركب كل منهم جواد مولاه وهرب على وجهه ، قال الراوي وأمر عند ذلك السفاح بالاشلاء فجمعت مثـــل المسبطة وفرشت فوقهم الانطاع وجلس عليها السفاح وسديف وجماعة من بني هاشم ، ووجوه العباسيين ، ثم امر السفاح بالموائد فصبت وقدموا الطعام ، فاكل السفاح وقومه وسديف معهم ، قال والتفت السفاح الى سديف وقال له ياسديف هل برد غليلك ؟ فقال والله يا أمير المؤمنين ما اكلت أكلة أطيب من هذا اليوم ثم انشأ سديف قائلا :

ألا مبلغ سادات هاشم معشبري وجمع قريش والقبائل من فهري
وسادات مخزوم وأبناء غالب قريباً من النور المغيب في القبر
ومن كان منهم في المدينة ثاوياً وسكان بيت الله والركن والحجر
ومن كان منهم في الغريين ثاوياً وذاك علي صاحب النهي والامر
ومن سكن الطف المعظم قدره حسين الرضى المدفون بالبلد القفر
بأن سديفاً قد شفى الله قلبه بسمر رماح ثم مرهفـــة بتر
وان أبا العباس ثـار لثارهم فلم يبق موتوراً يطالب بالوتر

وان فعل ابو العباس مافعل ببني امية وقتل ماقتل منهم لم يبلـــغ

« فائدة » يروى مرسلا ان السفاح قد فتك ببني امية مرتين . ففي المرة الاولى . كان على ماذكرنا من قضية سديف ، فبهذه الكيفية قتلهم . وأما المرة الثانية فانه بني لهم قصراً وجعل اسس ذلك القصر من الملح . حتى اذا اكمل القصر دعاهم اليه فلما اجتمعوا فيه سلط عليهم الماء فاخذ جميـــع جهاته الى ان ذاب الملح وانهدم عليهم القصر فلكوا عن آخرهم .

معشار مافعله بنو امية بأهل البيت فانهم :

أبادوهم قتـــلا وسماً ومثلة كأن رسول الله ليس لهم أب
كأن رسول من حكم شرعـه على آله أن يقتلوا أويصلبوا

المطلب الثانى والاربعون

(في مقتل زيد بن علي بن الحسين «ع»)

قال أبو الفرج الاصبهاني اشترى المختار بن أبي عبيدة الثقفي . جارية بثلاثين الف دينار ، فقال لها ادبري فادبرت ثم قال لها اقبلي فاقبلت فقال والله ماأرى احدا أحق بها من علي بن الحسين زين العابدين « ع » فارسلها اليه وهي ام زيد المصلوب وعن الصادق «ع» قال قال : رسول الله «ص» يوماً للحسين يخرج من صلبك فتى يقال له زيد يتخطا هو واصحابه يوم القيامة رقاب الناس ثم يدخلون الجنة بغير حساب ، وقال علي بن الحسين عليه السلام لرجل من محبيه بينا انا ذات ليلة اصلي اذ ذهب بي النوم فرأيت نفسى كأني في الجنة وكان رسول الله (ص) وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني جارية من الحور العين . فواقعتها ثم اغتسلت عند سدرة المنتهى واذا بهاتف يهتف بي ليهنك بزيد ليهنك بزيد ، قال : ثم استيقضت من منامي فقمت وصليت صلاة الفجر ، فلما فرغت واذا بالباب تطرق . ففتحها ، واذا برجل ومعه جارية وهي متجلببة بجلبابها فسلم علي وقال لي: انا رسول المختار اليك وهو يقرؤك السلام ويقول وقعت هذه الجارية عندنا فاشتريتها واحببت ان اهديها لكم ثم امرت الجارية فدخلت الى الحرم وجلست مع نسائنا وانصرف ذلك الرجل ، فاقبل عليها الامام وقال لها

ما اسمك ؟ قالت : حوراء فعقد عليها وتزوجها فاولدها زيداً ، وقال ابن قولويه : روى بعض اصحابنا قال كنت عند علي بن الحسين «ع» فكان اذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس ، فجاءه ذات يوم مولودفبشروه به بعد صلاة الفجر ،قال فالتفت الى اصحابه ، وقال ما اسمي هذا المولود ؟ قال الراوي فقال كل منهم سمه كذا و كذا ، فقال علي بن الحسين «ع» علي بالمصحف ، فاتوا به اليه فقبله ووضعه في حجره ثم فتحه فنظر الى اول سطر من الصفحة اليمنى ،واذا قوله تعالى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيما) «١» قال ثم طبقه وفتحه فنظر فيه واذا في اول الصفحة قوله (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) «٢» فقال ـع ـ : هو والله زيد فسمي زيداً «٣» وقال خالد مولى الزبير دخلت يوماً على علي بن الحسين «ع» فدعا بولده زيد فجاء اليه وكان يومئذ صبياً فاقبل اليه يمشي فكبا لوجهه ، فقام علي بن الحسين «ع» وأخذه ووضعه في حجره وجعل يمسح وجهه وهو يقول : اعيذك بالله يابني ان تكون زيداً المصلوب بالكناسة . فمن نظر الى عورته متعمداً صلى الله

«١» سورة النساء .

«٢» سورة التوبة .

«٣» ولد زيد بن علي بن الحسين «ع» بالمدينة بعد طلوع الفجر سنة ست وستين اوسبع وستين من الهجرة ، المجدي لأبي الحسن العمري النسابة .

وجهه النار ، قال الراوي : ودخل زيد يوماً على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : انت المؤهل نفسك للخلافة ؟ وما انت وذاك ؟ وانما انت ابن أمة ، فقال زيد اني لااعلم أحداً احبه الله مثل اسماعيل ابن ابراهيم ، وهو ابن امة ~~وما تنكر~~ من ابن امة وجده رسول الله (ص) وابوه أمير المؤمنين ويروى في مروج الذهب ان قال له ان الامهات لا يقعدون بالرجال عن الغايات وقد كانت ام اسماعيل امة لا ام اسحق فلم يمنعه ذلك ان بعثه الله نبياً وجعل للعرب أباً فاخرج من صلبه خير البشر محمد (ص) فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي «ع» وقام وهو يقول :

شرده الخوف فازرى به　　كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق السربال يشكو الوجى　　تنكبه اطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة　　والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة　　يترك اثار العدا كالرماد

ثم خرج من عنده وهو يقول : لم يكره قوم قط حر السيف الا ذلوا ، فلما وصل الى الكوفة اجتمع عليه اهلها فلم يزالوا به حتى بايعه ماءة الف سيف ، فلما قام بالحرب ونادى بشعار رسول الله (ص) يا منصور أمت نقضوا بيعته ، فلما رأى ذلك . قال اين الذين بايعوني ؟ فعلوها حسينية ثم أنشأ يقول !!

اذل الحياة وعز الممات　　وكلا اراه طعاما وبيلا
فان كان لابد من واحد　　فسيري الى الموت سيراً جميلا

قال واشتبك الحرب فاصيب زيد بسهم في جانب جبهته اليسرى ؛ فنزل الى دماغه فاقبل اليه ولده يحيى فانكب عليه ، وقال له : ابشر فانك

ترد على رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين «ع» قال : قال اجل اي بني وما تصنع من بعدي ؟ قال : اقاتلهم فقال زيد : افعل يابني فانك على الحق وهم على الباطل ، ثم ان يحيى نزع السهم من جبهة ابيه وخرج الدم كالميزاب ، ثم خرجت روحه ، فحملوه الى بستان فيه نهر ماء فقطعوا الماء الذي يجري فيه ، وحفروا له حفيرة في وسط النهر فدفنوه واجروا الماء عليه ، وكان معهم سندي فذهب الى يوسف بن عمرو الثقفي واخبره فجاء اللعين واخرجه من قبره وصلبه في الكناسة بالكوفة فمكث اربع سنين مصلوباً ، حتى عشعشت الفاختة في جوفه ، ونسج العنكبوت في جوفه على عورته . ولما هلك هشام كتب الوليد بن يزيد الى يوسف ابن عمرو ، اما بعد ، اذا اتاك كتابي هذا فاعمد الى عجل اهل الكوفة فاحرقه وانسفه في اليم نسفا ، فانزله اللعين واحرقه وذراه في الهواء ، قال حمزة ابن عمران ، دخلت على ابي عبد الله الصادق « ع » فقال لي من اين اقبلت قلت من الكوفة فبكى بكاء شديداً ، وجرت دموعه على لحيته حتى ابتلت فقلت له مايبكيك يابن رسول الله «ع» قال : ذكرت عمي زيداً قلت وماالذي أصاب جبهته ، وقال المرحوم الخطيب الشيخ يعقوب النجفي رحمه الله :

يبكي الامام لزيد حين يذكره — وان زيداً بسهم واحداً ضربا
فكيف حال علي بن الحسين وقد — رأى أباه لنبل القوم قد نصبا

وكان الصادق «ع» كلما ذكر السهم يبكي اقول اذا مايصنع حين يذكر السهم الذي وقع في قلب جده الحسين «ع» يوم عاشوراء وكلما عالج اراد ان ينتزعه من موضعه ماتمكن . انحنى على قربوس سرج فرسه قائلا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله «ص» فاستخرج السهم من قفاه وسال

الدم كالميزاب خر صريعاً الى الارض :

سهم اصابك يابن بنت محمد　　قلباً أصاب لفاطم وفؤادا

المطلب الثالث والاربعون

« في بقية قضية زيد بن علي بن الحسين « ع »

ذكر صاحب المقاتل انه لما قتل زيد بن علي بن الحسين «ع» ودفنه ابنه يحيي في النهر . واجرى عليه الماء استخرجه يوسف بن عمرو . بعد الدفن وقطع رأسه وبعث برأسه، وبرؤس اصحابه الى هشام بن عبد الملك. مع زهر بن سليم ، ودفع هشام لمن اتاه بالرأس عشرة دراهم ونصبه على باب دمشق ، ويروى انه القى الرأس امامه فاقبل الديك ينقر رأسه فقال بعض من حضر من الشاميين ! !

اطردوا الديك عن ذوابة زيد　　فلقد كان لا يطاه الدجاج

قال الراوي : وبعث هشام بالرأس من الشام الى مدينة الرسول (ص) فنصب عند قبر النبي « ص » يوماً وليلة ، وكان العامل على المدينة محمد بن ابراهيم بن هشام المخزومي ، فتكلم معه ناس من اهل المدينة ان ينزله فابى الا ذلك ، فضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم ، وكان كيوم الحسين « ع » ونظر الى الرأس كثير بن المطلب السهمي فبكى وقال : نظر الله وجهك ابا الحسين وقتل قاتليك وكان كثير يميل الى بني هاشم لان ام أبيه المطلب . اروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال له الوالي بلغني عنك كذا وكذا قال هو كما بلغك فحبسه ، وكتب الى هشام بن عبد الملك يخبره ، فقال كثير ، وهو في الحبس :

ان امرءاً كانت مساويه حب النبي لغير ذي ذنب
و كذا بني حسن ووالدهم من طاب في الارحام والصلب
ويرون ذنباً ان احبكم بل حبكم كفارة الذنب

وحدث عيسى بن سوادة قال كنت بالمدينة لما جيء برأس زيد ونصب في مؤخر المسجد على راس رمح ، وامر الوالي فنودي في المدينة برأت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد ، فحضر الناس الغرباء وغيرهم ولبثوا سبعة ايام كل يوم يخرج الوالي فيقوم الخطباء من الرؤساء فيلعنون علياً والحسين وزيداً واشياعهم ، فاذا فرغوا قام القبائل عربيهم وأعجميهم ، وكان بنو عثمان اول من قام الى ذلك ، حتى اذا صلى الظهر انصرف وعاد بالغد مثلها سبعة ايام ، وقام رجل من قريش ، يقال له : محمد بن صفوان الجمحي فامره الوالي بالجلوس . ثم عاد من غير ان يدعى فقال له الوالي اقعد فقال ان هذا مقام لايقدر عليه احد ، فاذن له الوالي في الكلام فاخذ في خطبته ولعن علياً واهل بيته والحسين وزيداً ومن يحبهم فبينا هو كذلك اذ وضع يده على رأسه ووقع على الارض فظننا ان خطبته انقضت فتبيناه ، واذا به يصيح من راسه ، ولم يزل كذلك حتى ذهب بصره ، قال الراوي : ثم سير الرأس الشريف الى مصر ، فنصب بالجامع فسرقه اهل مصر ودفنوه في مسجد محرس ، قال الكندي : قدموا بالرأس الى مصر سنه اثنتين وعشرين ومائة ، يوم الاحد لعشر خلون من جمادي الاخرة ، واجتمع عليه الناس في المسجد ، ودفن بمصر وهو مشهد صحيح لانه طيف به بمصر ثم نصب على المنبر بالجامع سنة اثنتين وعشرين ومائة ، ويحدث ابن عبد الظاهر ان الافضل امير الجيوش

لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي «ع» امر بكشف المسجد ، وكان وسط الاكوام ولم يبق من معالمه الامحرابه فوجد هذا العضو الشريف ، وذكر خطيب مصر ابو الفتوح ناصر الزيدي وكان من جملة من حضر الكشف انه رأى في جبهة زيد أثراً فيسعة الدرهم قال فضمخ وعطر وحمل الى داره حتى عمر هذا المشهد ، قال صاحب العدل الشاهد ، يزار مشهد زيد بمصر يوم الاحد من كل اسبوع يقصده عامة الناس ليلا ونهاراً ، وله مولد في كل عام يحضره الناس والظاهر انما يزار في كل يوم احد لانه كان الكشف عليه يوم الاحد تاسع عشر ربيع الاول سنة خمس وعشرين وخمسمائة ،

« فائدة » قال الراوي وبينا زيد يقاتل اصحاب يوسف بن عمرو اذ انفصل رجل من كلب على فرس له رائع ، وصار بالقرب من زيد فشتم الزهراء فاطمة ، فغضب زيد ، وبكى حتى ابتلت لحيته ، والتفت الى من معه ، وقال : اما احد يغضب لفاطمة ، اما احد يغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اما احد يغضب لله . قال سعيد بن خيثم : اتيت الى مولى لي كان معه مشمل «١» فاخذته منـــه وتسترت خلف النظاوة والناس يومئذ فرقتين مقاتلة ونظارة ثم صرت وراء الكلبي وقد تحول من فرسه وركب بغلة فضربته في عنقه فوقع راسه بين يدي البغلة وشد اصحابه علي وكادوا يرهقوني ، فلما راى اصحابنا ذلك كبروا وحملوا عليهم واستنقذوني . فركبت البغلة واتيت زيداً فقبل بين عيني ، وقال! ادركت والله ثارنا . ادركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما ، ثم اعطاني البغلة ! !

«١» المشمل كمنبر سيف قصير يتغطى به تحت الثوب .

وكان زيد «ع» من اباة الضيم قال الكواز رحمه الله !!

وزيد وقد كان الاباء سجية لآبائه الغر الكرام الاطايب
كأن عليه القى الشبح الذي تشكل فيه شبه عيسى لصالب
فقل للذي اخفى عن العين قبره متى خفيت شمس الضحى بالغياهب
ولو لم تنم القوم فيه الى العدى عليه لنمت واضحات المناقب
كأن السما والارض فيه تنافسا فنال الفضا عفواً سنى الرغائب
عجبت وما احدى العجائب فاجئت بقتل زيد بل جميع العجائب

وقال احمد بك شوقي امير الشعراء من مقصورة له ! !

وثار للثارات زيد بن علي بن الحسين بن الوصي المرتضى
يطلب بالحجة حق بيتــه والحق لا يطلب الا بالقنـا
فتى بـلا راي ولا تجربة جرى عليه من هشام ماجرى

« فائدة » قال ارباب التاريخ ، ولما جن الليل من ليلة الجمعة الثالثة من صفر سنة مائة واحدى وعشرين ، رمى زيد بسهم غرب اصابه جبهته ووصل الى الدماغ ، وكان الرامي له مملوك ليوسف بن عمرو اسمه راشد ويقال من اصحابه اسمه داوود بن كيسان ! !

« فائدة » لما اصيب زيد «ع» بالسهم فجاء اصحابه وادخلوه بيت حران كريمة مولى بعض العرب في سكة البريد في دور ارحب وشاكر وجاؤا اليه بطبيب يقال له شقير . وفي مقاتل الطالبين اسمه سفيان ، فقال له الطبيب : ان نزعته من راسك مت . فقال الموت اهون علي مما انا فيه ، فاخذ الكلبتين فانتزعه ، وفي ذلك الحين مات رضوان الله عليه .

اتخذ الكوفة درعــاً وقناً   والاعزل الا كشف من فيها احتمى
من تكفه الكوفة يعلم انها   لا نصر عنــد اهلها ولا غنى
سائل علياً فهو ذو علم بهــا   واستخبر الحسين تعلم النبــا
فمات مقتولا وطال صلبــه   واحرقت جثته بعــد البلا

* * *

ابادوهم قتلا وسماً ومثــلة   كأن رسول الله ليس لهم اب
كأن رسول الله من حكم شرعه   على آله ان يقتلوا او يصلبوا

***

فما بين مسموم وبــين مشرد   وبــين قتيل بالدماء مخلق

فالقتيل الذي صار دماؤه خلوقا له بل غسلا له هو سيد شباب اهل الجنة ابو عبد الله الحسين « ع » قال الشريف الرضي « ره » !!

غسلته دماؤه قلبتــه   ارجل الخيل كفنته الرمول

المطلب الرابع والاربعون

« في واقعة الزاب بين الامويين والعباسيين »

لما نزل مروان بن محمد الحمار بالزاب جرد من رجاله من اختاره من اهل الشام والجزيرة وغيرهما مائة الف فارس على مائة الف قارح . وقال انها عدة ولا تنفع العدة اذا انقضت المدة ، ولما اقبل عبد الله بن علي بن العباس يوم الزاب بالمسودة من قبــل السفاح وفي اولهم البنود السود تحملها رجال على جمال البخت ، وقد جعل لها عوض القناد خشب الصفصاف والغرب فقال مروان ، اما ترون رماحهم كأنها النخل غلظ او ما ترون

اعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع الغمام السود ، فبينما مروان ينظرها ويعجب اذ طارت قطعة من الغربان السود فوقعت على عسكر عبد الله ، واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ، فقال لمن يقرب منه اما ترون السواد قد اتصل بالسواد ، حتى صار الكل كالسحب المتكاثفة . ثم التفت الى رجل يقرب منه وقال له ويلك الا تخبرني من صاحب جيشهم؟ قال هو عبد الله بن علي ، فقال مروان من ولد العباس هو قال نعم قال مروان وددت ان علي بن أبي طالب مكانه في هذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين اتقول هذا في علي بن أبي طالب « ع » وشجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها ؟ قال : نعم ان علياً مع شجاعته صاحب دين ، وان الدين غير الملك وانا نروي عن قديمنا ان لا شيء لعلي ولولده في هذا الامر — يعني الخلافة — ثم ارسل الى عبد الله سراً يقول له : يابن العم ان هذا الامر صائر اليك فاتق الله واحفظني في دمي وحرمي ، فأرسل اليه عبد الله ان لنا الحق عليك في دمك ، وان لك الحق علينا في حرمك ، ثم حرك عبدالله اصحابه للقتال ونادى مروان في اهل الشام وامر عبد الله اصحابه ان ينزلوا . ونادى الأرض الارض فنزل الناس ورمت الرماة واشرعت الرماح وجثوا على الركب ، فقال مروان لقضاعة انزلوا . قالوا ماننزل حتى تنزل كندة ، فقال لكندة انزلوا فقالوا لاننزل حتى تنزل سكاسك فقال للسكاسك انزلوا فقال لاننزل حتى تنزل بنو سليم ، فقال لبني سليم انزلوا فقالوا لاننزل حتى تنزل بني عامر ، فقال لعامر : انزلوا قالوا لا ننزل حتى تنزل بني تميم ، فقال لتميم انزلوا فقالوا لاننزل حتى تنزل بنوا اسد فقال لبني اسد انزلوا فقالوا لاننزل حتي تنزل هوازن ، فقال لهوازن

انزلوا فقالوا لاننزل حتى تـــنزل غطفان ، فقال لغطفان انزلوا وقاتلوا فقالوا لاننزل حتى تنزل الازد ، فقال للأزد انزلوا قالوا لا ننزل حتى تنزل ربيعة فقال لربيعة انزلوا ، فقالوا لاننزل حتى تنزل بنو ليث ، فقال لصاحب شرطته : ويلك احمل ، قال ماكنت لاجعل نفسي غرضاً الرماح فقال مروان اما والله لاسوءنك اليوم فقال : وددت ان الامير يقدر على اساءتي في مثل هذا اليوم ثم ان عسكر عبد الله حمل على عسكر مروان وفر عسكره ، فلحقوا مروان وقتلوه وقتلوا كلمن كان معه ، من اهل بيته وبطانته وهجموا على الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساءه فوجدوا خادماً وبيده سيفاً مشهوراً وهو يسابقهم الدخول على الكنيسة فقبضوه وسألوه من امره فقال نعم ان امير المؤمنين مروان امرني اذا قتل هوان اهجم على بناته وعياله وكل نسائه واقتلهن قبل ان يصل اليهم العدو . وهذا على زعمه انه غيرة منه على بناته وهو والله لايعرف الغيرة فكيف حال علي بن الحسين . . الخ ، ولما قتل مروان ادخلت بناته ونساؤه على

« فائدة » قال الاندلسي في العقد الفريد انه : كان اشد الناس على بني امية عبد الله بن علي ، واحناهم عليهم سليمان بن علي ، وهو الذي كان يسميه ابو مسلم كنف الامان ، وكان يجير كل من استجار به . قال ومات سليمان بن علي وعنده بضع وثمانون حرمة لبني امية !!

« فائدة » ولما اتى الكتاب للسفاح بالهزيمة صلى ركعتين . وأمر لمن شهد الوقعة بخمساءة دينار ورفع ارزاقهم الى ثمانين ، وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لاحدى عشرة ليله خلت من جمادي الاخرة سنة اثنين وثلاثين وماءة ! !

عم السفاح صالح بن علي ، فتكلمت ابنة مروان الكبرى وقالت ياعم امير المؤمنين حفظ الله من امرك ماتحب حفظه واسعدك في احوالك كلها وعمك بخواص نعمه ، وشملك بالعافية في الدنيا والآخرة ، نحن بناتك وبنات اخيك فليسعنا من عدلكم ما وسعنا من جوركم . فقال لها اولا لا نستبقي احداً لانكم قتلتم زيد بن علي ويحيى بن زيد ، ومسلم بن عقيل وقتلتم خير اهل الارض حسيناً وقتلتم اخوته واولاده وسبيتم عياله على نياق عجف ، فقالت : ياعم امير المؤمنين فليسعنا من عدلكم اذا ، قال : اما هذا فنعم واذا احببت زوجتك من ابني الفضل بن صالح ، فبكت : وقالت ياعم اميرالمؤمنين ، واين ساعة عرس ترى ونحن بالحزن وبالكدر بل تحملنا الى حران فحملهن الى حران مكرمات ، وقيل قدم النياق العجف . فقالت ابنة مروان الكبرى ياعم امير المؤمنين ماتريد ان تصنع قال : كما صنعتم ببنات رسول الله (ص) قالت يا عم امير المؤمنين اترى ذلك حسن ام قبيح ؟ قال بل قبيح ، قالت : اذا انت لاترتكب القبيح قال ودخلت احدى نساء بني امية على سليمان بن علي وهو يومئذ بالبصرة يقتلهم ويصلبهم على جذوع النخل ويسقيهم الخل والصبر والرماد ، فقالت ايها الامير ان العدل ليمل من الاكثار والاصرار فيه فكيف انت لا

« فائدة » قال ابن الاثير وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد وكان قتله ببوصير ، من اعمال مصر في كنيسة من كنائس النصارى وكان مختفياً بها لثلاث مضين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائه وعمره تسعاً وستين سنة ، قتل بعد أن نازل عسكر العباسيين ، قال الراوي : وكان قد حمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه ،

عمل من الجور وقطيعة الرحم ، فاجابها شعرا

سننتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

ثم قال يا أمة الله انتم اول من سنها بين الناس ، الم تحاربوا علياً وتدفعوه عن حقه . الم تسموا حسناً وتنقضوا شرطه ، الم تقتلوا حسيناً وتسيروا رأسه ألم تسبوا علياً على منابركم ، ثم قال لها هل من حاجة فتقضى لك . قالت نعم قبض عمالك اموالي فأمر بردها وقضى حاجتها لا قضى الله حاجته .

ومن يصنع المعروف مع غير اهله يجد جمده ذمـا عليه فيندم

ويله اما بلغه ان ام كلثوم قالت للشمر ابن ذي الجوشن لي اليك حاجة قال لها وماحاجتك يابنت علي (ع) ? قالت حاجتي اذا دخلت بنا

ـ وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه ، فسبق اليه رجل من الكوفة ، كان يبيع الرمان فاحتز رأسه وبعث به الى صالح ، فلما وصل اليه امر ان يقص لسانه فقطع لسانه ، واخذه فقال صالح : ماذا ترينا الايام من العجائب والعبر هذا لسان مروان قد اخذه هر قال الشاعر :

قد فتح الله مصر عنوة لكم واهلك الفاجر الجعدي اذ ظلما

فلاك مقوله هـر يجزره وكان ربك من ذي الكفر منتقما

قال الراوي وارسل الرأس الى أبي العباس بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي اظهرني عليك واظفرني بك ولم يبق لي ثاري قبلك وقبل رهطك اعداء الدين ثم تمثل ! !

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيض ترويني

الشام فاسلك بنا طريقاً قليلا نظاره ، وقل لحامل الرؤوس ان يخرجها من اوساط المحامل فلقد خزينا من كثرة النظر الينا ، قال الراوي فامر اللعين بعكس سؤالها وسلك بهم كثير أنظاره !

يقنعها بالسوط شمر وان شكت يؤنبها زجر ويوسعها زجرا

المطلب الخامس والاربعون

« في ترجمة عيسى بن زيد وتخفيه »

قال ابوالفرج الاصبهاني : ولد عيسى بن زيد بن علي بن الحسين «ع» في الوقت الذي اشخص فيه ابوه زيد بن علي الى هشام بن عبد الملك ، وكانت ام عيسى بن زيد معه في طريقه فنزل ديراً ووافق نزوله اياه ليلاً وضربها المخاض فولدت تلك الليلة ، فسماه ابوه عيسى باسم عيسى المسيح ، وكان على ميمنة أبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى ، واختفى بعد مقتل محمد وابراهيم ، فتوارى بالكوفة ، في دار علي بن صالح بن حي اخو الحسن بن صالح وتزوج ابنة له ، فولدت منه بنتا ماتت في حياته . وكان يقال له موتم الاشبال ، حدث ابن ابي شيبة عن ابي نعيم ، قال حدثني من شهد عيسى بن زيد ، انه لما انصرف من واقعة باخمرى ، وقد خرجت عليه لبوة معها اشبالها . فعرضت للطريق وجعلت تحمل على الناس ، فنزل عيسى فاخذ سيفه وترسه ثم تقدم اليها فقتلها فقيل له أيتمت اشبالها ياسيدي فصمد ، وقال نعم انا موتم الاشبال ، فكان يقال كذا فعل موتم الاشبال ، وكذا موتم الاشبال قال يحيى بن الحسين بن زيد : قلت لابي : يا ابه اني اشتهي ان ارى عمي عيسى بن زيد ، فانه يقبح لمثلي ان

لا يلقى مثله من اشياخه فدافعني عن ذلك مدة ، وقال ان هذا يثقل عليه ، واخشى ان ينتقل عن منزله كراهية للقائك اياه فتزعجه ، قال فلم ازل به اداريه والطف له حتى طابت نفسه لي بذلك فجهزني الى الكوفه ، وقال لي : اذا صرت اليها فاسئل عن دور بني حي فاذا دللت عليها فاقصدها في السكة الفلانية وسترى في السكة دار لها باب صفته كذا وكذا فاعرفه واجلس بعيداً منها الى اول السكة ، فانه سيقبل عليك من المغرب كهل طويل مسنون الوجه ، قد أثر السجود في جبهته عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل لا يضع قدماً ولا يرفعها الا ذكر الله عز وجل ودموعه تنحدر ، فقم وسلم عليه وعانقه . فانه سيذعر منك كما يذعر الوحش ، فعرفه نفسك وانتسب له يسكن اليك ويحدثك طويلا ، ويسألك عنا جميعاً . ويخبرك بشأنه ولا يضجر بجلوسك معه ، ولا تطل عليه وودعه فانه سوف يستعفيك من العود اليه فافعل مايأمرك به ، فانك ان عدت اليه توارى عنك واستوحش منك وانتقل عن موضعه ، وعليه في ذلك مشقة ، فقلت : افعل كما امرتني . ثم جهزني الى الكوفة وودعته وخرجت ، فلما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر ، وجلست خارجها بعد ان عرفت الباب الذي نعته لي فلما غربت الشمس اذا انا به قد اقبل يسوق الجمل وهو كما وصفه لي ابي لا يرفع قدماً ولا يضعها الا حرك شفتيه بذكر الله عز وجل ودموعه ترقرق في عينيه وتذرف أحياناً فقمت اليه وعانقته فذعر مني كما يذعر الوحش من الانس فقلت ياعم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن اخيك ، فضمني اليه وبكى حتى قلت قد جاءت نفسه ثم اناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن اهله

رجلا رجلا وامرأة امرأة وصبياً صبياً وانا اشرح له اخبارهم وهو يبكي قال : يابني استقي على هذا الجمل الماء فاصرف ما اكتسب يعني من اجرة الجمل الى صاحبه واتقوت باقيه ، وربما عاقني عن استقاء الماء فاخرج الى البرية يعني بظهر الكوفة فالتقط مايرمي الناس من البقول فاتقوت به ، وتزوجت ابنته وهو لايعلم من انا الى وقتي هذا فولدت مني بنتاً فنشأت وبلغت وهي لاتعرفني ايضاً ولا تدري من انا فقالت لي امها زوج ابنتك بابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يسقي الماء فانه ايسر حالاً منا وقد خطبها والحت علي فلم اقدر على اخبارهم بان ذلك غير جائز ولا هو بكفوء لها فيشيع خبري وجعلت تلح علي فلم ازل استكفي الله امرها . حتى ماتت بعد ايام فما احد آسى على شيء من الدنيا آساي على انها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله (ص) ثم اقسم على ان انصرف ولا اعود اليه وودعني فلما كان بعد ذلك صرت الى الموضع الذي انتظره فيه فلم أره وكان هذا آخر عهدي به ولما طالب تخفيه وتواريه ، امر المهدي العباسي ان ينادى في الكوفة بالامان لعيسى فسمع منادياً ينادي ليبلغ الشاهد الغائب ان عيسى بن زيد آمن في ظهوره وتواريه فرأى عندئذ عيسى بن زيد الحسن بن صالح ، وقد ظهر فيه سرور بذلك فقال له : كأنك قد سررت بما سمعت؟ فقال نعم . قال له عيسى والله لاخافتي اياهم ساعة واحدة احب الي من كذا وكذا ، وحدث يعقوب بن داوود ، قال : دخلت مع المهدي في قبة في بعض الخانات في طريق خراسان ، فاذا حايطها عليه اسطر مكتوب فدنا ودنوت منه فاذا هي هذه الابيات :

والله ماطعم طعم الرقاد خوفاً اذا نامت عيون العباد

شردني اهـــل اعتداء وما اذنبت ذنباً غير ذكر المعاد
آمنت بالله ولم يـؤمنوا فـكان زادي عندهم شرزاد
أقول قولا قاله خائف مطرود قلبي كثير السهاد
منخرق الخفين يشكو الوجا تنكبه اطراف مرو حداد
شرده الخوف فازوى بـــه كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان فى الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

قال يعقوب ابن داوود : فجعل المهدي يكتب تحت كل بيت لك الامان من الله ومني فاظهر متى شئت حتى كتب ذلك تحتها أجمع فالتفت فاذا هو دموعه تجري على خديه فقلت له من ترى قائـــل هذا الشعر ياأمير المؤمنين ؟ قال : أتتجاهل علي من عسى قائل هذا الشعر الى عيسى بن زيد ، وذكر ابو الفرج ان المنصور طلب عيسى طلباً ليس بالحثيث وطلبه المهدي وجد في طلبه حينا فلم يقدر عليه ، فنادى بامانه ليبلغه فيظهر فبلغه فلم يظهر وبلغه ان له دعاة ثلاثة ، وهم ابن علاق الصيرفي ، وحاضر مولى لهم ، وصباح الزعفراني فظفر المهدي بحاضر فحبسه وعزره ورفق به واشتد عليه ليعرفه موضع عيسى فلم يفعله فقتله ، ومكث طول حياة عيسى يطلب صباحا وابن علاق ، فلم يظفر بهما حتى اذا مات عيسى عليه الرحمة ، قال صباح للحسن بن صالح : اما ترى هذا العذاب والجهد الذي نحن فيه بغير معنى ، قد مات عيسى بن زيد ومضى لسبيله ، وانما نطلب خوفاً منه واذا علم انه قد مات آمننا فدعني اتي هذا الرجل يعني المهدي واخبره بوفاته حتى نتخلص من طلبه لنا فقال : لا والله لا نبشر عدو الله بموت ولي الله وابن نبي الله ولا تقر عينه فيه ، ونشمته فو الله ان ليلة ابيتها

خائفاً منه احب الي من جهاد السنة وعبادة بها ، قال ابو الفرج . ومات الحسن بن صالح بعد وفاة عيسى بشهرين قال صباح الزعفراني ولما مات الحسن بن صالح اخذت احمد بن عيسى واخاه زيداً وجئت بهما الى بغداد فجعلتهما في موضع أثق به عليهما ثم لبست اطماراً وجئت الى دار المهدي ، فسألت عن الربيع وادخلت عليه وسألني فقلت له ان عندي بشارة تسر الخليفة وبعد السؤالات الكثيرة استأذن لي على المهدي فاذن لي وادخلت عليه فقال : انت صباح الزعفراني قلت : نعم قال فلا حياك الله ولا بياك ولا قرب دارك ياعدو الله انت الساعي على دولتي والداعي الى اعدائي ثم تجيئني الآن ؟ فقلت : اني جئتك مبشراً ومعزياً قال مبشراً بماذا ومعزيا بماذا قلت اما البشرى فبوفاة عيسى بن زيد واما التعزية فبه لانه ابن عمك ولحمك ودمك قال : فحول وجهه الى المحراب وسجد ثم التفت الي وقال الي منذ كم مات ؟ قلت منذ شهرين قال افلم تخبرني بوفاته الى الآن قلت منعني الحسن بن صالح فقال وما فعل الحسن ؟ قلت مات ولولا ذلك ماوصل اليك الخبر فسجد سجدة اخرى وقال الحمد لله الذي كفاني امره فلقد كان اشد الناس علي ولعله لوعاش لأخرج علي غير عيسى قال ثم التفت الي وقال لي سل حاجتك قلت والله لا اسألك شيئاً الى حاجة واحدة قال: وماهي قلت ولد عيسى بن زيد والله لو كنت املك ما اعولهم به ماسألتك في امرهم ولا جئتك بهم اطفال يموتون جوعاً وضرا وليس لهم الآن من يكفلهم غيري وانا عاجز عن ذلك وهم عندي في ضنك وانت اولى الناس بصيانتهم واحق بحمل ثقلهم ، فهم لحمك ودمك وايتامك واهلك قال : فبكى حتى جرت دموعه ثم قال اذا يكونون والله عندي بمنزلة ولدي

لااوثر عليهم احداً قال فجئت بهما اليه فلما نظر اليهما جعل يبكي رقة لهما وليتمهما .

فهذا المهدي لما نظر الى ولدي عيسى بن زيد وهما صبيين بكى رقة لهما وليتمهما . اقول لعن الله اهل الكوفة فانهم مارقوا لايتام الحسين «ع» قالت سكينة كلما دمعت من احدنا عين قرعوا رأسها بالرمح :

واذا حن في السبايا يتيم　　جاوبته أرامل ويتامى

المطلب السادس والاربعون

في ترجمة يحيى بن زيد ومقتله «ع»

ذكر دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التائية قبور الأئمة واولادهم عليهم السلام ، فمن تلك القبور قبر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين «ع» قال فيه

واخرى بارض الجوزجان محلها　　واخرى بباخمرا لدى الغربات

فالذي في الجوزجان (١) هو قبر يحيى بن زيد «ع» الذي خرج في زمن الوليد بن يزيد الاموي عليه اللعنة .

ذكر ابو الفرج الاصبهاني في كتابه مقاتل الطالبيين قال : لما قتل زيد بن علي بن الحسين «ع» ودفنه ابنه يحيى ، رجع يحيى واقام بجانبه السبيع وتفرق الناس عنه فلم يبق معه الى عشرة نفر وقد خرج بهم بعد ذلك الى نينوى ثم من نينوى الى المدائن وهي اذ ذاك طريق الناس الى خراسان

«١» الجوزجان اسم كورة واسعة من كور بلخ واقعة بين مرو الروذ وبلخ ، ويقال لقصبتها اليهودية .

ولما بلغ ذلك يوسف بن عمر وسرح في طلبه ابن ابي الجهم الكلبي فورد المدائن وقد فاته يحيى ومضى حتى اتى الى الري ثم الى سرخس . ثم خرج منها وسار الى بلخ ونزل على الجريش بن عبد الرحمن الشيباني فلم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبد الملك وولي بن يزيد لعنه الله وكتب يوسف بن عمرو الى نصر بن سيار ، وهو عامل على خراسان يقول في الكتاب ابعث الى الجريش حتى يأخذ يحيى بن زيد اشد الاخذ فبعث نصر الى عقيل بن معقل الليثي وهو عامل على بلخ ان يأخذ الجريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه اويأتيه بيحيى بن زيد فدعا به وضربه ستماءة سوط ، وقال : والله لازهقن نفسك اوتأتيني به فقال : والله لوكان تحت قدمي مارفعتها عنه فاصنع ما انت صانع فوثب قريش بن الجريش وقال لعقيل لاتقتل ابي وانا اتيك بيحيى ! فوجه جماعة فدلهم عليه وهو في بيت في جوف بيت فاخذ عقيل الى نصر بن سيار فحبسه وقيده وجعله في سلسلة من حديد وكتب الى يوسف بن عمر فاخبره بخبره وقال عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر يهجوا بني ليث ويذكر ماصنع بيحيى بن زيد !

أليس بعين الله ما تفعلونه   عشية يحيى موثق بالسلاسل
الم تر ليثاً ما الذي حتمت به   لهـــا الويل في سلطانها المتزايل
لقد كشفت للناس ليث عن استها   اخيراً وصارت ضحكة في القبائل
كلاب عوت لا قدس الله امرها   فجائت بصيد لا يحل لأ كل

قال ابو الفرج : وكتب يوسف بن عمرو الى الوليد (لع) يعلمه بذلك فكتب اليه يأمره ان يؤمنه ويخلي سبيله ، وسبيل اصحابه ، فكتب يوسف بذلك الى نصر بن سيار فدعا به نصر وكلمه وحذره الفتنة ، فقال

له يحيى : وهل في امة محمد فتنة اعظم مما انتم فيه ، من سفك الدماء واخذ مالستم له باهل ؟ فلم يجبه نصر بشيء ، وأمر له بالفي درهم ونعلين بعد ان فصم السلاسل منه ، قال الراوي : ولما اطلق يحيى بن زيد وفك حديده صار جماعة من مياسير الشيعة الى الحداد الذي فك قيده من رجله فسألوه ان يبيعهم الحديد ، قال وتنافسوا وتزايدوا حتى بلغ عشرين الف درهم ، فخاف الحداد ان يشيع خبره فيؤخذ منه المال ، فقال لهم اجمعوا ثمنه بينكم فرضوا بذلك واعطوه المال فقطعه قطعة قطعة ، وقسم بينهم فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبركون به ، وخرج يحيى الى ابرشهر ؛ وقد اجتمع عنده اصحابه وهم سبعون رجلًا ، وكان بابر شهر عمرو بن زرارة فاعطى

(فائدة) كان مقتل يحيى بن زيد (ع) سنة خمس وعشرين وماءة وقبره الآن مشيد يزار .

« فائدة » قال المسعودي في مروج الذهب اظهر اهل خراسان النياحة على يحيي سبعة ايام في سائر اعمالها ، وما ولد في تلك السنة بخراسان مولود الا وسمي بيحيى .

« فائدة » يحيي بن زيد امه ريطة بنت ابي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، واياه عنى ابو نميلة الابار بقوله :

فلعل راحم ام موسى والذي   نجاه من لجج خضم مزبد
سيسر ريطة بعد حزن فؤادها   يحيي ويحيي في الكتاب مرتدي

« فائدة » لما جيء برأس يحيي الى المدينة ادخل على امه ريطة فقالت حينا نظرت اليه . شردتموه عني طويلا واهديتموه الي قتيلا فصلوات الله عليه بكرة واصيلا .

يحيى الف درهم نفقة له ، ثم اشخصه الى بيهق ، قال المسعودي : ولما رأى يحيى المنكر والظلم وما عم الناس من الجور اقبل يحيي من بيهق وهي اقصى عمل خراسان في سبعين رجلاً راجعاً الى عمرو بن زرارة ، فبلغ نصر ابن سيار ذلك فكتب الى عبـــد الله بن قيس بن عباد البكري عامله بسرخس والحسن بن زيد عامله بطوس ان يمضيا الى عمرو بن زرارة وهو عامله على ابر شهر وهو امير عليهم ، يقاتلون يحيي بن زيد ، قال الراوي فاقبلوا الى يحيي فاجتمعوا عليه حتى صاروا زهاء عشرة آلاف وخرج يحيي ابن زيد وما معه الا سبعين فارساً ، فقاتلهم يحيي فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره واصاب منه دوابا كثيرة . ثم اقبل حتى مر بهرات وعليها المغلس بن زياد ، فلم يتعرض احد منهما لصاحبه وسار حتى نزل بارض الجوزجان ، فاسرع اليه نصر بن سيار وسلم بن حور في ثمانية الف فارس من اهل الشام وغيرهم ، فلحقه بقرية يقال لها ــ ارغوي ــ وعلى الجوزجان يومئذ حماد بن عمرو السعيدي . ولحق بيحيي بن زيد ابو العجارم الحنفي ، والحشخاش الازدي (١) قال الراوي وعبأ سلم جيشه وعبأ يحيي جيشه واقتتل الفريقان ودام القتال ثلاثة ايام بلياليها اشد قتال حتى قتل اصحاب يحيى كلهم وكان يحيي في ذلك اليوم يتمثل بقول الخنساء :

نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة اوفى لها

قال الراوي : فكان يقاتل ويجالد اعداءه في ذلك اليوم . قالت واتت يحيي نشابة في جبهته فخر الى الارض قتيلا ، وجاء اليه بعد ذلك

(١) الحشخاش الازدي هو الذي اخذ نصر بن سيار بعد ذلك فقطع يديه ورجليه وقتله .

سورة بن محمد فوجده قتيلا فاحتز رأسه وبعثوا برأســـه الى الشام الى الوليد بن يزيد ، واخذ الذي رماه بالسهم سلبه وقميصه (١) وصلب يحيي ابن زيد على باب مدينة الجوزجان ، حتى جاءت المسودة مع ابي مسلم الخراساني فانزلوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ودفنوه ، واراد ان يتبع قتلة يحيى فقيل له عليك بالديون فوضعه بين يديه . وكان اذا مر به اسم رجل ممن اعان على يحيي قتله ، حتى لم يدع احداً قدر عليه ممن شهد قتله الا قتله فـكان اهل البيت كما قال الشاعر :

هذا قضى قتلا وذاك مغيبا خوف العدو وذا قضى مسموما

المطلب السابع والاربعون

« في ترجمة محمد ذي النفس الزكية (ع) »

قال ارباب التاريخ ولد محمد ذي النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن بن عـــلي « ع » سنة ماءة ، وذكر ابو الفرج الاصبهاني : قال ولد محمد بن عبد الله وبين كتفيه خال اسود كهيئة البيضة عظما ، فقال فيه الشاعر :

فان الذي يروى الرواة لبين اذا ماابن عبدالله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره وفيه علامات من البر والهدى

وكان يقال له صريح قريش ، ويقال له المهدي وقال ابو الفرج الاصبهاني

«٢» وهذان اعني سورة بن محمد الذي قطع رأس يحيي والغزي الذي رماه بالسهم وقتـــله وسلب قميصه اخذهما بعد ذلك ابو مسلم الخراساني وقطع ايديها وارجلها وصلبها .

في المقاتل : كان محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب «ع» افضل اهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له وفقهه في الدين وفي شجاعته وجوده وبأسه وكل امر يجمل بمثله ، قال ابو الفرج : حدث عمير بن الفضل الخثعمي : قال رأيت ابا جعفر المنصور يوماً ، وقد خرج محمد بن الله بن الحسن من دار ابنه ، وله فرس واقف على الباب مع عبدله اسودوابو جعفر معه فاخذ بردائه حتى ركب ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمدفقلت وكنت حينئذ اعرفه ولا اعرف محمداً من هذا الذي اعظمته هذ الاعظام حتى اخذت بركابه وسويت عليه ثيابه ؟ قال اوما تعرفه قلت لا قال : هذا محمد بن عبد الله بن الحسن مهدينا اهل البيت ، قال يعقوب بن عربي : سمعت اباجعفر المنصور يقول في ايام بني امية وهو في نفر من بني امية يقول مافي آل محمد اعلم بدين الله ولا احق بولاية الامر من محمد بن عبد الله ، وبايـــع له وكان يعرفني بصحبته والخروج معه قال يعقوب وحبسني بعد مقتل محمد بضع عشرة سنة وهو الذي بايع له رجال من بني هاشم من آل ابي طالب «ع» وآل العباس وسائر بني هاشم وقد بايعوا له بالابواء (١) مرة وبالمدينة مرة ثانية ! قال ابو الفرج : ثم ان بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال يابني هاشم انكم اهل البيت قد فضلكم الله بالرساله واختاركم لها واكثركم بركة يا ذرية محمد «ص» وبنوا عمه وعترته واولى الناس بالفزع في امر الله من وضعه الله موضعكم من نبيه «ص» وقد ترون كتاب الله معطلا وسنة نبيه

«١» الابواء موضع بين مكة والمدينة ، ولد فيه الامام موسى بن جعفر «ع» .

متروكة والباطل حيا والحق ميتاً قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو اهله قبل ان ينزع منكم امركم ويهونوا عليه كما هانت بنوا اسرائيل وكانوا احب خلقه اليه وقد علمتم انا لم نزل نسمع ان هؤلاء القوم اذا قتل بعضهم بعضا خرج الامر من ايديهم فقد قتلوا صاحبهم يعني الوليد بن يزيد ، فهلم نبايع محمداً فقد علمتم انه المهدي فقالوا لم يجتمع اصحابنا بعد ولو اجتمعوا فعلنا ولسنا نرى ابا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، قال الراوي : وارسل اليه عبدالله فابى ان يأتي فقام وقال انا آتي به الساعة فخرج بنفسه حتى اتى الصادق «ع» فدعاه وجاء معه الى المحل الذي اجتمع به الهاشميون ، واوسع له عبد الله الى جانبه ثم قال له قد علمت ماصنع بنا بنو امية وقد رأينا ان نبايع لهذا الفتى . فقال لاتفعلوا فان الامر لم يأت بعد فغضب عبد الله وقال : لقد علمت خلاف ماتقول : ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابني فقال الصادق «ع» لا والله ماذاك يحملني ولكن هذا واخوته وابناءهم دونكم وضرب يده على ظهر ابي السفاح ، قال ثم نهض فلحقه عبد الصمد وابو جعفر المنصور ، وقالا ياابا عبد الله أتقول ذلك ؟ قال نعم والله اقوله واعلمه ثم التفت الى عبد الله وقال والله ماهي اليك ولا الى ابنيك ولكنها لهؤلاء وان ابنيك لمقتولان «١» قال وتفرق المجلس ولم يجتمعوا بعدها ، وروى عن عبد الله بن جعفر بن المسور في حديثه قال وخرج في ذلك اليوم جعفر الصادق يتوكأ على يدي ، فقال لي ارأيت صاحب الرداء الاصفر ؟ يعني ابا جعفر المنصور ، قلت نعم ، قال فانا نجده يقتل محمد قلت اويقتل محمداً قال نعم فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة قال : ثم

«١» وهذه من مغيبات الامام الصادق «ع» .

ما خرجت والله من الدنيا حتى رأيته قتله ، وعن ابن داحه ان جعفر بن محمد «ع» قال : لعبد الله بن الحسن ان هذا الامر والله ليس لك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا يعني السفاح ، ثم لهذا يعني المنصور ثم لولده من بعده لايزال فيهم حتى يوامروا الصبيان ويشاوروا النساء ، فقال عبد الله والله ياجعفر مااطلعك الله على غيبه ، وما قلت هذا الا حسداً لابني فقال لا والله ماحسدت ابنك وان هذا يعني ابا جعفر يقتله على احجار الزيت ثم يقتل اخاه ابراهيم بعده بالطفوف ، وقوائم فرسه في الماء ، قال ثم قام مغضباً يجر رداءه فتبعه ابو جعفر المنصور فقال له اتدري ماقلت ياابا عبد الله ؟ قال اي والله ادريه وانه لكائن . قال الراوي : حدث من سمع من ابي جعفر المنصور . انه لما انصرفت صرت لوقتي فرتبت عمالي وميزت اموري تميز مالك لها قال لي فلما ولي ابو جعفر الخلافة سمي جعفر الصادق «ع» وكان اذا ذكره يقول : قال لي الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا وكان المنصور يتربص بامامنا الصادق الدوائر حتى أشخصه من المدينة الى بغداد مرتين ، وفي المرة الثانية اوقفه بين يديه حافياً حاسراً وكان الامام قد جاوز السبعين سنة حتى صار يراوح برجليه يرفع اليمنى ويضع اليسرى ، ويضع اليمنى ويرفع اليسرى حتى رفع اليه رأسه وكلمه بكلام لايطيق اللسان تردده فكان مما قال له : تكتب الى اهل خراسان وتدعوهم الى نفسك والامام يعتذر له من ذلك . قال الراوي ثم ان المنصور مد يده تحت الفراش واخرج كتباً الى الصادق « ع » فنظر اليها وقال والله يابن العم ليست هذه كتبي ولا هذا خطي ولا هذا توقيعي صيرني الى بعض حبوسك حتى يأتيني الموت فانه مني قريب ، واقسم بالله ما كان وقوف

الصادق «ع» هذا بين يدي المنصور الدوانيقي . الا فرع من وقوف جده السجاد بين يدي يزيد بن معاوية غير ان هناك فرق عظيم الصادق وقف يدي المنصور وحده ولكن جده السجاد وقف بين يدي يزيد بن معاوية ومعه عماته واخواته :

فهن على اكفائهن نوائح   كما هتفت فوق الغصون الوراشن

المطلب الثامن والاربعون

« في مقتل محمد ذي النفس الزكية «ع» »

لما تولى المنصور الدوانيقي الخلافة ولزم ازمة الامور ، صار يطلب العلويين وكان اشد الطلب على محمد وابراهيم ابني عبد الله المحض فلما اشتد الطلب بمحمد خرج قبل وقته الذي أوعد اخاه ابراهيم على الخروج فيه ، وقيل بل خرج محمد لميعاده مع اخيه وانما اخوه ابراهيم تأخر وكان محمد بالمذار وقد بلغ رياح والي المدينة ان محمداً يريد الخروج فارسل على جماعة من بني الحسن فحبسهم فبينما هم عنـــده اذ سمعوا التكبير وقد ظهر محمد واقبل من المذار الى المدينة في ماءة وخمسين رجلا فاتى بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة وقصد السجن فكسر بابه واخرج من فيه ، واتى دار الامارة وهو يقول لاصحابه لاتقتلوا الا ان يقتلوا فامتنع منهم رياح والي المدينة .فدخلوا من باب المقصورة واخذوا رياحاً أسيراً ثم خرج محمد الى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس واستمالهم ، واستولى محمد على المدينة ، قال الراوي : وسار رجل من بني عامر الى المنصور مجداً حتى وصل اليه بعد تسعة ايام فوصله ليلا واستأذن عليه ودخل . فقال له يا أمير المؤمنين

خرج محمد بن عبد الله بالمدينة قال : انت رأيته وعاينته ؟ قال انا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله «ص» جالساً وتواترت الاخبار بذلك فقال المنصور لابي ايوب وعبد الملك من رجل تعرفانه بالرأي يجمع رأيه الينا قالا بالكوفة بديل بن يحيى وكان السفاح يشاوره فارسل اليه وقال له : ان محمداً قد ظهر بالمدينة . قال فاشحن الاهواز بالجنود ، قال انه قد ظهر بالمدينة قال قد فهمت وانما الاهواز الباب الذي تؤتون منه ، قال الراوي : ودعا المنصور ابن اخيه عيسى بن موسى وامره بالمسير الى المدينة لقتال محمد وسير معه الجنود حتى اذا قرب من المدينة بلغ محمداً ذلك . فاستشار اصحابه بالخروج من المدينة أو المقام بها فاستشار بعضهم بالخروج عنها واشار بعضهم بالمقام بها لقول رسول الله «ص» رأيتني في درع حصينة فاولتها المدينة فاقام بها ثم استشار اصحابه في حفر خندق رسول الله «ص» فاشار بعضهم بتركه فقال محمد : انما اتبعنا في الخندق اثر رسول الله «ص» فلا يردني احد عنه فلست بتاركه ، وامر به فحفر وبدأ هو فحفر بنفسه الخندق الذي حفره رسول الله «ص» للأحزاب قال وسار عيسى حتى نزل الاعوص ، وكان محمد قد جمع الناس واخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون . قال وارسل عيسى الى محمد يخبره ان المنصور قد أمنه واهله فاعاد الجواب ، ياهذا ان لك برسول الله «ص» قرابة قريبة وادعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته واحذرك نقمته وعذابه . واني والله مالنا منصرف عن هذا الامر حتى القى الله عليه واياك ان يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل اوتقتله فيكون اعظم لوزرك فلما بلغته الرسالة قال عيسى ليس بيننا وبينه الا قتال وقال محمد للرسول عـــلام

تقتلونني وانما انا رجل فرمن ان يقتل قال القوم يدعونك الى الامان فان ابيت الا قتالهم قاتلوك ، قال الراوي : وجاء عيسى بجيشه ونزل بالجرف ثم وقف على سلع فنظر الى المدينـــة ومن فيها فنادى : ياأهل المدينة ان الله حرم دماء بعضنا على بعض فهلموا الى الامان ، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، خلوا بيننا وبين صاحبنا . فاما لنا واما له : فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة واخلى ناحية مسجد ابي الجراح ، قال ونشبت الحرب بينهم ، وبرز محمد في اصحابه ، قال الراوي : وقاتل محمد يومئذ قتالاً عظيما فقتل بيده سبعين رجلا ، وامر عيسى حميد بن قحطبة فتقدم في ماءة كلهم راجل سواه ، فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندق عليه ناس من اصحاب محمد ، فهدم حميد الحائط وانتهى الى الخندق ونصب عليه ابواباً ، وعبر هو واصحابه فالقوا الحقائب ، وغيرهـــا في الخندق وجعل الابواب عليها وجازت الخيل فاقتتلو اصحاب محمد قتالاً شديداً ، قال : وانصرف محمد قبل الظهر فاغتسل وتحنط ، ثم رجع فقال له عبدالله بن جعفر بابي انت وامي والله مالك بما ترى طاقة فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة فان معه جل اصحابك فقال : لو خرجت لقتل اهل المدينة والله لاارجع حتى اقتل او اقتل وانت مني في سعة فاذهب حيث شئت فمشى معه قليلا ثم رجع عنه جل اصحابه فلم يبق معه الا ثلثماءة او يزيدون قليلا قال الراوي : والتفت الى بقية اصحابه وقال لهم نحن اليوم بعدة

(١) سلع جبل في المدينة المنورة .

أهل بدر قال وصلى محمد الظهر ، والعصر ، ثم تقدم وقد عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دوابهم ، ولم يبق احد الا كسر جفن سيفه ودعا محمد في ذلك اليوم حميد بن قحطبة . وقال له : ياحميد بن قحطبة ابرز الي فانا محمد بن عبد الله ، فقال حميد قد عرفتك وانت الشريف بن الشريف الكريم ابن الكريم ، لا والله لا ابرز اليك وبين يدي من هؤلاء الاغمار احد ، فاذا فرغت منهم فسأبرز اليك وكان محمد اذا حمل هد الناس هدا وكان اشبه الناس بقتال حمزة ، فبينما هو يقاتل اذ رماه احدهم بسهم فوقف الى جدار ، فتحاماه الناس ، فلما وجد الموت تحامل على سيفه فكسره وطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه ، ونزل اليه واحتز رأسه ، وجاء به الى عيسى ، فلما اتى عيسى برأس محمد ، قال لاصحابه : ما تقولون فيه فوقعوا فيه ، فقال بعضهم : كذبتم مالهذا قاتلناه ، ولكنه خالف امير المؤمنين وشق عصى المسلمين ، وان كان لصواماً قواماً فسكتوا ، قال : وارسل عيسى الرأس الى المنصور فأمر به فطيف به بالكوفة ، وسيره الى الآفاق قال ابن الاثير : ولما قتل محمد أخذ عيسى

« فائدة » ذكر ابن الاثير في تاريخه وغيره ان محمد بن عبد الله لما قتل وبلغ اخاه ابراهيم قتله يومئذ قد ظهر بالبصرة وتابعه الناس وكان ذلك اليوم يوم العيد فخرج الى الصلوة بالناس ونعاه على المنبر واظهر الجزع عليه وتمثل قائلا :

ابا المنازل ياخير الفوارس من — يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم اني لو خشيتهم — واوجس القلب من خوف لهم جزعا
لم يقتلوه ولم اسلم اخي احداً — حتى نموت جميعاً او نعيش معا

بني موسى اصحاب محمد وصلبهم مابين ثنية الوداع ، الى دار عمر بن العزيز صفين وبقي محمد مصلوباً ثلاثاً «١» قال الراوي · وارسلت زينب بنت عبد الله اخت محمد وابنته فاطمة الى عيسى انكم قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه فلو اذنتم لنا في دفنه فاذن لها فدفن بالبقيع ، وصاحت زينب بنت علي يوم عاشوراء بعمر بن سعد يابن سعد أيقتل ابو عبد الله الحسين وانت تنظر اليه ، ثم صاحت : ياقوم ، اما فيكم مسلم يدفن هذا الغريب ، اما فيكم موحد يواري هذا العاري السليب .

عريان يكسوه الصعيد ملابسا ... افديه مسلوب اللباس مسربلا
ولصدره تطأ الخيول وطالما ... بسريره جبريل كان موكلا

المطلب التاسع والاربعون

« في ترجمة ابراهيم ومقتله « ع »

كان ابراهيم بن عبد الله المحض ، عالماً عارفاً فقيهاً شاعراً شجاعاً مقداماً أيداً ـ اي قوياً ـ قال ابو الفرج : بحذف السند ان محمداً وابراهيم كانا عند ابيهما فوردت ابل لمحمد فيها ناقة شرود ، لايرد راسها شيء ، فجعل ابراهيم يحد النظر اليها ، فقال له محمد كان نفسك تحدثك انك رادها قال نعم ، قال فان فعلت فهي لك ، فوثب ابراهيم فجعل يتغير لها ، ويتستر بالابل حتى اذا مكنته هايجها ، واخذ بذنبها فاحتملت وادبرت .

«١» كان قتل محمد واصحابه يوم الاثنين بعد العصر لاربع عشر خلت من شهر رمضان .

تمخض بذنبها حتى غاب عن ابيه فاقبل على محمد ، فقال : قد عرضت اخاك للهلكة فمكث قليلا ، ثم جاء مشتملا بازار حتى وقف عليها !

فقال محمد كيف رأيت ، زعمت انك وادها وحابسها ، فالقى ابراهيم ذنبها وقد انقطع في يده ، فقال · ما اعذر من جاء بهذا !

قال ابن الاثير في تاريخه كان ظهور محمد وابراهيم ابني عبد الله المحض بعد ان كان لايقر لهما قرار من شدة الطلب حتى حكت جارية لابراهيم انه لم تقرهم ارض خمس سنين ، مرة بفارس ومرة بكرمان ومرة بالجبل ومرة بالحجاز ، ومرة باليمن ، ومرة بالشام ، وربما كان ابراهيم يدخل جيش المنصور متخفياً ويجلس على مائدته ـ ، وهم لايعرفونه ـ وجاء مرة الى بغداد ودخل عسكر المنصور ، وكانت له مرآة ينظر فيها عدوه من صديقه فنظر فيها فقال : يامسيب قد رأيت ابراهيم في عسكري وما في الارض اعدى لي منه ، فانظر اي رجل يكون ، فقدم البصرة واجتمع عليه اهلها . وكان ذلك سنة خمس واربعين وماءة بعد ظهور اخيه محمد بالمدينة ، دعا الناس الى بيعة اخيه محمد فبايعه العلماء والوجهاء وسائر اهل البصرة حتى بلغ ديوانه اربعة آلاف وشهد امره ، فقالوا له لو تحولت الى وسط البصرة اتاك الناس وهم مستريحون فتحول فنزل في دار ابي مروان مولى بني سليم وكان الوالي على البصرة يومئذ من قبل المنصور سفيان بن معاوية وقد مالا على امره وقام ابراهيم بامره في اول شهر رمضان سنة خمس واربعين وماءة فصلى بالناس صلاة الصبح في الجامـــع وقصد دار الامارة وبها سفيان متحصناً في جماعة فحضره وطلب سفيان منه الامان فامنه ابراهيم ودخل الدار ففرشوا له حصيراً فهبت الريح فقلبته قبل ان

يجلس ، فتطير الناس بذلك فقال ابراهيم انا لا نتطير وجلس عليه مقلوبا وحبس القواد ، وسفيان بن معاوية في القصر وقيده بقيد خفيف ليعلم المنصور انه محبوس قال : وبلغ جعفراً ومحمداً ابني سليمان بن علي ظهور ابراهيم فأتيا في ستماءة رجل اليهما فارسل اليهما ابراهيم خمسين رجلا من اصحابه فهزمهما ونادى منادي ابراهيم الا لا يتبع مهزوم ولا يقذى على جريح ولما استقرت له البصرة ارسل عماله الى الاهواز والى اصطخر والى واسط ولم يزل ابراهيم في البصرة يفرق الجيوش والعمال حتى اتاه نعي اخيه محمد قبل عيد الفطر فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار فصلى بهم واخبرهم بقتل محمد فازدادوا في قتال المنصور بصيرة ، واصبح من الغد فعسكر واستخلف على البصرة غيلة وخلف ابنه حسناً معه وسار من البصرة متوجهاً الى الكوفة ، ولما بلغ المنصور ظهور ابراهيم في قلة من العسكر فقال : والله ما ادري كيف اصنع مافي عسكري الا الفا رجل والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون الفاً ثم كتب الى عيسى بن موسى يأمره بالعودة مسرعاً فاتاه الكتاب وقد احرم بعمرة فتركها وعاد اليه فوجهه الى حرب ابراهيم وفي ذلك الحين اهديت امرأتان الى المنصدر من المدينة ، فلم ينظر اليهما ، فقيل له في ذلك انهما قد ساءت ظنونهما فقال : ليست هذه ايام نساء ولا سبيل اليهما ، حتى انظر الى رأس ابراهيم لي اوراسي له ، قال الراوي وواصل ابراهيم سيره حتى نزل باخمرا وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً فنزل مقابل عيسى بن موسى وتصافوا فصف ابراهيم اصحابه صفاً واحداً واقتتل الناس قتالا شديداً وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى يناشدهم

الله والطاعة فلا يلوون عليه فاقبل حميد منهزماً فقال له عيسى : الله الله والطاعة ، فقال : لاطاعة في الهزيمة ، ومر الناس فلم يبق مع عيسى الا نفر يسير ، وجاء جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي من ظهور اصحاب ابراهيم . ولا يشعر بهما باقي اصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم فرأى القتال من ورائهم فعطفوا نحوه ورجع اصحابه الذين يتبعون المنهزمين ورجع اصحاب المنصور يتبعونهم ، فكانت الهزيمة على اصحاب ابراهيم فلولا جعفر ومحمد لتمت الهزيمة لحميد قال الراوي : وفر اصحاب ابراهيم وثبت ابراهيم في نفر من اصحابه يبلغون ستماءة وقيل اربعماءة : وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤوس الى عيسى وجاء ابراهيم سهم غائر فوقع في حلقه فنحره فتنحى عن موقفه وقال انزلوني فانزلوه عن مركبه وهو يقول (وكان امر الله قدراً مقدورا) اردنا امراً واراد الله غيره ، واجتمع عليه اصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه فقال حميد بن قحطبة لاصحابه : شدوا على تلك الجماعه حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا مااجتمعوا عليه فشدوا عليهم فقاتلوهم اشد قتالاً حتى أفرجوا عن ابراهيم ووصلوا اليه وحزوا رأسه فاتوا به عيسى فاراه ابن ابي الكرام الجعفري ، فقال : نعم هذا رأسه فنزل عيسى الى الارض وسجد ، ولما بلغ المنصور خبر قتل ابراهيم «ع» تمثل قائلًا :

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

قال الراوي : وارسل عيسى رأس ابراهيم الى المنصور بالكوفة فقال المنصور : احملوه الى من في السجن من قومه وكان في السجن

ابو عبد الله بن الحسن بن الحسن وستة من اهله «١» فجاء به الربيع اليهم فوضع الرأس بين ايديهم فاخذه احدهم ووضعه في حجره وقال: اهلا وسهلا ياابا القاسم ، والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ماامر الله به ان يوصل ويخشون ربهم » «٢» الى آخر الآية .

فقال الربيع كيف ابو القاسم في نفسه قال احدهم : هو كما قال الشاعر :

فتى كان تحميه عن الضيم نفسه ويكفيه من دار الهوان اجتنابها

فكأنما القم الربيع بحجر فليته حضر حين جاؤا برأس الحسين الى يزيد ليلقم يزيد بن معاوية بحجر وذلك لما ادخلوا رأس الحسين «ع» على يزيد واخذه بيده وجاء به الى الرباب وقال : أتعرفين هذا الرأس فبكت وكأن لسان حالها يقول :

«١» قال ارباب السير حج المنصور سنة مائة واربع واربعين وقبض على عبد الله بن الحسن ومعه ستة من ابناء الحسن واخفاده وسيرهم الى العراق ومر المنصور بالربذة وهم على المحامل المكشفة فصاح به عبد الله بن الحسن : ياابا جعفر ، ماهكذا فعلنا بكم يوم بدر يشير الى جدهم العباس بن عبد المطلب «ع» فجاء بهم الى الكوفة وحبسهم بالهاشمية في طامورة تحت الارض حتى ماتوا ومواضعهم الآن تزار يقال لها ـ قبور السبعة ـ في قضاء الهاشمية من لواء الحلة اليوم .

«٢» سورة الرعد .

علي عزيز ان تراه كما ارى   عليه عزيز ان يراك تراني
واني لاستحييه والترب بيننا   كما كنت استحييه وهو يراني

المطلب الخمسون

« في ترجمة الحسين بن علي -ع- قتيل فخ »

قبور بكوفانه واخرى بطيبة   واخرى بفخ نالها صلواتي

اشار دعبل بن علي الخزاعي بهذا البيت الى قبر امير المؤمنين -ع-

« فائدة » كان قتل ابراهيم - ع - يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس واربعين وماءة ، وكان عمره ثمانية واربعين سنة .

« فائدة » ذكر المسعودي، ان المنصور قال لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم : تالله ما رأيت رجلا انصح من الحجاج لبني مروان ، فقام المسيب بن زهرة الضبي ، فقال يا امير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بامر تخلفنا عنه ، والله ما خلق الله على جديد الارض خلقاً اعز علينا من نبينا - ص - وقد امرتنا بقتل اولاده فاطعناك . وفعلنا ذلك فهل نصحناك ام لا ؟ فقال له المنصور : اجلس لا جلست !

« فائدة » هذه هي الرباب احدى الوفيات لازواجهن . ذكر ارباب التاريخ قالوا : لما رجعت الرباب من الامر الى المدينة . امرت بسقف البيت فقلع ، وجعلت تجلس هي وابنتها سكينة تحت حرارة الشمس ، وكانت زينب تأتي اليها وتقول لها : قومي يا رباب عن حرارة الشمس ، فتقول لها سيدتي: لا تلوميني اني رأيت جسد سيدي الحسين تصهره الشمس في كربلا !

بالكوفة . اذ ان الغري كان طرف جبانه الكوفة من الغرب . وذكر قبور الأئمة الاربعة ، الذين هم بالبقيع ، وطيبة هي المدينة المنورة ، واما القبور التي بفخ ، فهي قبر الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن بن الحسن السبط ، واصحابه الذين قتلوا بفخ ، وفخ : بئر قريبة من مكة المكرمة ، على فرسخ منها . ولقد اخبر عنه رسول الله «ص» لما نزل بفخ وصلى ركعتين وبكى ، وبكت اصحابه ، وقال «ص» نزل علي جبرئيل وقال يا محمد ان رجلا من ولدك يقتل في هذا المكان واجر الشهيد معه أجر شهيدين، ومر الصادق ـع ـ بفخ عند رواحه الى الحج ؛ فنزل وتوضأ وصلى ثم ركب ع ـ ، فقيل له : هذا من الحج . قال : لا . ولكن يقتل ههنا رجل من اهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم اجسادهم الجنة ، وكانت وقعة فخ في ايام خلافة الهادي ، رابع خلفاء بني العباس ، ولم تكن وقعة اعظم على اهل البيت ، بعد واقعة الطف من وقعـــة فخ ، والحسين قتيل فخ ، رجل عظيم القدر . كان جليلا . عالماً ، فاضلا ، كريما ذكر ابو الفرج في كتابه ـ مقاتل الطالبيين ـ عن الحسن بن هذيل . قال بعت للحسين بن علي صاحب فخ حائطا باربعين الف دينار ، فنثرها على بابه ، فما ادخل الى اهله منها حبة ، بل كان يعطيني منها كفاً . فأذهب بها الى فقراء اهل المدينة ، وقال الحسن ايضاً ، قال لي الحسين بن علي : صاحب فخ اقترض لي اربعة الآف درهم ، فذهبت الى صديق لي فأعطاني الفين . وقال : اذا كان غداً إئتني حتى اعطيك الفين ، فخرجت بالالفين ، واتيت الحسين فوضعها تحت حصير كان يصلي عليه . فلما كان من الغد اخذت الالفين الآخرين ، ثم جئت لطلب الذي وضعته تحت حصيره ، فلم

أجده ، فقلت له يا بن رسول الله ما فعلت الالفين ، قال لا تسأل عنها فاعذر ، فقال : تبعني رجل من اهل المدينة ، فقلت الك حاجة ؟ فقال : لا . ولكني احب ان اصل جناحك ، فاعطيته اياه أما اني احسبني ما اجرت على ذلك . لاني لم اجد لها حسنا ، وقال الله تعالى : (لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون) «١» ، وقال : اسماعيل بن إبراهيم الواسطي جاء رجل الى الحسين . فسأله فلم يكن عنده شيء ، فاقعده وبعث الى داره ، وقال : اخرجوا ثيابي ليغسلوها؛ فلما اجتمعت ، قال للرجل : خذ هذه الثياب ، وعن الحسن بن هذيل ايضاً ، قال : كنت اصحب الحسين ابن علي صاحب فخ ، فقدم الى بغداد فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينار ، فخرجنا ونزلنا سوق اسد ، فبسط لنا على باب الخان ، فاتى رجل ومعه سلة فيها طعام ، فقال له : مر الغلام ان يأخذ مني هذه السلة . فقال له : ومن انت ؟ قال انا اصنع الطعام الطيب ، فاذا نزل هذه القرية رجل من اهل المودة اهديته اليه ، قال يا غلام خذ هذه السلة منه ، وقال للرجل : عد الينا لتأخذ سلتك ، قال ثم اقبل علينا رجل عليه ثياب رثة ، وقال اعطوني مما رزقكم الله ، فقال لي الحسين ـ ع ـ ادفع اليه السلة . وقال له خذ ما فيها ورد الاناء ، ثم اقبل علي وقال اذا رد السائل السلة فأدفع اليه خمسين ديناراً ، واذا جاء صاحب السلة ، فادفع اليه ماءة ديناراً ، فقلت جعلت فداك آنفاً بعت عيناً لتقضي بها ديناً عليك، فسألك سائل فأعطيته طعاماً ، هو مقنع له ، فلم ترض حتى امرت له بخمسين ديناراً ، فقال يا حسن ان لنا رباً يعرف الحساب . اذا جاء السائل فادفع اليه ماءة

---

(١) سورة آل عمران .

دينار ؛ فاذا جاء صاحب السلة فادفع اليه مأتي دينار ؛ والذي نفسي بيده اني لا اخاف ان لا يقبل مني الذهب والفضة والتراب عندي بمنزلة واحدة هذا ما كان من كرمه وجوده . واما الاخبار في فضله متواترة ومشهورة واما سبب خروجه ؛ قالوا ان الهادي رابع خلفاء بني العبـــاس ؛ ولى المدينة رجلا من ولد عمر بن الخطاب ، وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر فضيق العمري على الهاشميين اشد التضييق ؛ وكان ينال منهم بكل ما يستطيعه من الاذى والضرب ، حتى ضرب الحسن بن محمد بن عبد الله المحض ؛ يوما مائتين سوطا وضرب رجلين من خواصه ؛ ثم امر فجعلوا الحبال في أعناقهم وطيف بهم في سكك المدينة مكشفي الظهور وأشاع في الناس بانه وجدهم على شراب ، فجاء اليه الحسين بن علي صاحب فخ فقال له لقد خزيتهم ؛ ولم يكن لك ان تضربهم فلم تطوف بهم ؛ فأمر العمري بهم فقبض عليهم وزجوا في السجن ، فجاء الحسين وضمن له ؛ وكفلهم فأخرجهم من الحبس ؛ قال الراوي فغاب الحسن بن محمد عن المدينة اياما لشغل له ؛ فبلغ ذلك العمري فغضب واحضر الحسين ابن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن فاغلظ لهما وهددهما وقال لتأتياني به او لاسوأنكما ، فان له ثلاثة ايام لم يحضر العرض ، وكان يطلب بني هاشم في كل يوم للعرض عليه ، ليقف على احوالهم وشؤنهم ، قال الراوي فتضاحك الحسين في وجه العمري ، وقال له : انت مغضب يا أبا حفص ، فقال العمري استحقاراً بي تخاطبني بكنيتي ، فقال له الحسين : قد كان ابو بكر وعمر هما خير منك يخاطبان بالكنى ، فلا ينكران ذلك وانت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية ؛ فقال له : آخر قولك شر من اوله ، انما

ادخلتك علي لتفاخرني وتؤذيني ، ثم حلف العمري ان لا يخلي سبيله او يجيئه بالحسن بن محمد في باقي يومه وليلته ؛ وان لم يجيء به ليضربن الحسين الف سوط ، وحلف ان وقعت عينيه على الحسين بن محمد ليقتله من ساعته قال فخرج الحسين من عنده ووجه الى الحسن -ع- من جاء به فقال له يا بن العم قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق. فأمض حيث شئت فقال الحسن لا والله يا بن العم . بل أجيء معك الساعة حتى اضع يدي في يده فقال الحسين لا والله ما كان الله ليطلع علي وانا جاء الى محمد وهو خصيمي وحجيجي في امرك .لعل الله أن يقينا شره قال الراوي ثم ان الحسين وجه الى بني هاشم ؛ فأجتمعوا ستة وعشرين رجلا من ولد علي عليه السلام وعشرة من الحاج ونفر من الموالي ، فحضروا عنده وهم طوع ارادته ، فكان اول امره أن ثار بهؤلاء النفر . لكأنه عمه الحسين -ع- حين بعث على إخوته في الليلة التي بعث عليه-الوليد بن عتبة بن ابي سفيان- والي المدينة من قبل يزيد -لع- فأجتمعوا عنده وقد دخلوا عليه يقدمهم ابو الفضل العباس الخ !

المطلب الحادي والخمسون

« في مقتل الحسين بن علي الحسني بفخ »

لما كثر الاذى والجور من عمر بن عبد العزيز بن عبد الله العمري والتضييق على العلويين ، ورأى الحسين بن علي صاحب فخ ما رأى من الهوان عليه خاصة ؛ وجه الى بني هاشم فاجتمعوا ستة وعشرين رجلا من ولد علي وعشرة من الحاج ، ونفر من الموالي . فلما اذن آذان الصبح

دخلوا المسجد وصعد عبد الله بن الحسن الافطس على المأذنة التي عندرأس النبي ـ ص ـ وقال المؤذن : أذن بحي على خير العمل ، فلما نظر المؤذن الى السيف في يده أذن بها ، وسمعه العمري ؛ فأحس بالشر ودهش ، ثم قام من وقته وهرب من المدينة فصلى الحسين بالناس الصبح ، ودعى بالشهود العدول الذين كان العمري اشهدهم عليه بأن يأتي بالحسن اليه ؛ فقال للشهود هذا الحسن قدجئت به ؛ فهاتوا العمري ، والا والله خرجت من يميني ومما علي ، ثم خطب الحسين بعد صلاته ، فحمد الله واثنى عليه ، وقال انا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على منبر رسول الله ، وفي حرم رسول الله ـ ص ـ ادعوا الى سنة رسول الله ـص ـ ايها الناس اتطلبون آثار رسول الله ـ ص ـ في الحجر والعود ، تمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه . قال فاتاه الناس وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه والرضا من آل محمد ، فبلغ ذلك حماد البربري ، وكان على مسلحة بالمدينة ومعه مائتين من الجند وجاء العمري ناس كثير حتى وافوا باب المسجد فاراد حماد ان ينزل ، فبدر يحيى بن عبد الله بن الحسن ، وفي يده السيف فضربه على جبينه وعليه القلنسوة فقطع ذلك كله وأطار مخ رأسه ، فسقط عن دابته ، وحمل على اصحابه فتفرقوا وانهزموا ، وكان بالمدينة مبارك التركي ومعه بعض الجند ؛ فقاتل الحسين أشد قتال حتى منتصف النهار ؛ ثم انهزموا ؛ وقيل ان مباركاً ارسل الى الحسين يقول له : والله لان اسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر علي من أن اشوكك بشوكة ؛ او اقطع من رأسك شعرة فبيتني فاني منهزم عنك ، قال : فوجه اليه الحسين قوماً ؛ فلما دنوا منه صاحوا صيحة واحدة وكبروا فانهزم التركي هو

ومن معه ، واقام الحسين بن علي واصحابه يتجهزون بالمدينة احد عشر يوماً ، وفرق ما كان في بيت المال على الناس وهي سبعون الفاً ، ويقول ابايعكم على كتاب الله وسنة نبيه ، وعلى ان يطاع الله ولا يعطى ، وادعوكم الى الرضا من آل محمد (ص) وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ، والعدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، وعلى ان تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا ، فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا . وان لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم قال: ثم خرج الحسين واصحابه وهم زهاء ثلثمائة لست بقين من ذي القعدة الى مكة ، واستخلف على المدينة دينار الخزاعي ، هذا وقد بلغ خبره الى الخليفة الهادي العباسي ، وكان قد حج في تلك السنة رجال من اهل بيت الخليفة ، منهم سليمان بن ابي جعفر عم الهادي ، ومحمد بن سليمان والعباس بن محمد وموسى واسماعيل ابنا عيسى الدوانيقي ، وقد التحق بهم مبارك التركي ، ومن معه فامرهم الخليفة بتولية الحرب ، وقد سرح لحرب الحسين الجيش . قال : ولما بلغ الحسين واصحابه فخ تلقتهم الجيوش من المسودة ، وكان يوم التروية عند صلاة الصبح ، فعرض العباس بن محمد على الحسين الامان ، فقال : لا امان لكم وابى الحسين اشد الاباء . قال لي موسى بن عيسى : اذهب الى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكل ما رأيت . قال : فمضيت ودرت فما رأيت خللا ولا فللا ولا رأيت الا مصلياً او مبتهلا او قارىء في المصحف او معد للسلاح ، قال فجئته . وقلت له : ما اظن القوم الا منصورين . فقال : وكيف ذلك يابن الفاعلة ، قال فاخبرته فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت انه سينصرف ، وقال هم والله اكرم خلق الله واحق بما في ايدينا منا ، ولكن

الملك عقيم ، ولو ان صاحب هذا القبر يعني النبي «ص» نازعنا على الملك لضربنا خيشومه بالسيف ، قال الراوي ولما تقابل الفريقان اقعد الحسين رجلا على جمـــل ومعه سيف يلوح به ، والحسين بن علي يملي عليه حرفاً حرفا ، ونادى يا معشر المسودة ، هذا الحسين بن رسول الله «ص» وابن عمه يدعوكم الى كتاب الله وسنة رسول الله «ص» قال فامر موسى ابن عيسى بتعبية العسكر . فصار محمد بن سليمان في الميمنة وموسى في الميسرة وسليمان بن ابي جعفر والعباس بن محمد في القلب وكان اول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطردهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل اكثر اصحاب الحسين وبقى الحسين في عدد يسير فجعل يقاتل اشد القتال حتى اثخن بالجراح قال من حضر الوقعة رأيت الحسين بن علي (ع) وقد دفن شيئا ظننت انه شيء له قدر فلما كان من امره ما كان نظرنا فاذا هو قطعة من جانب وجهه وقد قطع ودفنه ثم عاد للقتال قال وكان حماد التركي ممن حضر الوقعة . فقال للقوم اروني حسيناً فاروه اياه فرماه بسهم فقتله فوهب له محمد بن سليمان ماءة الف درهم وماءة ثوب . قال ولما قتل الحسين واصحابه . قطعوا رؤوسهم وجاؤا بالرؤس الى موسى والعباس وسليمان وهي ماءة رأس ونيفاً وبين تلك الرؤوس رأس الحسين بن علي وبجبهته ضربة سيف طولا وعلى قفاه ضربة اخرى وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين وسيدهم موسى بن جعفر فلما نظر موسى بن جعفر الى رأس الحسين بكى فقيل له رأس الحسين قال نعم انا لله وانا اليه راجعون مضى والله مسلماً صالحاً صواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر

ماكان في اهل بيته مثله ثم، حملت الرؤوس والاسارى الى الهادي ، وامر بقتل بعض الاسارى ولما بلغ العمري قتل الحسين «ع» وهو بالمدينة عمد الى داره ودور أهله فاحرقها وقبض نخيلهم وجعلها في الصوافي المقبوضة .
اقول لان احرق العمري دار الحسين واهله فلقد اقتدي بسلفه مع دار فاطمة والذين احرقوا مضارب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى فررن منها الهاشميات كالطيور الهاربة من النار .

وحائرات اطار القوم اعينها رعباً غداء عليها خدرها هجموا

المطلب الثاني والخمسون

« في غيبة الحجة «ع» »

ولد المهدي صاحب العصر والزمان ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بسر من رأى (١) في أيام المعتمد العباسي ، وروى المفيد « ره » قال . ولم يخلف ابوه ولد ظاهراً ولا باطناً غيره ، وخلفه غائباً مستتراً وكان عمره «ع» عند وفاة ابيه خمس سنين وقد آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب ، وجعله آية للعالمين ، نعم . آتاه الله الحكمة كما آتاها يحيى صبياً وجعله اماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبياً ، وامه ام ولد يقال لها نرجس كانت خير أمة وفي رواية ان اسمها الاصلي مليكة ، وكنيته ككنية جده رسول الله «ص» ويكنى ايضاً بأبي جعفر ، والقابه . الحجة . والمهدي . والخلف الصالح .

(١) وفي رواية سنة ست وخمسين ومائتين ، فيكون بالحروف الابجدية « نور » .

والقائم المنتظر . وصاحب الزمان واشهرها المهدي ، ولقـــد بشر به النبي «ص» ومن بعده الأئمة واحداً بعد واحد ، حتى يوم ولادته «ع» وقبل ان يولد بساعات اخبر عنه ابوه العسكري «ع» ، روى ابو الحسن المسعودي في كتاب اثبات الوصية لعلي بن ابي طالب «ع» ، روى لنا الثقاة من مشائخنا . ان بعض اخوات ابي الحسن علي بن محمد الهادي كانت له جارية ولدت في بيتها وربتها تسمى نرجس ، فلما كبرت وعبلت دخل ابو محمد الحسن العسكري «ع» فنظر اليها فاعجبته ، فقالت له عمته اراك تنظر اليها . فقال عليه السلام : اني مانظرت اليها إلا متعجباً أما ان المولود الكريم على الله جل وعلا يكون منها ثم امرها ان تستأذن أبا الحسن ، ورفعها اليه ففعلت فامرها بذلك ، وروى الصدوق في اكمال الدين بسنده عن المطهري عن حكيمة بنت الامام محمد «ع» قالت كانت لي جارية يقال لها نرجس فزارني ابن اخي يعني العسكري واقبل يحد النظر اليها ، فقلت له : سيدي لعلك هويتها فارسلها اليك ؟ فقال : لا ياعمه لكني اتعجب منها سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذي يمـــلأ الله به الارض عدلا وقسطا كما ملئت جوراً وظلما ، فقلت فارسلها اليك ياسيدي فقال استأذني أبي فاتيت منزل ابي الحسن فبدأني وقال : ياحكيمة ابعثي نرجس الى ابني ابي محمد ، فقلت ياسيدي على هذا قصدتك فقال يامباركة ان الله تبارك وتعالى احب ان يشركك في الاجر قالت : فزينتها ووهبتها لابي محمد ، قالت فمضى ابو الحسن وجلس ابو محمد مكانه فكنت ازوره كما كنت ازور والده ، قالت : فلما غربت الشمس صحت بالجارية ناوليني ثيابي لانصرف فقال «ع» ياعمتاه اجعلي إفطارك الليلة عندنا فانها ليـــلة

النصف من شعبان فان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في ارضه قالت : فقلت ومن امه ؟ قال نرجس فقلت جعلني الله فداك لاأرى بها اثر حمل فقال : هو ما اقول لك قالت فجئت اليها فلما سلمت وجلست جاءت لتنزع خفي وقالت لي : ياسيدتي كيف امسيت ؟ فقلت : بل انت سيدتي وسيدة اهلي فانكرت قولي وقالت ماهذا ياعمه ؟ فقلت يابنية ان الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة قالت حكيمة فجلست واستحييت ثم قال لي ابو محمد اذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحمل لان مثلها مثل ام موسى لم يظهر بها الحمل ولم يعلم بها احد الى وقت ولادتها لان فرعون كان يشق بطون الحبالى ، في طلب موسى وهذا نظير موسى «ع» قالت حكيمة فلما فرغت من صلاة العشاء الآخرة افطرت وأخذت مضجعي فرقدت ، فلما كان في جوف الليـــل قمت الى الصلاة فصليت وفرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة انتبهت وقامت الى الصلاة فدخلتني الشكوك فصاح بي ابو محمد من المجلس لاتعجلي ياعمه فان الامر قد قرب قالت فقرأت آلم السجدة ، ويس فبينا انا كذلك واذا بنرجس انتبهت فزعة فوثبت اليها وقلت لها اسم الله عليك ثم قلت اتحسين شيئاً ؟ قالت نعم فقلت : لها اجمعي نفسك واجمعي قلبك ثم اخذتني فترة واخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فاذا به ساجد يتلقى الارض بمساجده ، فاخذته وضممته الي ، فاذا به طاهر مطهر ، فصاح بي ابو محمد هلمي الي ابني ياعمه فجئت به اليه فوضع يده تحت اليته وظهره ووضع قدميه على صدره ثم ادلى لسانه في فيه وامر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال تكلم يابني فقال اشهد ان لا اله الا الله

وحده لاشريك له واشهد ان محمداً رسول الله ثم صلى على امير المؤمنين وعلى الأئمة الى ان وقف على ابيه ثم احجم قالت حكيمة ولما اصبح الصباح جئت لاسلم على ابي محمد «ع» فافتقدت سيدي فلم أره فقلت جعلت فداك مافعل سيدي ? فقال استودعناه الذي استودعته ام موسى ، فلما كان اليوم السابع ، جئت اليه فقال هلمي الي ابني ففعل به كالاول ثم ادلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبنا اوعسلا ، ثم قال تكلم يابني فقال اشهد ان لا اله الا الله وثنى بالصلاة على محمد وعلى امير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم اجمعين ، حتي وقف على ابيه ثم تلا هذه الآية (ونريد ان نمن على الذين استضعفو في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (١) اقول إذاً متى يافرج الله .

طالت علينا ليالي الانتظار فهل ... ياابن الزكي لليل الانتظار غد

فاكحل بطلعتك الغرا انا مقلا ... يكاد يأتي على انسانها الرمد

المطلب الثالث والخمسون

« في غيبة الحجة «ع» »

الخلف الصالح له غيبتان صغرى وكبرى اما الغيبة الصغرى كانت مدتها الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم وهي اربع وسبعون سنة ، ففي هذه المدة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم ويصلون الى خدمته وتخرج على ايديهم توقيعات منه الى شيعته في

(١) سورة القصص .

اجوبة مسائل ، وفي امور شتى ، واما الغيبة الكبرى فهي بعد الاولى الى ان ياتيه الامر من الله فيقوم بالسيف ويملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، وقد جاء في بعض التوقيعات انه بعد الغيبة الكبرى لا يراه احد وان من ادعى الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب ، وجاء في بعض الاخبار انه يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه فهو المنتظر لامر الله ، عن النبي «ص» قال لاتذهب الدنيا حتى يلي امتي رجل من اهل بيتي يقال له المهدي وعن ابي هريرة عن النبي «ص» لولم يبق من الدنيا الايوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلا من اهل بيتي يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا وقد وردت روايات جمة واحاديث نبوية في الحجة «ع» وعن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم اسرائيلي على خده الايمن خال كأنه كوكب دري يملأ الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا يرضى بخلافته اهل الارض واهل السماء والطير في الجو ،وفي حديث آخر يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك ، وعن ابي هريرة عن النبي (ص) لاتقوم الساعة حتى يملك رجل من اهل بيتي يفتح القسطنطينية ، وجبل الديلم ولولم يبق الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحها ، ونحن لا نعبأ بقول من تعصب بعصابة العصبية وراح يكيل الكلام الفارغ على هذه الطائفة ، ولم يلتفت الى الاحاديث الواردة في كتب أئمته والاخبار المروية عن علمائه بمناسبة غيبة الحجة المنتظر ، بل حدا به حقده ان يقول افتراء علينا (١) :

«١» اذا لم ير واحد من الشيعة انه «ع» غاب بالسرداب ،

ماآن للسرداب ان يلد الذي صيرتموه بزعمكم انسانا
فعلى عقولكم العفاء اذ انكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

فاجابه شاعرنا مشطراً وهو المغفور له السيد حيدر الحلي :

ماآن للسرداب ان يلد الذي فيه تغيب عنكم كتمانا
فعلى عقولكم العفاء لأنكم انكرتم بجحوده القرآنا «١»
هو نور رب العالمين وانما صيرتموه بزعمكم انسانا
لولم تثنوا العجل ماقلتم لنا ثلثتم العنقاء والغيلانا

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي «ص» قال : ان خلفائي واوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنى عشر ، اولهم علي وآخرهم ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلف المهدي وتشرق الارض بنور ربها ويبلغ الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا ويعمر.

واما الحوادث التي تكون ايام قيامه منها خروج السفياني . وقتل الحسني واختلاف بني العباس في الملك وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره على خلاف العادة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وركود الشمس من عند الزوال الى وسط أوقات العصر وطلوعها من المغرب ، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام وهدم حائط مسجد الكوفة ، واقبال رايات سود من قبل خراسان ، وخروج اليماني وظهور

«١» اشار بقوله انكرتم بجحوده القرآنا الى قوله تعالى « فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون » وهذه الآية اكبر دليل على بقاء المهدي ، وهو حي يرزق ينتظر الامر بظهوره .

المغربي بمصر . وتملكه الشامات ، ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة ، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه وحمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها ونار تظهر بالمشرق طولا وتبقى في الجو ثلثة ايام اوسبعة ايام وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد ، وخروجها عن سلطان العجم ، وقتل اهل مصر اميرهم .وخراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه ، ودخول رايات قيس والعرب الى مصر ورايات كندة الى خراسان وورود خيل من قبل العرب حتى تربط بفناء الحيرة واقبال رايات سود من قبل المشرق نحوها ، وثقب في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة وخروج ستين كذاباً . كلهم يدعون النبوة وخروج اثني عشر من آل ابي طالب «ع» كلهم يدعي الامامة لنفسه . واحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولا وخانقين وعقد الجسر ممايلي الكرخ بمدينة بغداد ، وارتفاع ريح سوداء بها في اول النهار وزلزلة حتى ينخسف كثير منها وخوف يشمل اهل العراق وبغداد وموت ذريع ونقص في الاموال والانفس والثمرات وجراد يظهر في اوانه وفي غير اوانه حتى يأتي على الزرع والغلات وقلة الريع لما يزرعه الناس ، واختلاف صنفين من العجم . وسفك دماء كثيرة فيما بينهم ، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم ، وقتل مواليهم ، ومسخ قوم من اهل البدع ، حتى يصيروا قردة وخنازير ، وغلبه العبيد على بلاد السادات ، ونداء من السماء يسمعه اهل الارض كل اهل لغة بلغتهم ،ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس ، واموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا الى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون ، ثم يختم ذلك باربع

وعشرين مطرة تتصل فتحيي بها الارض بعد موتها ، وتعرف بركاتها وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ؛ يتوجهون نحوه لنصرته كما . جاءت بذلك الاخبار ، قال ويجمع الله عند ذلك اصحاب المهدي وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، عدد اهل بدر فيبايعونه بين الركن والمقام ثم يخرج بهم من مكة فينادي المنادي باسمه وامره من السماء حتى يسمعه اهل الارض كلهم ، ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ثم يتوجه بعد ذلك الى كربلاء :

كربلا لازلت كرباً وبلا مالقي عندك آل المصطفى

المطلب الرابع والخمسون

في سفراء الحجة «ع»

للمهدي المنتظر من آل محمد عجل الله فرجه غيبتان صغرى و كبرى كما جاءت بذلك الاخبار عن الأئمة الاطهار عليهم السلام فمن مولده الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته يعني الى وفاة السيمري رابع السفراء هي الغيبة الصغرى وهي اربعة وسبعين سنة ففي هذه الاربع وسبعين سنة كان السفراء يرونه ويجتمعون عنده وربما رآه غيره ويصلون الى خدمته وتخرج على ايديهم توقيعات الى شيعته في اجوبة مسائل شتى يسألون بها الامام «ع» واما الغيبة الكبرى فهي بعد الاولى وفي آخرها يقوم بالسيف وقـــد جاء في بعض التوقيعات انه بعد الغيبة الكبرى لايراه احد وان من ادعى الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب ، وجاء في عدة اخبار انه «ع» يحضر المواسم في كل سنة فيرى الناس ويعرفهم

ويرونه ولا يعرفونه واما السفراء الاربعة الذين كانوا بينه وبين شيعته اولهم ابو عمر ، وعثمان بن سعيد العمري ، كان عثمان بن سعيد هذا . من بني اسد ، ونسب الى جده ابي امه جعفر العمري ، ويقال العسكري . لانه كان يسكن العسكر ، وهي المحلة التي كان يسكنها الامامين «ع» ، موضع قبورهم الآن ، لان قبورهم في دارهم ، ويقال له السمان لانه كان يتجر بالسمن . تغطية للامر ، وكان الشيعة اذا حملوا الى الحسن العسكري مايجب عليهم من المال ، جعله ابو عمرو في زقاق السمن وحمله اليه خوفاً وتقية ، وكان قد نصبه الامام الهادي «ع» وكيلا له ، ثم ابنه الحسن العسكري ، وبعدها كان سفيراً للمهدى «ع» الى شيعته وكان الهادي «ع» يقول في حقه هذا ابو عمرو الثقة الامين ، ماقاله لكم فعني يقوله . وما اداه اليكم فعني يؤديه ، وسأله بعض اصحابه قال له : سيدي لمن أعامل . وعمن اخذ وقول من اقبل ؟ فقال «ع» العمري ثقتي فما ادى اليك فعني يؤدي وما قال لك فعني يقول ، فاسمع له واطع ، فانه الثقة المأمون وقال العسكري : بعد وفاة ابيه «ع» فيه هذا ابوعمرو ، الثقة الامين ثقة الماضي وثقتي في الحياة والممات ، فما قاله لكم فعني يقوله ، وما اداه اليكم فعني يؤده واقبل اليه جماعة من الشيعة زهاء اربعين رجلا وسألوه عن الحجة من بعده فاذا غلام ، كأنه قمر طالع اشبه الناس بابي محمد العسكري «ع» فقال «ع» هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم اطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في اديانكم ، الا وانكم لاترونه بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فاقبلوا من عثمان بن سعيد مايقوله وانتبهوا الى امره واقبلوا قوله فهو خليفة امامكم والامر اليه ، ولقد حضر عثمان بن سعيد تغسيل العسكري

وتولى جميع امره في تكفينه وتحنيطه ودفنه ، وكان مأموراً بذلك من قبل الامام «ع» قال الشيخ الطوسي (ره) وكانت توقيعات الامام تخرج على يده ويد ابنه محمد الى شيعته ، وخواص ابيه العسكري « ع » بالامر والنهي ، والاجوبة المسائل بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن العسكري عليه السلام ، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد حتى توفي«ره» وغسله ابنه محمد ودفن بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان

والثاني من السفراء هو ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري « ره » فكانت الشيعة بعد موت ابيه لاتختلف بعدالته ، ولا بامامته والتوقيعات تخرج على يديه الى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كان يخرج في حياة ابيه عثمان « ره » وكانت لابي جعفر محمد بن عثمان كتب في الفقه مما سمعه من ابي محمد الحسن العسكري «ع» ومنها كتب في الاشربة وروى عنه «ره» والله ان صاحب هذا الامر ليحضر في الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه ، وقيل له رأيت صاحب هذا الامر ؟ قال: نعم آخر عهدي به عند بيت الله الحرام ، وهو يقول اللهم انجزلي وعدي ودخل عليه بعض اصحابه فرآه وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها آياً من القرآن ، واسماء الأئمة على حواشيها فقال هذي لقبري اسند اليها وقد فرغت منه وانا كل يوم انزل فيه فاقرأ جزءاً من القرآن فاذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا صرت الى الله ودفنت فيه فكان كما قال«ره» وفي رواية حفر لنفسه قبراً وقال : امرت ان اجمع امري ، فمات بعد شهر ودفن عند والدته بشارع باب الكوفة في بغداد ، والثالث من السفراء ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي ، اقامه ابو جعفر

محمد بن عثمان مقامه قبل وفاته بسنتين وقد جمع وجوه الشيعة وشيوخها .
وقال : ان حدث علي حدث الموت فلأمر الى ابي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت ان اجعله في موضعي بعدي فارجعوا اليه وعولوا في اموركم عليه ، وكان الحسين بن روح وكيلا لمحمد بن عثمان سنين عديدة .
وكان رضي الله عنه من أعقل الناس عند المخالف والموالف ، وقد جعل من بعده للامر ابو الحسن علي بن محمد السمري « ره » ولما توفي (ره) دفن في النوبختية في الدرب النافذ الى التل والى درب الآجر والى قنطرة الشوك
والرابع من السفراء علي بن محمد السمري «ره» روى الشيخ الطوسي «ره» عن احمد بن ابراهيم بن مخلد ، قال حضرت بغداد عند المشايخ رحمهم الله .
فقال الشيخ ابو الحسن علي بن محمد السمري قدس الله روحه : ابتدأ منه قائلا رحم الله علي بن الحسين بن بابويه القمي وهو والد الصدوق « ره » فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر انه توفي في ذلك اليوم وفي رواية . قال لهم : آجركم الله فيه فقد قبض هذه الساعة فاثبتوا التاريخ ، فلما كان بعد سبعة عشر يوماً أوثمانية عشر يوما . ورد الخبر بوفاته في تلك الساعة التي اخبرنا بها علي بن محمد السمري ، وذكر الشيخ الطوسي « ره » في كتاب الغيبة ان السمري رضى الله عنه اخرج قبل وفاته بايام الى الناس توقيعاً نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم ياعلي بن محمد عظم الله أجراخوانك فيك فانك ميت مابينك وبين ستة ايام فاجمع أمرك ولا توصي الى احـد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور الا بعد اذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب ، وامتلاء الارض ، جوراً وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ، الا فمن ادعى

المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، قال الراوي : فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك ؟ فقال لله امر هو بالغه ، وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة اقول انتهت بموته الغيبة الصغرى فكانت الغيبة الكبرى حتى يأذن الله له بالظهور .

متى ينجلي ليل النوى عن صبيحة نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب

المطلب الخامس والخمسون

« في ما كان يصنعه ملوك الشيعة بمصر وبغداد يوم عاشوراء »

اتخذ الناس يوم عاشوراء بعد مقتل الحسين «ع» يوم حزن وبكاء وهم ينصبون المأتم والعزاء كل ذلك مواساة لاهـــل البيت وتقرباً الى رسول الله (ص) والى ذوي القربى وينظمون القصائد في رثاء الحسين «ع» وتتلى على الاشهاد ، اخذ الخلف عن السلف ، هاك ما يحدثنا التاريخ عن ايام الفاطميين في مصر وما كانوا يصنعونه يوم عاشوراء من اقامة الشعائر والمواكب ، قال المقريزي في الخطط « كانوا » يعني الفاطميين (ينحرون في يوم عاشوراء الابل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين «ع» ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم ، وذكر في موضع آخر انه في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة الى قبر أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين «ع» وذكر المقريزي ايضاً : قال ابن الطوير ، اذا كان يوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ، ثم

صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر ، فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدراً والقاضي والداعي من جانبيه والقرآء يقرؤون بنوبة وينشد قوم من الشعر غير شعراء الخليفة . شعراً يرثون به اهل البيت عليهم السلام ولا يزالون كذلك الى ان تمضي ثـــلاث ساعات فيستدعون الى القصر فيركب الوزير الى دارة ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب وتفرش ويجدون صاحب الباب جالساً فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ، ثم يفرش على سماط الحزن مقدار الف زبدية من العدس والمحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة ، واعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد ، فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة ، وادخل الناس للأكل فيدخل القاضي والداعي . ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه ، وفي الناس من لايدخل ولا يلزم احد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركباناً ، بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم واغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون ، هذا ماكان يصنع في مصر يوم عاشوراء ايام الفاطميين . واما ماكان يصنعه آل بويه في بغداد فقد ذكره ارباب التاريخ ، وذكر ابو الفداء في حوادث سنة ثلثمائة واثنين وخمسين يوم عاشوراء المحرم أمر معز الدولة الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويظهرون النياحة ، وان تخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن

ثيابهن ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي «ع» ففعل الناس ذلك وقال ابن كثير في البداية ، والنهاية وقد اسرفوا في دولة بني بويه في حدود الاربعماءة وماحولها فكانت الدرادل(١) تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويذرى الرماد والتبن في الطرقات وتعلق المسوح(٢) على الدكاكين ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لايشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين حيث قتل عطشاناً ، أقول وكل هذه القضايا اخبر عنها رسول الله (ص) سيدة النساء فاطمة يوم ولادة الحسين «ع» حيث جاء النبي الى بيت فاطمة وقال علي بولدي الحسين «ع» فأخذه وجعل ينظر اليه وهو يبكي فقالت له فاطمة ياأبه مالي أراك تنظر الى ولدي الحسين وتبكي ؟فقال لها بنية هذا جبرئيل يخبرني انامتي تقتله فقالت فاطمة ياأبتاه ومتى يكون ذلك؟ فقال لهابنية في زمان خال مني ومنك ومن ابيه اميرالمؤمنين واخيه الحسن عليهم السلام فقالت : أجل ومن يبكي على ولدي الحسين «ع» فقال لها بنيه يقيض الله له شيعة فيبكون على ولدي الحسين ، جيلا بعد جيل ، وينصبون المأتم والعزاء عليه اقول :

يارسول الله يافاطمة … ياأمير المؤمنين المرتضى
عظم الله لك الاجرثبن … كض أحشاءالظماحتى قضى

هذا ماتيسر لنا جمعه (الجزء الاول والجزء الثاني) من كتاب (ثمرات الاعواد) ، وترقبوا كتاب « المطالب المهمة » ملم بحياة الأئمة الاثنى عشر يحتوي على مطالب مرتبة في ولاداتهم وفضائلهم ومناقبهم ووفياتهم وهو ماءة مطلب وبالله التوفيق ومنه الاجر تم سنة ١٣٩٠ .

(١) الدرادل الطبول (٢) المسوح الكساء من الشعر جمع مسح .

صفحة | الموضوع

منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ت (٣٦٨)

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م